من قواعد الدعوة السلفية الراسخة، ومزاياها الرفيعة الثابتة

للشيخ العلامة

زيد بن محمد بن هادي المدخلي – رحمه الله تعالى –

من كتاب الأجوبة السديدة على الأسئلة الرشيدة.

علَّقَ عليه

عبد الله بن مسعود مزيتي الإبراهيمي

الطبعة ١. (رمضان ١٤٣٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه مقدمة مختصرة لبيان حقيقة المنهج وبعض المسائل المتعلقة به. والمقصود به في هذا المبحث هو المنهج النبوي.

تعريف المنهج

قال الشيخ عبيد الجابري – حفظه الله تعالى – في تعريفه ما يلي:

«المنهج لغة: الطريق المنتهج الذي يُسلك.

والمراد به شرعًا: ما تُقَرَّرُ[١] به أحكام الله عبادة ومعاملة، وفق الكتاب والسنة وعلى فهم السلف الصالح[٢].

وقال أيضا : المراد به شرعاً: هو الطريق الذي يبين به أحكام الله في العبادات العلمية والعملية وفي المعاملة بين الناس»[٣].

Définition du Manhag:

Le manhag linguistiquement signifie : le chemin à emprunter.

Et le sens voulu dans la législation est: Ce qui atteste[4] les jugements d'Allah que ce soit dans les adorations ou les relations à travers le Livre et la Sounnah selon la compréhension des pieux prédécesseurs.

قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي – حفظه الله تعالى – في تعريفه ما يلي:

« فالمنهج يشمل العقيدة و يشمل العبادات و يشمل كيف تتفقَّه و يشمل كيف تنتقد، و يشمل كيف تواجه أهل البدع، فالمنهج شامل، منهج أهل السنّة في العقيدة، منهجهم في العبادة، منهجهم في التلقّي، منهجهم في كذا منهجهم في كذا. »[١٠].

---

[١] قرّر الرأي: وضّحه وحقّقه :– قرَّر المسألةَ . [المعجم: عربي عامة].

[٢] تعريف المنهج والرد على من قال أنه كلمة محدثة. http://miraath.net/questions.php?cat=15&id=1131

[٣] تعريف (المنهج لغة واصطلاحا) من كلام فضيلة الشيخ عبيد الجابري حفظه الله http://www.ajurry.com/vb/showthread.php?t=26482

[4] statuer
-régler avec autorité
-trancher
-résoudre en prenant une décision rapide

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان – حفظه الله تعالى في تعريفه والتفريق بينه و بين العقيدة:

« المنهج أعم من العقيدة؛

المنهج يكون في العقيدة والسلوك والأخلاق والمعاملات وفي كل حياة المسلم.

كُلُّ الخُطَّةِ التي يسيرُ عليها المسلم تسمى "منهجاً".

أمّا **العقيدة** فيراد بها أصل الإيمان ومعنى الشهادتين ومقتضاهما. هذا هو العقيدة »[5]. [حذف كلام الشيخ السحيمي – حفظه الله تعالى –]

قال الشيخ محمد سعيد رسلان – حفظه الله تعالى – :

« مِنهاجُ النبوة: الطَّريقُ الَّتي يَحصُلُ بها تحقيقُ المتابعةِ لنا كان عليه الرَّسولُ ﷺ، وأصحابُه ﷺم.

أو : هو السَّيرُ على طريقةِ الصحابةِ في اتِّباعهم للرسولِ ﷺ.

أو: هو الأخذُ بالأثَر واتِّباع السُّنَّةِ، بفهم الصَّحابة ومَنْ تبعهم بإحسان.»[6].

معنى أهل السنَّة

قال الشيخ محمد سعيد رسلان في تعريف أهل السنَّة[7]:

يقال في اللُّغة أهل الرجل : وهم أخصُّ النَّاسِ به، وأهل البيت: وهم سُكَّانُه، و أهل الإسلام: وهم من يَدين به، وأهل المذهب: وهم من يدين به وينتمي إليه.

---

[5] منقول من حاشية كتاب الشيخ الدكتور صالح السحيمي – حفظه الله تعالى – المسمى بكتاب كن سلفياً على الجادة، وهذا الكلام الذي نقله موجود في كتاب الأجوبة المفيدة ص ٧٥ ،لفضيلة الشيخ الفوزان – حفظه الله تعالى – كما ذكر.

[6] **دعائم منهاج النبوة**; محمد رسلان. (ص: ١٣).

[7] **دعائم منهاج النبوة**; محمد رسلان. (ص: ١٩٥).

فمعنى **أهل السُّنَّة** : أخصُّ الناس بها ، وأكثرُهم تَمَسُّكًا بها، واتِّباعًا لها، اعتقادًا وقولًا وعملًا.

والمراد بالسنَّة: الطريقة التي كان عليها رسول الله ﷺ، وأصحابه، قبل ظهور البدع والمقالات.

و « **الجماعة** »: في الأصل: القوم المجتمعون. والمرادُ بهم هنا: سلفُ هذه الأمَّة من الصحابة والتابعين، الذين اجتمعوا على الحقِّ الصَّريح من كتاب الله تعالى و سنَّة رسوله ﷺ.

الرد على من قال أن كلمة "المنهج" محدثة

قال الشيخ عبيد الجابري ردا على من قال بأنه كلمة محدثة:

« هذه مجازفة[^1] من القول؛ وصف المنهج بأنه كلمةٍ مُحدثة.

والذي يصف المنهج هذا الوصف خالفَ النَّصَّ والإجماع؛ قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة،٤٨]، قال ابن عباس – رضي الله عنهما–: ((سبيلٌ وسنَّة)) يعني لكلِّ أمة منهاجًا تُقَرَّرُ به فيها أحكام الله »[٢].

الفرق بين المنهج والعقيدة

مِنْ أهل العلم مَنْ لا يفرق بين العقيدة والمنهج أمثال فضيلة الشيخ عبد العزيز ابن باز.

ومنهم من يفرق بينهم ويقول بأن المنهج أوسع من العقيدة، ومن هؤلاء الشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان، والشيخ العلامة ناصر الدين الألباني، والشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي.

وقد سؤل فضيلة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي – حفظه الله تعالى – عن الفرق بين المنهج والعقيدة فقال :

---

[^1]: جازَف: جازف – مجازفة. ١ – جازف في البيع أو الشراء : باع أو شرى بغير وزن أو كيل . ٢ – جازف بنفسه : خاطر بها . ٣ – جازف في كلامه : أرسله بغير تفكير أو قاعدة . المعجم: الرائد

« طبعاً المنهج قد كثُر الكلام فيه، و الحديث عنه في هذا العصر بعكس ما كان عند السلف؛ قد يذكرون كلمة منهج ومنهاج لكن ما كان عندهم هذا اللهج بالمنهج. لكن لمّا انتشر اضطرّ السلفيون أن يقولوا: المنهج ..المنهج.

أنا سمعت الشيخ ابن باز لا يفرِّق بين العقيدة و المنهج و يقول: كلّها شيء واحد.

و الشيخ الألباني يفرِّق، و أنا أفرِّق، أرى أن المنهج أشمل من العقيدة؛

فالمنهج يشمل العقيدة[٩] و يشمل العبادات و يشمل كيف تتفقَّه و يشمل كيف تنتقد، و يشمل كيف تواجه أهل البدع، فالمنهج شامل، منهج أهل السنّة في العقيدة، منهجهم في العبادة، منهجهم في التلقّي، منهجهم في كذا منهجهم في كذا.

فالمنهج أشمل بلا شك.

لكنّ أهل الأهواء بعضهم يفرِّق بين العقيدة و المنهج لأهداف حزبية و سياسية، فيحتالون على كثير من (السلفيين) فيقولون : أنت تبقى على عقيدتك و لكنّ المنهج نحن محتاجون أن نتعاون فيه، فلا مانع أن تقول: أنا سلفيٌّ عقيدة إخوانيٌّ منهجاً.

و معلوم أنّ من منهج الإخوان حرب العقيدة السلفية، فهذا السلفي الذي يقول أنا سلفي إذا قال أنا سلفي العقيدة إخواني المنهج أو تبليغي المنهج فهو ينادي على نفسه بأنّه يحارب المنهج السلفي و العقيدة السلفية. فهي من الحيل الحزبية و السياسية التي أشاعها التبليغ و الإخوان و فرّقوا بين العقيدة والمنهج للتلاعب بعقول السلفيين خاصّة. »[١٠].[١١]

---

[٩] و أبواب العقيدة تتلخص في الأصول الآتية :

- الأصل الأول : **الإيمان وأركانه** : الإيمان بالله (أقسام التوحيد)، وملائكته، وكتبه (القرآن كلام الله) ، ورسله (الاتباع)، اليوم الآخر(القبر، البعث، الحوض، الميزان، القنطرة، الشفاعة، عصاة الموحدين، الجنة والنار، رؤية الله)، القدر (مرتب القدر الأربعة).
- الأصل الثاني : **مسمى الإيمان** وحكم مرتكب الكبيرة.
- الأصل الثالث : **الولاء والبراء** (هجر أهل البدع).
- الأصل الرابع : **الإمامة** (السمع والطاعة لولي الأمر في غير معصية، تحريم الخروج عليهم).
- الأصل الخامس : **الصحابة** (الكفُّ عمَّا شجر بينهم) وأهل البيت.
- الأصل السادس: **كرامات الأولياء**.
- مكملات العقيدة : **مكارم الأخلاق**، محاسن الأعمال

[١٠] الموضوع: هل هناك فرق بين العقيدة والمنهج ؟؟ رأي كبار العلماء. http://www.albaidha.net/vb4/showthread.php?t=31343

[١١] أجوبة فضيلة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي السلفية على أسئلة أبي رواحة المنهجية ص :٢٢.
http://www.rabee.net/ar/articles.php?cat=11&id=279

أنواع المناهج

كان الناس في زمن السلف الصالح على عقيدة واحدة وعلى منهج النبوة، ثم ظهرت الفرقة والاختلاف في الدين كما قال النبي ﷺ. فاختلف الناس في أمور دينهم وبخاصة في مسائل أصول الدين.

وفي عصرنا هذا ظهرت جماعات تدعوا إلى الله على غير منهاج النبوة، فكان لزاما أن يتصدى العلماء لتلك الجماعات ببيان مناهجه المنحرفة و المخالفة لهدي النبي ﷺ.

ومن أنشط تلك الجماعات المنحرفة المخالفة لمنهج النبوة في عصرنا الحالي:

– جماعة التبليغ. مؤسسه محمد إلياس، وهي جماعة بدعية صوفية عصرية[١٢].

– جماعة الإخوان المسلمين[١٣]. ومؤسس هذه الجماعة هو حسن البنا الصوفي، أقام جماعته على أساس الصراع السياسي. من أهم أوصافها : السعي الحثيث في السر والعلن إلى الإطاحة بالحكومات في العالم الإسلامي بدون استثناء وبالدرجة الأولى المملكة العربية السعودية

– القطبية السرورية. « السرورية نسبة إلى محمد زين العابدين سرور . كان إخوانياً ، فلما انتقل للمملكة وتعرف على المنهج السلفي تغيّر فكره ، و خرج بمنهج جديد لا هو سلفي خالص ولا هو إخواني خالص. فمن المنهج السلفي أخذ مسائل العقيدة في العموم ، ومن المنهج الإخواني أخذ الكثير من المسائل المنهجية . ... فالسرورية والقطبية – في العموم – عبارة عن إخوانية مُقنَّنة ، وهُما وجهان لعملة واحدة . »[١٤].

وكل هذه الجماعات لها مناهجها المقنن المخالفة لمنهج النبوة. فكان لزاما على السلفي أن يظهر الحق ببيان المنهج النبوي الرباني الصافي من كل شوائب البدع والخرافات.

---

[١٢] رد العلماء على هذه الجماعة بمؤلفات عديدة، منها : **القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ**; حمود التويجري.

[١٣] من الكتب المفيدة في الرد على الإخوان: **الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة**; صالح الفوزان. **المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال**; أحمد النجمي.

[١٤] بعض الفروق بين السلفيين وبين القطبيين السروريين. http://www.sahab.net/forums/index.php?showtopic=119499

بعض خصائص منهاج النبوة

ولهذا المنهج النبوي القويم خصائص نذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر[15].

- الثبات على الحقِّ وعدم التَّلَوُّن
- اتِّفاقُ أهله على عقيدة واحدة
- اعتقادهم أن طريقة السَّلف هي الأسلمُ والأحكم والأعلم
- حَرْصُهم على نشر العقيدة الصحيحة
- وسطٌ بين الفرقِ
- الحِرص على الجماعة والائتِلاف، ونَبْذُ الفُرقَةِ والاختلاف [في الكتاب والسنة].

بعض أصولِ منهاجِ النُّبُوَّةِ

وهذا المنهج الرباني مبني على ركائز متينة نذكر منها[16] :

١. الأصل الأول: تحقيقُ العبوديَّة لله سبحانه وتعالى.
٢. الأصل الثاني: لزوم الجماعة، والسَّمْعُ والطَّاعةُ لولاة الأمر في غير معصية.
٣. الأصل الثالث: الحذرُ من البدعِ والمبتدعين.

بعض علامات أهل السنَّة

من علامات أهل السنة

١- حُبُّ أئمَّةِ السُّنَّةِ، وعلمائِها
٢- من أخصِّ علامات أهل السنَّة : الاتباع
٣- من أخصِّ علامات أهل السنَّة : أنهم بين الغُلُوِّ والجفاءِ

---

[15] انظر : **دعائم منهاج النبوة**; محمد رسلان. (ص : ٦٥).

[16] انظر: **دعائم منهاج النبوة**; محمد رسلان. (ص : ٢٣٦).

٤- الثبات على الحقِّ، والائتلافُ ونَبْذُ الفُرقة

٥- العلم والعمل.

بعض المؤلفات في منهاج النبوة

نذكر هنا على سبيل المثال– لا الحصر – بعض المؤلفات التي تناولت موضوع المنهاج النبوي

منهاج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل; ربيع المدخلي.

منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف; ربيع المدخلي.

المحجة البيضاء في حماية السنة الغراء من زلات أهل الأخطاء وزيغ أهل الأهواء; ربيع المدخلي.

الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة; صالح الفوزان.

مجموعة رسائل دعوية ومنهجية; صالح الفوزان.

الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية; أحمد النجمي.

الدرر الذهبية في أصول ومنهاج الدعوة السلفية; عبيد الجابري.

الأجوبة السديدة عن الأسئلة الرشيدة; زيد المدخلي.

مجالس تذكير على مسائل منهجية; محمَّد علي فركوس.

سلسلة الرسائل المنهجية في النصح والإرشاد والتوعية; محمد بازمول.

دعائم منهاج النبوة; محمد رسلان.

الحُدُودُ الفَاصِلَةُ بَيْنَ أُصُولِ مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَأُصُولِ القُطْبِيَّةِ السُّرُورِيَّةِ; أَبِي عَبد الأعلى خَالِد عُثْمَان.

الإصباح في بيان منهج السلف في التربية والإصلاح; عبد الله العبيلان.

من قواعد الدعوة السلفية الراسخة، ومزاياها الرفيعة الثابتة

ترجمة مختصرة للشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي

هو الشيخ الفاضل والعالم الجليل زيد بن محمد بن هادى المدخلى

ولد بقرية الركوبة عام ١٣٥٧هـ، نشأ بها وبدأ الدراسة بها، ثم التحق بمدرسة صامطة السلفية،

وفى عام 1368 هـ لحق بالشيخ حافظ في بيش وقرأ عليه مع الطلاب المغتربين.

وعندما فتح المعهد العلمي في صامطة التحق به وتخرج منه عام ١٣٧٩/ ١٣٨٠ هـ فالتحق بكلية الشريعة بالرياض ومنها تخرج عام ٨٣/ ١٣٨٤هـ.

عين مدرساً بالمعهد العلمي في صامطة قبل تخرجه ومازال يدرس به حتى أحيل للتقاعد في ١/ ٧/ ١٤١٧هـ.

أنشأ أول مكتبة سلفية خيرية في مدينة صامطة عام ١٤١٦هـ تضم ما يزيد على ٤٠٠٠ كتاب ،جعلها في خدمة طلاب العلم الذين يأوون إليها من كل مكان.

لا يخلو مجلسه من طالب علم يطلب العلم على يديه، أو مستفت يطلب الإجابة على فتواه، وله مشاركات في الدعوة إلى الله في منطقة جازان وفي أيام الحج، ودروسه لا زالت مستمرة والحمد الله حيث يقرأ عليه في المختصرات والمطولات، وله دروس عبر الهاتف لمناطق شتى ودول مختلفة.

يعد الرجل الثاني في منطقة جازان في العلم والفتوى والدعوة إلى الله بعد شيخه العالم الفاضل احمد بن يحي النجمي رحمه الله. وله ميل إلى التأليف ومن مؤلفاته المطبوعة:

١ -الحياة في ظل العقيدة الإسلامية.

٢- الأجوبة السديدة على الأسئلة الرشيدة (١-٨).

٣- شرح القصيدة الهائية لشيخه حافظ الحكمى رحمه الله . [مالي وللدنيا قصيدة لحافظ الحكمي في الزهد]

٤- الأفنان[١٧] الندية شرح «السبل السوية لفقه السنن المروية»[١٨] (١-٧).

٥ -المنهج القويم في التأسى بالرسول الكريم ﷺ.

٦- مجموعة رسائل.

٧- قطوف من نعوت السلف.

٨- الإرهاب وآثاره على الأفراد والمجتمع.

٩- المنظومات الحسان والديوان المليح (١-٢).

١٠ - الجهد المبذول في تنوير العقول بشرح منظومة وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول (١-٣).

١١- أسباب استقامة الشباب وبواعث انحرافهم.

١٢- وجوب ستر الوجه والكفين.

وتوفي يوم الخميس ١٢ جمادى الأولى ١٤٣٥ هـ.

---

[١٧] فَنَن: (اسم) الجمع : أفنان ، أفانينُ. الفَنَنُ : الغُصْنُ المستقيمُ من الشجرة

[١٨] السبل السوية لفقه السنن المروية. للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي . منظومة طويلة في الفقه وفق أبوابه المعروفة

القاعدة الأولى: وجوب دعوة الناس إلى الله على منهاج النبوة

قال المؤلف – رحمه الله – :

[١]- دعوة المسلمين والمسلمات ليستجيبوا لنداء ربّهم الملك الحق المبين، ودعوة نبيهم الناصح الأمين. وذلك بالرجوع الصادق المخلص إلى الكتاب العزيز والسنة المطهرة في كل شأن من شئونهم على منهاج السلف الصالح وأتباعهم من العلماء الربانين[١٩] والأولياء القانتين الذين عملوا به ودعوا الناس إليه بأسلوب رحيم وعلى هدي مستقيم ورجاء رحمة الله وخشية عقابه.

Règle 1 : L'obligation d'appeler les gens à Allah، suivant la voie de la prophétie.

[1]- Appeler les musulmans à répondre à l'appel clair et véridique de leur Seigneur Le Roi، et à l'appel de leur Prophète fidèle et bon conseilleur.

Et ce، en revenant véridiquement et sincèrement au Livre Puissant et à la Sounnah pure، dans toutes les affaires، sur la voie des pieux prédécesseurs et de ceux qui les ont suivies parmi les savants sages patient et enseignants، et parmi les alliés d'Allah obéissants qui l'ont mis en pratique et y ont appelé les gens، d'une manière clémente sur une voie droite، en espérant la clémence d'Allah، et en craignant sont châtiment.

والدليل على هذه القاعدة وبيان وجوب الدعوة إلى الله قوله تعالى في كتابه : ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۚ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ الشورى: ١٥

قال الشيخ السعدي – رحمه الله تعالى – في تفسير هذه الآية : « { فَلِذَلِكَ فَادْعُ } أي: فللدين القويم والصراط المستقيم، الذي أنزل الله به كتبه وأرسل رسله، فادع إليه أمتك وحضهم عليه، وجاهد عليه، من لم يقبله، { وَاسْتَقِمْ } بنفسك { كَمَا أُمِرْتَ } أي: استقامة موافقة لأمر الله، لا تفريط ولا إفراط، بل امتثالا لأوامر الله واجتنابا لنواهيه، على وجه الاستمرار على ذلك، فأمره بتكميل نفسه بلزوم الاستقامة، وبتكميل غيره بالدعوة إلى ذلك. ».

وأما في بيان المنهج الحق والسبيل السوي في الدعوة إلى الله فإنه تعالى يقول: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ يوسف: ١٠٨

قال الشيخ **السعدي** – رحمه الله تعالى – في تفسير هذه الآية : « يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: { قُلْ } للناس { هَذِهِ سَبِيلِي } أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، { أَدْعُو إِلَى اللَّهِ } أي: أحثُّ الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم، وأرغِّبهم في ذلك وأرهِّبهم مما يبعدهم عنه.

---

[١٩] قال الإمام السعدي في تفسير معنى الرباني : حكماء حلماء معلمين للناس ومربيهم.

ومع هذا فأنا { عَلَى بَصِيرَةٍ } من ديني، أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية. { وَ } كذلك { مَنِ اتَّبَعَنِي } يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة من أمره. { وَسُبْحَانَ اللَّهِ } عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله.
{ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } في جميع أموري، بل أعبد الله مخلصا له الدين. ».

وأمَّا في حق المدعو فإن الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٢٤﴾ الأنفال: ٢٤.

قال الشيخ **السعدي** – رحمه الله تعالى – في تفسير هذه الآية : « يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة للّه وللرسول، أي: الانقياد لما أمرا به والمبادرة إلى ذلك والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه والنهي عنه. وقوله: {إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} وصف ملازم لكل ما دعا اللّه ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية اللّه تعالى ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام. ثم حذر عن عدم الاستجابة للّه وللرسول فقال: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} فإياكم أن تردوا أمر اللّه أول ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن اللّه يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث شاء ويصرفها أنى شاء. فليكثر العبد من قول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب، اصرف قلبي إلى طاعتك. {وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} أي: تجمعون ليوم لا ريب فيه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بعصيانه. ».

وأمَّا من السنة المطهرة فإنه ﷺ يقول : (أَدْعُوا إلى اللهِ وحدَهُ الَّذي إن مسَّكَ ضرٌّ فدعوتَهُ كشَفَ عنكَ والَّذي إن ضللتَ بأرضٍ قَفرٍ دعوتَهُ ردَّ عليكَ والَّذي إن أصابَتكَ سَنةٌ فدعوتَهُ أنبتَ عليكَ)[٢٠].

وقوله ﷺ : (ادعوا الناسَ. وبشِّرا ولا تُنفِّرا، ويسِّرا ولا تُعسِّرا)[٢١].

[٢٠] أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٢٠). قال : وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال البخاري. أخرجه أحمد (٥ / ٦٤) : حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا خالد الحذاء عن أبي تميمة الهجيمي عن رجل من بلهجيم قال: " قلت: يا رسول الله إلى م تدعو؟ قال " فذكره وفيه زيادة تأتي في " لا تسبن أحد ". ا.هـ.

[٢١] أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٧٣٣). والإمام الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٢١).

القاعدة الثانية: العناية بمصدر التلقي

قال المؤلف – رحمه الله – :

[٢]- الحرص على العلم بالحق من مصدره الأصيل المنوه عنه آنفاً، ونشره لأهل الأرض رحمة بالخلق وإقامة الحجَّة بإيضاح المحجَّة[٢٢].

Règle 2 : Prendre soins des sources de réception de la religion

[2]- Accorder la haute importance à connaitre la vérité، puisée de ces sources authentiques précédemment citées. Et la diffusé par clémence envers les gens sur terre، en établissant les preuves et en éclaircissent le chemin.

تُعرف هذه القاعدة عند العلماء بمسألة « مصدر التلقي » وهي من بين أهمّ أصول المنهج السلفي، إذْ أنَّ العقائد والأعمال والسلوكيات مبنية على العلم، فإذا فسد العلم فسد كلّ ما بُني عليه، وإذا صلح، صلح ما يتبعه.

قال الشيخ محمد بن سعيد رسلان – حفظه الله تعالى –:

« مبنى العقيدة السليمة على التَّسليمِ الاتِّباع؛ التَّسليم لله تعالى، والاتباع لرسوله ﷺ»[٢٣].

ومن النصوص القرآنية الدالة على هذه القاعدة :

قوله تعالى : ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾ البقرة: ١٢٠.

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية : « يخبر تعالى رسوله، أنه لا يرضى منه اليهود ولا النصارى، إلا باتباعه دينهم، لأنهم دعاة إلى الدين الذي هم عليه، ويزعمون أنه الهدى، فقل لهم: { إِنَّ هُدَى اللَّهِ } الذي أرسلت به { هُوَ الْهُدَى } وأما ما أنتم عليه، فهو الهوى بدليل قوله { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } فهذا فيه النهي العظيم، عن اتباع أهواء اليهود والنصارى ».

---

[٢٢] والمَحَجَّةُ الطريق؛ وقيل: جادَّةُ الطريق؛ وقيل: مَحَجَّة الطريق سَنَنُه. لسان العرب.

[٢٣] **دعائم منهاج النبوة**; محمد رسلان. (ص: ٥٢).

قال **ابن كثير** في تفسير هذه الآية : « وقوله تعالى : (قل إن هدى الله هو الهدى) أي : قل يا محمد : إن هدى الله الذي بعثني به هو الهدى ، يعني : هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل .

قال قتادة في قوله : (قل إن هدى الله هو الهدى) قال : خُصُومةٌ عَلَّمَها اللهُ محمدًا ﷺ وأصحابه ، يخاصمون بها أهل الضلالة .

قال قتادة : وبلغنا أن رسول الله ﷺ كان يقول : "لا تزال طائفة من أمتي يقتتلون على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله". ».

قال **الطبري** : « (إن هدى الله هو الهدى) ، يعني إن بيان الله هو البيان المقنع، والقضاء الفاصل بيننا ، فهلموا إلى كتاب الله وبيانه– الذي بين فيه لعباده ما اختلفوا فيه ، وهو التوراة التي تقرون جميعا بأنها من عند الله ، يتضح لكم فيها المحق منا من المبطل ، وأينا أهل الجنة ، وأينا أهل النار ، وأينا على الصواب ، وأينا على الخطأ. ».

وقوله تعالى : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ الأنعام: ٧١.

قال السعدي في تفسير الآية : « وقوله: { قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى } أي: ليس الهدى إلا الطريق التي شرعها الله على لسان رسوله، وما عداه، فهو ضلال وردى وهلاك. { وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } بأن ننقاد لتوحيده، ونستسلم لأوامره ونواهيه، وندخل تحت عبوديته، فإن هذا أفضل نعمة أنعم الله بها على العباد، وأكمل تربية أوصلها إليهم. ».

وقوله تعالى : ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ الكهف: ٢٩.

قال **الطبري** في تفسيره : « يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا، واتبعوا أهواءهم، الحقّ أيها الناس من عند ربكم، وإليه التوفيق والخذلان». ا.هـ

وقال **القرطبي** في تفسير الآية : « قوله تعالى : (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)
الحق رفع على خبر الابتداء المضمر ; أي قل هو الحق.
وقيل: هو رفع على الابتداء ، وخبره في قوله (من ربكم) ». ا.هـ

وقوله تعالى : ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ الأعراف: ٣

قال **ابن كثير** في تفسير الآية : « ثم قال تعالى مخاطبا للعالم : (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم) أي : اقتفوا آثار النبي الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شيء ومليكه ، (ولا تتبعوا من دونه أولياء) أي : لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره ، فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره».

وقوله تعالى : ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾ الشورى: ٤٧

قال **السعدي** : « يأمر تعالى عباده بالاستجابة له، بامتثال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، وبالمبادرة بذلك وعدم التسويف ».

وقوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ الأنفال: ٢٠

قال **السعدي** : « لما أخبر تعالى أنه مع المؤمنين، أمرهم أن يقوموا بمقتضى الإيمان الذي يدركون به معيته، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} بامتثال أمرهما واجتناب نهيهما. {وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ} أي: عن هذا الأمر الذي هو طاعة اللّه، وطاعة رسوله. {وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ} ما يتلى عليكم من كتاب اللّه، وأوامره، ووصاياه، ونصائحه، فتوليكم في هذه الحال من أقبح الأحوال. ».

وقوله تعالى : ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ الزخرف: ٤٣

وقوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ الحجرات: ١

ومن السنَّة المطهرة قوله ﷺ (عليكم بسنتي وسنَّة الخلفاء الرَّاشدين المهديين من بعدي، تمسَّكوا بها وعضُّوا عليها بالنَّواجذ)[٢٤].

وقوله ﷺ : (إني تركتم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)[٢٥].

وقوله ﷺ : (مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَّ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَّ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي، وَإِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللهَّ وَعَدَلَ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ)[٢٦].

وقال الشيخ زيد – رحمه الله تعالى – : « وحيث إن كتاب الله الكريم وسنة رسوله ﷺ الرؤوف الرحيم هما الصراط المستقيم فقد أتى الأمر من الله لجميع أمة محمد ﷺ أن يتبعوهما وذلك بامتثال أوامرهما واجتناب نواهيهما وتصديق أخبارهما والتحاكم إليهما والرجوع عند النِّزاع إليهما والتحلي بما فيهما من فضائل وكلاهما دعوة إلى التحلي بالفضائل والتخلي هن الرذائل، حيث قال تبارك وتعالى :﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ الأنعام: ١٥٣

وقد أتى تفسير هذه الآية من مشكاة النبوة؛ ففي مسند الإمام أحمد (٤٤٣٧) عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال (خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال : هذا سبيل الله مستقيما قال : ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال : هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ الأنعام: ١٥٣)[٢٧] »[٢٨].

وقال الشيخ محمد سعيد رسلان – حفظه الله تعالى – : « يتلخَّص منهج السَّلف في العقيدة في هذه الأمور:

---

[٢٤] أخرجه أحمد [١٧١٤٥]، وأبو داود [٤٦٠٧]، والترمذي [٢٦٧٦]، وابن ماجه [٤٣]. وانظر : « سلسلة الأحاديث الصحيحة »[٩٣٧].

[٢٥] صححه الألباني في « صحيح ابن ماجه » [٤١]. وهو بعض من الذي قبله في بعض طرقه.

[٢٦] أخرجه البخاري [٢٩٥٧]، ومسلم [١٨٣٥].

[٢٧] أخرج الإمام أحمد في مسنده برقم ٦/ ١٩٩، إسناده صحيح.

[٢٨] **الأجوبة السديدة عن الأسئلة الرشيدة**; زيد المدخلي. (ص : ٢٦٥).

١- حصرهم مصدر التَّلقِّي في باب الاعتقاد في كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ، مع فهمهم للنصُّوص في ضوء فهم السَّلف الصَّالح... وهذا قَيدٌ مهمٌّ جدًا؛ لأن الكُلَّ يَدَّعي الكتاب والسنة، والفارق هاهنا بين أهل السُنة وغيرهم، أنهم يقولون : الكتاب والسُنَّة بفهم سلف الأمة...

٢-يحتجون بالسُّنَّة الصحيحة في العقيدة، سواء كانت هذه السُّنَّة الصحيحة متواترةً أمْ آحادًا.

٣- التسليم بما جاء به الوحي، وعدم ردِّه بالعقل، وعدم الخوض في الأمور الغيبيَّة التي لا مجال للعقل فيها، مع عدم الخوض في علم الكلام والفلسفة، ورفض التأويل الباطل، والجمع بين النصوص في المسألة الواحدة. »[٢٩].

[٢٩] **دعائم منهاج النبوة**; محمد رسلان. (ص : ٥٦).

القاعدة الثالثة: الدين النصيحة

قال المؤلف – رحمه الله – :

[٣]- وجوب بذل النصح ممن يُحسنه للمسلمين والمسلمات، إذْ أن ذلك من أعظم الفرائض وأزكى القربات. بشرط أن يكون الناصح مُتحلياً بالعلم والحلم والصدق والإخلاص.

وكيف لا تكون هذه المنزلة الرفيعة للنصيحة، وقد قال النبي الكريم ﷺ : ((الدين النصيحة ...))[٣٠] . الحديث .

Règle 3 : La religion c'est le bon conseil.

[3]- L'obligation – pour celui qui en a la capacité – de prodiguer des efforts dans le conseil aux musulmans، car cela fait partie des plus grands devoirs et des plus purs moyen de se rapprocher d'Allah. A condition que le conseilleur soit doué de science، de patience، de véracité et d'une bonne intention.

Comment ne pas donner ce haut rang au conseil، alors que le Prophète [Paix et salut sur lui] dit : (la religion، c'est le bon conseil).

والدليل على هذه القاعدة من القرآن :

قوله تعالى : ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ الأعراف: ٧٨ - ٧٩

قال الشيخ **السعدي** – رحمه الله تعالى – في تفسير هذه الآية : « { يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ } أي: جميع ما أرسلني اللّه به إليكم، قد أبلغتكم به وحرصت على هدايتكم، واجتهدت في سلوككم الصراط المستقيم والدين القويم. { وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ } بل رددتم قول النصحاء، وأطعتم كل شيطان رجيم. ».

وقوله تعالى : ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ التوبة: ٩١

[٣٠] أخرجه مسلم [٥٥].

قال الشيخ **السعدي** – رحمه الله تعالى – في تفسير هذه الآية : « {وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ} أي: لا يجدون زادا، ولا راحلة يتبلغون بها في سفرهم، فهؤلاء ليس عليهم حرج، بشرط أن ينصحوا للّه ورسوله، بأن يكونوا صادقي الإيمان، وأن يكون من نيتهم وعزمهم أنهم لو قدروا لجاهدوا، وأن يفعلوا ما يقدرون عليه من الحث والترغيب والتشجيع على الجهاد. ».

والدليل على هذه القاعدة من السنَّة :

عن أبي رُقَيَّةَ تميم بن أوس الداري قال رسول الله ﷺ : (الدِّينُ النَّصيحةُ قلنا : لمن ؟ قال : للهِ ولكتابِهِ ولرسولِهِ ولأئمَّةِ المسلمينَ وعامَّتِهم)[31].

أما أصل النصيحة في اللغة : « نصح: نَصَحَ الشيءُ: خَلَصَ. والناصحُ: الْخَالِصُ مِنَ الْعَسَلِ وَغَيْرِهِ. وَكُلُّ شيءٍ خَلَصَ، فَقَدْ نَصَحَ؛ قَالَ ساعدةُ بْنُ جُؤَيَّةَ الْهُذَلِيُّ يَصِفُ رَجُلًا مَزَجَ عَسَلًا صَافِيًا بماءٍ حَتَّى تَفَرَّقَ فِيهِ:

فأَزالَ مُفْرِطَها بأَبيضَ ناصِحٍ، ... مِنْ ماءِ أَلْهابٍ، بهنَّ التَّأْلَبُ »[32].

قال ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة : « (نَصَعَ) النُّونُ وَالصَّادُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى خُلُوصٍ وَلِينٍ فِي الشَّيْءِ. مِنْهُ النَّاصِعُ: الْحَسَنُ اللَّوْنِ الشَّدِيدُ الْبَيَاضِ. وَالنِّصْعُ: ضَرْبٌ مِنَ الثِّيَابِ شَدِيدُ الْبَيَاضِ. وَنَصَعَ الْحَقُّ: وَضَحَ.»[33].

وقال ابن الأثير في شرح غريب هذا الحديث : « النَّصِيحَةُ: كَلِمَةٌ يُعَبَّرُ بِهَا عَنْ جُمْلَةٍ، هِيَ إِرَادَةُ الْخَيْرِ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ، وَلَيْسَ يُمكنُ أَنْ يُعَبَّرَ هَذَا الْمَعْنَى بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَجْمَع مَعْنَاهُ غَيْرِهَا.

وَأَصْلُ النُّصْحِ فِي اللُّغَةِ: الخُلوص. يُقَالُ: نَصَحْتُهُ، ونَصَحْتُ لَهُ.

- وَمَعْنَى نَصِيحَةُ اللهَّ: صِحَّةُ الِاعْتِقَادِ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ، وإخلاصُ النِّيَّة فِي عبادته.
- والنَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللهَّ: هُوَ التَّصْدِيقُ بِهِ والعمَلُ بِمَا فِيهِ.
- ونَصِيحَةُ رَسُولِهِ: التَّصْدِيقُ بنُبُوَّته ورسالتِه، والانْقياد لِمَا أمَر بِهِ ونَهَى عَنْهُ.

---

[31] رواه مسلم في صحيحه برقم[٥٥] .

[32] **لسان العرب**; محمد ابن منظور. (٢/ ٦١٥).

[33] **معجم مقاييس اللغة**; أحمد بن فارس. بَابُ النُّونِ وَالصَّادِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا. (٥/ ٤٣٥).

- ونَصِيحَةُ الْأَئِمَّةِ: أَنْ يُطِيعَهم فِي الحَقِّ، وَلَا يَرى الخروجَ عَلَيْهِمْ إِذَا جارُوا.
- ونَصِيحَةُ عَامَّةِ المُسْلِمِينَ: إرشادُهم إِلَى مصالِحِهم.

وَفِي حَدِيثِ أُبَيّ «سألتُ النبيَّ ﷺ عَنِ التَّوْبة النَّصُوحِ، قَالَ: هِيَ الخالِصة الَّتِي لَا يُعاوَدُ بَعدها الَّذنْبُ» وفَعول مِنْ أَبْنِية المُبَالَغةِ، يَقَع عَلَى الذَكَر وَالأُنْثَى، فكأنَّ الْإِنْسَانَ بالَغَ فِي نُصْح نفسِه بِهَا. »[34].

يقول الشيخ ربيع بن هادي المدخلي – حفظه الله تعالى – : « هذا حديث عظيم.

- وقالوا : إن الدين يدور عليه وعلى ثلاثة أحاديث أُخَر .
- وبعضهم يقول : إنه ربع الدين،
- والنووي يقول : مدار الإسلام عليه ،
- وأبو داود يقول : مدار الفقه على أربعة أحاديث : حديث " إنما الأعمال بالنيات" ، وحديث " الحلال بين والحرام بيّن "؛ حديث النعمان بن بشير، وهذا الحديث " الدين النصيحة " والرابع حديث " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك "

فهو من الأحاديث العظيمة التي لابد من العناية بها، والتفقه فيها.»[35].

يقول الإمام ابن باز في شرح الحديث : « هذا الحديث يدل على أن النصيحة هي الدين وهي الإخلاص في الشيء والصدق فيه حتى يؤدى كما أوجب الله، فالدين النصيحة في جميع ما أوجب الله، وفي ترك ما حرم الله، وهذا يعم حق الله وحق الرسول وحق القرآن وحق الأئمة وحق العامة.

والنصيحة كما تقدم هي الإخلاص في الشيء والعناية بها، والحرص على أن يؤدى كاملاً تاماً لا غش فيه ولا خيانة ولا تقصير، يقال في لغة العرب: ذهبٌ ناصح، أي ليس فيه غش. ويقولون أيضاً: عسل ناصح، يعني ليس فيه غش.

وهكذا يجب أن يكون المؤمن في أعماله ناصحاً لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. »[36].

---

[34] **النهاية في غريب الحديث والأثر**؛ المبارك ابن الأثير. (٥/ ٦٣).

[35] شرح حديث " الدين النصيحة " لفضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي – حفظه الله تعالى – بتاريخ : ٣٠ – ٩ – ١٤٢٦.
http://www.rabee.net/ar/articles.php?cat=11&id=273

قال الإمام النووي في شرح الحديث : « هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمُ الشَّأْنِ وَعَلَيْهِ مَدَارُ الْإِسْلَامِ كَمَا سَنَذْكُرُهُ مِنْ شَرْحِهِ وَأَمَّا مَا قَالَهُ جماعات من العلماء أن أَحَدُ أَرْبَاعِ الْإِسْلَامِ أَيْ أَحَدُ الْأَحَادِيثِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي تَجْمَعُ أُمُورَ الْإِسْلَامِ فَلَيْسَ كَمَا قَالُوهُ بَلِ الْمَدَارُ عَلَى هَذَا وَحْدَهُ.

...

وَأَمَّا شَرْحُ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهُ النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ مَعْنَاهَا حِيَازَةُ الْحَظِّ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ قَالَ وَيُقَالُ هُوَ مِنْ وَجِيزِ الْأَسْمَاءِ وَمُخْتَصَرِ الْكَلَامِ وَلَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَلِمَةٌ مُفْرَدَةٌ يُسْتَوْفَى بِهَا العبارة عن المعنى هَذِهِ الْكَلِمَةِ كَمَا قَالُوا فِي الْفَلَاحِ لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَلِمَةٌ أَجْمَعَ لِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْهُ قَالَ.

وَقِيلَ النَّصِيحَةُ مَأْخُوذَةٌ مِنْ نَصَحَ الرَّجُلُ ثَوْبَهُ إِذَا خَاطَهُ فَشَبَّهُوا فِعْلَ النَّاصِحِ فِيمَا يَتَحَرَّاهُ مِنْ صَلَاحِ الْمَنْصُوحِ لَهُ بِمَا يَسُدُّهُ مِنْ خَلَلِ الثَّوْبِ قَالَ وَقِيلَ إِنَّهَا مَأْخُوذَةٌ مِنْ نَصَحْتَ الْعَسَلَ إِذَا صَفَّيْتَهُ مِنَ الشَّمْعِ شَبَّهُوا تَخْلِيصَ الْقَوْلِ مِنَ الْغِشِّ بِتَخْلِيصِ الْعَسَلِ مِنَ الْخَلْطِ قَالَ وَمَعْنَى الْحَدِيثِ عماد الدين وقوامه النصحية كَقَوْلِهِ الْحَجُّ عَرَفَةُ أَيْ عِمَادُهُ وَمُعْظَمُهُ عَرَفَةُ وَأَمَّا تَفْسِيرُ النَّصِيحَةِ »[٣٧].

يقول ابن رجب عليه رحمة الله إن شرح هذا الحديث مبين شمولية النصيحة وانتظامها للدين كله.

قال عليه رحمة الله وقد أخبر النبي ﷺ أن الدين النصيحة فهذا يدل على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل وسمى ذلك كله ديناً فإن النصح لله يقتضي القيام بأداء واجباته على أكمل وجوهها وهو مقام الإحسان فلا يكمل النصح لله بدون ذلك ولا يتأتى ذلك بدون كمال المحبة الواجبة والمستحبة ويستلزم ذلك الاجتهاد في التقرب إليه بنوافل الطاعات على هذا الوجه وترك المحرمات والمكروهات على هذا الوجه أيضاً .

---

[٣٦] السائل يطلب شرح حديث ((الدين النصيحة..))؟ . http://www.binbaz.org.sa/fatawa/3324

[٣٧] شرح الحديث رقم ٩٥ – (٥٥) من صحيح مسلم. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**؛ يحيى النووي. (٢/ ٣٧).

ويقول الإمام الخطابي عليه رحمة الله فمعنى النصيحة لله سبحانه وتعالى صحة الاعتقاد في وحدانيته وإخلاص النية في عبادته والنصيحة لكتابه الإيمان به والعمل بما فيه والنصيحة لرسوله والتثبيت بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه والنصيحة لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم.

إذن يفهم من هذا المعنى أن النصيحة لا تقتصر على مجرد القول باللسان – الذي يتضمن المصلحة والمنفعة للمنصوح له – بل هو يشمل الدين كله كما بين الرسول ﷺ لأنه ينتظم علاقة المرء مع ربه عز وجل ومع نبيه ﷺ ومع الرسالة التي هو مكلف بها ومع الناس كلهم مسلمين وكافرهم بارهم وفاجرهم. ولهذا كان الدين النصيحة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام.

شرح معنى الحديث

يقول الإمام ابن باز – رحمه الله تعالى – : «

فـالنصيحة لله توحيده سبحانه وتعالى والإخلاص له وصرف العبادة له جل وعلا من صلاة وصوم وحج وجهاد وغير ذلك.

يعني: أن يعمل في غاية الإخلاص لله، لا يعبد معه سواه بل يعبده وحده، وينصح في هذه العبادة ويكملها، مع الإيمان به وبكل ما أمر به، وهكذا ينصح في أداء ما فرض الله عليه وترك ما حرم الله عليه يؤدي ذلك كاملاً لعلمه بحق الله وأن الله أوجبه عليه فهو يخلص في ذلك ويعتني به.

وهكذا في حق القرآن يتدبره ويتعقله ويعمل بما فيه من أوامر، وينتهي عن النواهي، وهو كتاب الله العظيم وحبله المتين، فالواجب العناية والنصح في ذلك قولاً وعملاً وذلك بحفظ الأوامر وترك النواهي، والوقوف عند الحدود التي بينها الله في القرآن الكريم حتى لا تخل بشيء من أوامر الله في القرآن، وحتى لا ترتكب شيئاً من محارم الله، مع الإيمان بأنه كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، هذا قول أهل السنة والجماعة قاطبة، كما قال عز وجل: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ[٢]، وقال سبحانه: تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ[٣]. وقال عز وجل: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ[٤]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه كلام الله سبحانه، وأنه منزل من عنده. فالمؤمن يؤمن بهذا كله وهكذا المؤمنة، ويعتقد كل منهما أنه كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود خلافاً للجهمية ومن سار في ركابهم من المبتدعة.

وهكذا النصح للرسول ﷺ، يكون بطاعة أوامره واجتناب نواهيه والإيمان بأنه رسول الله حقاً وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، مع الدفاع عن سنته والذب عنها، كل هذا من النصح للرسول ﷺ، وهكذا العناية بأحاديثه ﷺوبيان صحيحها من سقيمها، والذب عنها والامتثال بها، والوقوف عند الحدود التي حددها الله ورسوله، كما قال تعالى: تِلْكَ حُدُودُ اللهِّ فَلاَ تَعْتَدُوهَا[٥] الآية، هذه هي النصيحة للرسول ﷺ، وما زاد عن ذلك من أداء الواجبات وترك المحرمات كان كمالاً للنصيحة وتماماً لها.

فالحاصل أنه بعنايته بما أمر الله به ورسوله وما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله من الحقوق يكون قد نصح لله ولكتابه ولرسوله؛ لأداء فرائض الله وترك محارم الله، والوقوف عند حدود الله، والإكثار من الثناء عليه، وذكره سبحانه وتعالى وخشيته جل وعلا، كل هذا من النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ.

أما النصيحة لأئمة المسلمين فبالدعاء لهم والسمع والطاعة لهم في المعروف، والتعاون معهم على الخير وترك الشر، وعدم الخروج عليهم، وعدم منازعتهم، إلا أن يوجد منهم كفر بواح عليهم برهان من الله سبحانه وتعالى، كما جاء ذلك في حديث عبادة بن الصامت ﷺ في مبايعة الأنصار للنبي ﷺ.

ومن النصيحة لهم: توجيههم إلى الخير وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بالأسلوب الحسن والرفق وسائر الطرق المفيدة؛ عملاً بهذا الحديث الصحيح، ويقول الله عز وجل: وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى[٦]، وقوله سبحانه: وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ[٧].

وأما النصيحة لعامة المسلمين فإنها تكون بتعليمهم وتفقيههم في الدين ودعوتهم إلى الله سبحانه وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وإقامة الحدود عليهم والتعزيرات الشرعية كل هذا من النصيحة لهم. والله ولي التوفيق. »[٣٦].

وقال الشيخ ربيع : « فيُتعاون معهم على المعروف، ولا يُطاعون في معصية الله، ويُنصحون بالرِّفق واللطف والأدب واللين، والعاقل يدرك هذا، الآن عامي، جاهل، فقير، ضعيف، إذا ما ترفق به في النصيحة لا يقبل منك، كيف بحاكم له دولة والطيران والسلاح وكذا ؟! تتطاول عليه وتهينه وتريد أن تضرب عليه، لا تريده، الذي يريد الخير لا يفعل هذا، الذي

يريد أن ينصح لله ولكتابه ولرسوله لا يفعل مثل هذا الأسلوب، والتهييج والإثارات، والتشهير؛ هذا كله من الفساد في الأرض، وضدّ النصيحة التي فرضها الله علينا. »[٣٥].

القاعدة الرابعة: السلفية عقيدة وعمل

قال المؤلف – رحمه الله – :

[٤]- منهج السلف الصالح وأَتْباعهم لا ينحصر في مباحث الاعتقاد، بل إنه عقيدة وعمل بِما تحمل كلمة العمل من معنى.

وعليه فالسلفية: عقيدة وعمل.

Règle 4 : La Salafiya est croyance et actes.

[4]- La méthodologie des pieux prédécesseurs et de ceux qui les ont suivies، ne se résume pas en des questions de croyances uniquement، mais c'est plutôt des croyances et des actes، dans tous les sens du terme « actes ».

De ce fait، la Salafiya : c'est des croyances et des actes.

الآيات التي يمدح اللهُ فيها مَن يقرن الإيمان بالعمل الصالح كثيرة. فمنها قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ البقرة: ٢٥

وقوله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ التوبة: ٣٢ – ٣٣

قال **السعدي** في شرح هذه الآية : « بين تعالى هذا النور الذي قد تكفل بإتمامه وحفظه فقال: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى} الذي هو العلم النافع {وَدِينِ الْحَقِّ} الذي هو العمل الصالح فكان ما بعث الله به محمدا ﷺ مشتملا على

- بيان الحق من الباطل في أسماء الله وأوصافه وأفعاله، وفي أحكامه وأخباره،
- والأمر بكل مصلحة نافعة للقلوب، والأرواح والأبدان
  - من إخلاص الدين لله وحده،
  - ومحبة الله وعبادته،
  - والأمر بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم،
  - والأعمال الصالحة والآداب النافعة،
  - والنهي عن كل ما يضاد ذلك ويناقضه من الأخلاق والأعمال السيئة المضرة للقلوب والأبدان والدنيا والآخرة. ».

وقوله تعالى : ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ العصر: ١ - ٣

قال **السعدي** في شرح هذه الآية : « أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد وأعمالهم أن كل إنسان خاسر، والخاسر ضد الرابح.

والخسار مراتب متعددة متفاوتة:

- قد يكون خسارًا مطلقًا، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم.
- وقد يكون خاسرًا من بعض الوجوه دون بعض،

ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات:

- الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به.
- والعمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده (١) ، الواجبة والمستحبة.
- والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضًا بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه.
- والتواصي بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة.

فبالأمرين الأولين، يكمل الإنسان نفسه،

وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح [العظيم] . ».

وقوله تعالى : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾ الملك: ١ - ٢

قال **السعدي** في شرح هذه الآية : « {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا} أي: أخلصه وأصوبه، فإن الله خلق عباده، وأخرجهم لهذه الدار، وأخبرهم أنهم سينقلون منها، وأمرهم ونهاهم، وابتلاهم بالشهوات المعارضة لأمره، فمن انقاد لأمر الله وأحسن العمل، أحسن الله له الجزاء في الدارين، ومن مال مع شهوات النفس، ونبذ أمر الله، فله شر الجزاء.».

قال **الفضيل بن عياض** رحمه الله: « "أخلصه وأصوبه"

قيل يا أبا علي: "ما أخلصه وأصوبه"؟.

فقال:

- إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا، لم يقبل.
- وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا.

والخالص: أن يكون لوجه الله، والصواب: أن يكون متبعا فيه الشرع والسنة.»

وقد ذم الله تعالى من يأمر بالخير ولا يأتيه فقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ الصف: ٢ - ٣

قال **السعدي** في شرح هذه الآية : « أي: لم تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون به ومتصفون به.

فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟ ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه».

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – في معرض الرد على الفلاسفة الذين حصروا كمال النفس في مجرد العلم فقط : « والمقصود هنا التنبيه على أنه لو قُدّر أن النفس تكمل بمجرد العلم كما زعموه – مع أنه قول باطل – فإن النفس لها قوتان :

- قوة علمية نظرية
- وقوة إرادية عملية

فلا بد لها من كمال القوتين بمعرفة الله وعبادته.

وعبادته تجمع محبتَه والذلَّ له. فلا تكمل نفس قط إلا بعبادة الله وحده لا شريك له.

والعبادة تجمع معرفته ومحبته والعبودية له.

وبهذا بعث الله الرسل وأنزل الكتب الإلهية كلها تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له.»[٣٨].

بل ذمَّ أهل السنَّة والجماعة تلك الفرقة الضالة التي أخرجت العمل من مسمى الإيمان، وهي فرقة المرجئة. فقد جاء الرد الوفر من سلفنا الصالح عليهم وأظهروا وانتصروا للقول بأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وهو القول الموافق لما في كتاب الله وسنَّة رسول الله[٣٩].

ومما ينسب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ القول المشهور : « هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل ».

ولعلَّ من أنفس وأجود وأكمل ما صُنف في هذا الباب – أي الجمع بين العلم والعمل – مصنف ابن قيم الجوزية الذي سماه : « مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة » فإنه بنى كتابه هذا على هذين الأصلين اعلم والإرادة. وقد أودع فيه من الأدلة على فضل العلم ما لا مزيد عليها، وبيَّن حاجة الناس إلى الشريعة وأنها فوق كلّ حاجة، وذكر من عجائب الخلق والحكم الشيء الكثير. فليرجع إليه من أراد أن تزداد بصيرته.

---

[٣٨] **الرد على المنطقيين**; أحمد ابن تيمية. (١٤٤). طبعة دار المعرفة. و (١٨٧) من طبعة مؤسسة الريان.

[٣٩] انظر : **الإيمان**; أحمد ابن تيمية.

القاعدة الخامسة: جمع كلمة المسلمين بلزوم السنَّة ونبذ البدعة

قال المؤلف – رحمه الله – :

[٥]- السعي الحثيث والجهاد المخلص الدائم على جمع كلمة المسلمين والتعاون بينهم على البر والتقوى.

ألا وإن خير معين على جمع الكلمة ووحدة الصف وتحقيق منهج التعاون على البر والتقوى هو :

- **لزوم السنة وإحياؤها بالتصفية والنشر،**
- **ومحاربة البدع التي يريد أهلها هدم السنن؛ ليحققوا مقاصدهم الخاطئة بحسن نية أو بعكس ذلك.**

Règle 5 : Unir la parole des musulmans en se conformant à la Sounnah et en rejetant l'innovation.

[5]- Rechercher implacablement et s'efforcer perpétuellement et s'animer de bonne intention à unir la parole des musulmans، et à s'entraider à réaliser le bien et la piété.

Et la meilleur chose qui puisse nous aider à unir la parole، à unifier le rang، et à concrétiser la méthodologie de l'entraide sur le bien et la piété c'est de :

- Se conformer à la Sounnah، la revivifier، la purifier، et la propager.
- Combattre les innovations، dont les auteurs souhaite par le biais de celles-ci، détruire la Sounnah; afin d'atteindre leurs objectifs، qu'ils ais une bonne ou mauvaise intention.

الأدلة على وجوب جمع كلمة المسلمين

قاله تعالى : ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ آل عمران: ١٠٣

(Et cramponnez-vous tous ensemble au «Habl» (câble) d'Allah et ne soyez pas divisés; et rappelez-vous le bienfait d'Allah sur vous: lorsque vous étiez ennemis، c'est Lui qui réconcilia vos cœurs. Puis، par Son bienfait، vous êtes devenus frères. Et alors que vous étiez au bord d'un abîme de Feu، c'est Lui qui vous en a sauvés. Ainsi Allah vous montre Ses signes afin que vous soyez bien guidés.)

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية : « ثم أمرهم تعالى بما يعينهم على التقوى وهو الاجتماع والاعتصام[40] بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى. كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام. ثم ذكرهم تعالى نعمته وأمرهم بذكرها فقال: { واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء } يقتل بعضكم بعضا، ويأخذ بعضكم مال بعض، حتى إن القبيلة يعادي بعضهم بعضا، وأهل البلد الواحد يقع بينهم التعادي والاقتتال، وكانوا في شر عظيم، وهذه حالة العرب قبل بعثة النبي ﷺ فلما بعثه الله وآمنوا به واجتمعوا على الإسلام وتآلفت قلوبهم على الإيمان كانوا كالشخص الواحد، من تآلف قلوبهم وموالاة بعضهم لبعض، ولهذا قال: { فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار } أي: قد استحقيتم النار ولم يبق بينكم وبينها إلا أن تموتوا فتدخلوها { فأنقذكم منها } بما مَنَّ عليكم من الإيمان بمحمد ﷺ { كذلك يبين الله لكم آياته } أي: يوضحها ويفسرها، ويبين لكم الحق من الباطل، والهدى من الضلال { لعلكم تهتدون } بمعرفة الحق والعمل به، وفي هذه الآية ما يدل أن الله يحب من عباده أن يذكروا نعمته بقلوبهم وألسنتهم ليزدادوا شكرا له ومحبة، وليزيدهم من فضله وإحسانه، وإن من أعظم ما يذكر من نعمه نعمة الهداية إلى الإسلام، واتباع الرسول ﷺ واجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقها. ».

قال **البغوي** في تفسير هذه الآية : « قوله عز وجل : (واعتصموا بحبل الله جميعا) الحبل : السبب الذي [يتوصل] به إلى البغية وسمي الإيمان حبلا لأنه سبب يتوصل به إلى زوال الخوف .

واختلفوا في معناه هاهنا،

قال ابن عباس: معناه تمسكوا بدين الله،

وقال ابن مسعود: هو الجماعة، وقال: عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر الله به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة.

وقال مجاهد وعطاء: بعهد الله،

وقال قتادة والسدي : هو القرآن ،

وروي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: " إن هذا القرآن هو حبل الله وهو النور المبين، والشفاء النافع، وعصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه "

وقال مقاتل بن حيان: بحبل الله: أي بأمر الله وطاعته.

(ولا تفرقوا) كما [افترقت] اليهود والنصارى ، أخبرنا أبو الحسن السرخسي ، أنا زاهر بن أحمد ، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي ، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثا ، ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا وأن تناصحوا من ولى الله أمركم ، ويسخط لكم : قيل وقال ، وإضاعة المال وكثرة السؤال " . ».

معنى الجماعة

ذكر الشيخ محمد بازمول في مذكرته[41] تعريف للجماعة عند أهل السنة والجماعة ، وفرق بينها بين مفهومها عند الفرق المنحرفة،

فقال عن تعريف الجماعة عند الخوارج والإخوان المسلمين: هي التي اتفقت آراء جميع المسلمين فيها على إمام واحد بعقد بيعة... وقالوا: يجب على المسلمين السعي لإيجاد هذه الجماعة، وتنصيب الإمام المتفق على بيعته.

وأمّا تعريف الجماعة عند أصحاب المذهب الثاني : هي الجماعات الإسلامية القائمة الآن، المعروفة بأسمائها وقادتها ونظامها وأعضائها. قالوا : لأنها كلها إلا وسائل للدعوة جائزة.

---

[40] استعصم بالله احتمى به من الوقوع في المعاصي. [المعجم: مصطلحات فقهية]. العِصْمة في كلام العرب: المَنْعُ. [لسان العرب].

[41] انظر : **مذكرة الجماعة والإمامة**؛ محمد بازمول. (١٠)

وأمّا تعريف الجماعة عند أهل السنة والجماعة : فهم القوم المجتمعون على الاستمساك بالكتاب والسنَّة، الذين يؤثرون كلام الله تعالى، على كلام كل أحد، ويقدمون هدي رسول الله ﷺ على هدي كل أحد. وهذا هو الحق الذي دلت عليه الأدلة الشرعية من كتاب وسنة و أقوال السلف الصالح.

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٥ - ١٠٧

(Et ne soyez pas comme ceux qui se sont divisés et se sont mis à disputer، après que les preuves leur furent venues، et ceux-là auront un énorme châtiment.)

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية : « ثم نهاهم عن التشبه بأهل الكتاب في تفرقهم واختلافهم، فقال: { ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا } ومن العجائب أن اختلافهم { من بعد ما جاءهم البينات } الموجبة لعدم التفرق والاختلاف، فهم أولى من غيرهم بالاعتصام بالدين، فعكسوا القضية مع علمهم بمخالفتهم أمر الله، فاستحقوا العقاب البليغ، ولهذا قال تعالى: { وأولئك لهم عذاب عظيم } ».

وقوله تعالى : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ الشورى: ١٣

(Il vous a légiféré en matière de religion، ce qu'Il avait enjoint à Noé، ce que Nous t'avons révélé، ainsi que ce que Nous avons enjoint à Abraham، à Moïse et à Jésus: «Etablissez la religion; et n'en faites pas un sujet de divisions». Ce à quoi tu appelles les associateurs leur paraît énorme Allah élit et rapproche de Lui qui Il veut et guide vers Lui celui qui se repent.)

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية : « ... ولهذا قال: { أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ } أي: أمركم أن تقيموا جميع شرائع الدين أصوله وفروعه، تقيمونه بأنفسكم، وتجتهدون في إقامته على غيركم، وتعاونون على البر والتقوى ولا تعاونون على الإثم والعدوان. { وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } أي: ليحصل منكم الاتفاق على أصول الدين وفروعه، واحرصوا على أن لا تفرقكم المسائل وتحزبكم أحزابا، وتكونون شيعا يعادي بعضكم بعضا مع اتفاقكم على أصل دينكم. »

وقوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ الأنفال: ٤٦

(Et obéissez à Allah et à Son messager; et ne vous disputez pas، sinon vous fléchirez et perdrez votre force. Et soyez endurants، car Allah est avec les endurants.)

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية : « {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} في استعمال ما أمرا به، والمشي خلف ذلك في جميع الأحوال. {وَلَا تَنَازَعُوا} تنازعا يوجب تشتت القلوب وتفرقها، {فَتَفْشَلُوا} أي: تجبنوا {وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} أي: تنحل عزائمكم، وتفرق قوتكم، ويرفع ما وعدتم به من النصر على طاعة اللّه ورسوله. {وَاصْبِرُوا} نفوسكم على طاعة اللّه {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} بالعون والنصر والتأييد، واخشعوا لربكم واخضعوا له. »

وقوله تعالى : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٩

(Ceux qui émiettent leur religion et se divisent en sectes, de ceux-là tu n'es responsable en rien: leur sort ne dépend que d'Allah. Puis Il les informera de ce qu'ils faisaient.)

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية : « يتوعد تعالى الذين فرقوا دينهم، أي: شتتوه وتفرقوا فيه، وكلٌّ أخذ لنفسه نصيبا من الأسماء التي لا تفيد الإنسان في دينه شيئا، كاليهودية والنصرانية والمجوسية. أو لا يكمل بها إيمانه، بأن يأخذ من الشريعة شيئا ويجعله دينه، ويدع مثله، أو ما هو أولى منه، كما هو حال أهل الفرقة من أهل البدع والضلال والمفرقين للأُمة. ودلت الآية الكريمة أن الدين يأمر بالاجتماع والائتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف في أهل الدين، وفي سائر مسائله الأصولية والفروعية. وأمره أن يتبرأ ممن فرقوا دينهم فقال: { لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } أي لست منهم وليسوا منك، لأنهم خالفوك وعاندوك. { إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ } يردون إليه فيجازيهم بأعمالهم { ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } ».

قال **البغوي** في تفسير هذه الآية : « قوله – عز وجل – : (إن الذين فرقوا دينهم) قرأ حمزة والكسائي : " فارقوا " ، بالألف هاهنا وفي سورة الروم ، أي : خرجوا من دينهم وتركوه وقرأ الآخرون : " فرقوا " مشددا ، أي : جعلوا دين الله وهو واحد – دين إبراهيم عليه السلام الحنيفية – أديانا مختلفة ، فتهود قوم وتنصر قوم ، يدل عليه قوله – عز وجل – : (وكانوا شيعا) أي : صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى في قول مجاهد وقتادة والسدي .

وقيل : هم أصحاب البدع والشبهات من هذه الأمة . وروي عن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله – ﷺ – قال لعائشة : " يا عائشة إن الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا هم أصحاب البدع والشبهات من هذه الأمة " .

حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد بن زياد الحنفي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الأنصاري أنا أبو عبد الله محمد بن عقيل بن الأزهري بن عقيل الفقيه البلخي أنا الرمادي أحمد بن منصور أنا الضحاك بن مخلد أنا ثور بن يزيد أنا خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن العرباض بن سارية قال : " صلى بنا رسول الله – ﷺ – الصبح فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، وقال قائل : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا : فقال : " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا ، فإن من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة " .

وروي عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله – ﷺ – : " إن بني إسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين فرقة ، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم في النار إلا واحدة " ، قالوا : من هي يا رسول الله؟ قال : " ما أنا عليه وأصحابي " .

قال عبد الله بن مسعود : " فإن أحسن الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها " . ورواه جابر مرفوعا إلى رسول الله – ﷺ – . قوله – عز وجل – : (لست منهم في شيء) قيل : لست من قتالهم في شيء ، نسختها آية القتال وهذا على قول من يقول : المراد في الآية اليهود والنصارى ، ومن قال : أراد بالآية أهل الأهواء قال : المراد من قوله : " لست منهم في شيء " أي أنت منهم بريء وهم منك برآء ، تقول العرب : إن فعلت كذا فلست مني ولست منك أي : كل واحد منا بريء من صاحبه ، (إنما أمرهم إلى الله) يعني : في الجزاء والمكافآت ، (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) إذا وردوا للقيامة . ».

ومن السنة قوله ﷺ : « إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ »[٤٢].

[٤٢] أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٧١٥). من حديث أبي هريرة ﷺ.

قال الإمام **النووي** في شرح هذا الحديث : « ...

وَأَمَّا الِاعْتِصَامُ بِحَبْلِ اللَّهِ فَهُوَ التَّمَسُّكُ بِعَهْدِهِ وَهُوَ اتِّبَاعُ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَحُدُودِهِ وَالتَّأَدُّبِ بِأَدَبِهِ

وَالْحَبْلُ يُطْلَقُ عَلَى الْعَهْدِ وَعَلَى الْأَمَانِ وَعَلَى الْوَصْلَةِ وَعَلَى السَّبَبِ وَأَصْلُهُ مِنَ اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ الْحَبْلَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ لِاسْتِمْسَاكِهِمْ بِالْحَبْلِ عِنْدَ شَدَائِدِ أُمُورِهِمْ وَيُوصِلُونَ بِهَا الْمُتَفَرِّقَ فَاسْتُعِيرَ اسْمُ الْحَبْلِ لِهَذِهِ الْأُمُورِ

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ وَلَا تَفَرَّقُوا فَهُوَ أَمْرٌ بِلُزُومِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَتَأَلُّفِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ وَهَذِهِ إِحْدَى قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ

وَاعْلَمْ أَنَّ الثلاثة المرضية احداها أن يعبدوه، الثانية أن لا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، الثَّالِثَةُ أَنْ يَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ وَلَا يَتَفَرَّقُوا ... »[٤٣].

الأدلة على التعاون بينهم على البر والتقوى

ومن الأدلة على وجوب التعاون على البر و التقوى

قوله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ المائدة: ٢

(Entraidez-vous dans l'accomplissement des bonnes œuvres et de la piété et ne vous entraidez pas dans le péché et la transgression. Et craignez Allah، car Allah est، certes، dur en punition!.)

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية : « { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى } أي: ليعن بعضكم بعضا على البر. وهو: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأعمال الظاهرة والباطنة، من حقوق الله وحقوق الآدميين. والتقوى في هذا الموضع: اسم جامع لترك كل ما يكرهه الله ورسوله، من الأعمال الظاهرة والباطنة. وكلُّ خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، أو خصلة من خصال الشر المأمور بتركها، فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه، وبمعاونة غيره من إخوانه المؤمنين عليها، بكل قول يبعث عليها وينشط لها، وبكل فعل كذلك. { وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ } وهو التجرؤ على المعاصي التي يأثم صاحبها، ويحرج. { وَالْعُدْوَانِ } وهو التعدي على الخَلْق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فكل معصية وظلم يجب على العبد كف نفسه عنه، ثم إعانة غيره على تركه. { وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } على من عصاه وتجرأ على محارمه، فاحذروا المحارم لئلا يحل بكم عقابه العاجل والآجل. »

لزوم السنة بالتصفية والنشر

أمَّا الأدلة على وجوب السنَّة والالتزام فلا تُحصى عددا. فمنها

قوله تعالى : قَالَ تَعَالَى:﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ آل عمران: ١٣٢

(Et obéissez à Allah et au Messager afin qu'il vous soit fait miséricorde)

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية : « { وأطيعوا الله والرسول } بفعل الأوامر امتثالا، واجتناب النواهي { لعلكم ترحمون } فطاعة الله وطاعة رسوله، من أسباب حصول الرحمة كما قال تعالى: { ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة } الآيات. »

[٤٣] **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، يحيى النووي. (١٢/ ١١).

وقوله تعالى : قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ الأنفال: ١

(Ils t'interrogent au sujet du butin. Dis: «Le butin est à Allah et à Son messager.» Craignez Allah، maintenez la concorde entre vous et obéissez à Allah et à Son messager، si vous êtes croyants.)

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية : « الأنفال هي الغنائم التي ينفلها اللّه لهذه الأمة من أموال الكفار، وكانت هذه الآيات في هذه السورة قد نزلت في قصة بدر أول غنيمة كبيرة غنمها المسلمون من المشركين. فحصل بين بعض المسلمين فيها نزاع، فسألوا رسول اللّه ﷺ عنها، فأنزل اللّه يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنْفَالِ كيف تقسم وعلى من تقسم؟ قُلْ لهم: الأنفال لله ورسوله يضعانها حيث شاءا، فلا اعتراض لكم على حكم اللّه ورسوله، بل عليكم إذا حكم اللّه ورسوله أن ترضوا بحكمهما، وتسلموا الأمر لهما،. وذلك داخل في قوله فَاتَّقُوا اللَّهَ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.. وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ أي: أصلحوا ما بينكم من التشاحن والتقاطع والتدابر، بالتوادد والتحاب والتواصل..فبذلك تجتمع كلمتكم، ويزول ما يحصل - بسبب التقاطع -من التخاصم، والتشاجر والتنازع. ويدخل في إصلاح ذات البين تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين منهم فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابر،.والأمر الجامع لذلك كله قوله: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فإن الإيمان يدعو إلى طاعة اللّه ورسوله،.كما أن من لم يطع اللّه ورسوله فليس بمؤمن. »

وغيرها كثير.

وأما من السنَّة فمثل حديث العرباض بت سارية رضي الله عنه

عن أبي نَجيح العِرباضِ بنِ سارية رضي الله عنه قَالَ: وَعَظَنَا رسولُ الله ﷺ مَوعظةً بَليغَةً وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رسولَ الله، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ:«أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله -هذا البَنْدُ الأوَّل- وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اختِلافًا كَثيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ »[٤٤]

قال الشيخ ربيع في شرح هذا الحديث : « هذا هو المخرج الذي فيه النجاة، فإنك لَّما ترى طوفانًا من الفتن وطوفانًا من البدع وطوفانًا من الطرق وما تدري أين الحق كيف المخرج؟ ما هو قارب النَّجاة أو سفينة النَّجاة؟ هي سفينة رسول الله عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، سفينة النَّجاة هي سفينة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والعشرة المبَشَّرين بالجنَّة والصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ما هي سُنَّتُهم؟ هل لكلِّ واحد سُنَّة تتضارب مع نصوص الكتاب والسُنَّة، ويختلف رأي أبي بكر مع عمر، ومنهج عمر مع علي وعثمان أو كان منهجهم واحدًا وطريقتهم واحدة في ظلِّ الكتاب والسُنَّة؟ إذًا المراد بسُنَّة رسول الله والخلفاء الراشدين المنهجُ السَّديد الصحيح الذي رسمه الله في كتابه وفي سُنَّة نبيِّه ﷺ، هنا المخرج، نبحث في قضية من القضايا وكلُّ واحد له رأي وكلُّ جماعة لها موقف، وأنت لا تدري؛ اختلاف كثيرٌ! في خضمِّ هذه الآراء

---

[٤٤] أخرجه أحمد في "المسند" (٤/ ١٢٦)، وأبو داود في "السنن" برقم (٤٦٠٧)، والترمذي في "السنن" برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه في "السنن" برقم (٤٤)، وابن حبان في "الصحيح" (١/ ١٧٨/ ٥)، والحاكم في "المستدرك" (١/ ١٧٤ - ١٧٨)، وأخرجه أبو نعيم في "المسند المستخرج على صحيح مسلم" (١/ ٣٥/ ١).

لا تدري من المحِقُّ ومن المبطل، ومن هو السُّنِّي ومن هو البدعي؛ ما هو الفيصل في هذا؟ «فَعَلَيْكُمْ بسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ» فهل يفعل المسلمون هذا، هل فعلوا هذا؟ هل هناك دعوة من هذه الدَّعوات تُوَجِّه النَّاس إلى هذا المنهج أو لا يوجد؟ لا شكَّ أنَّك إذا بحثت تجدُ جماعة قائمين بالدعوة إلى الله، يوجهون النَّاس إلى الاحتكام إلى الله وإلى رسول الله عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ امتثالًا لقوله تعالى:﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، هذه الآية نزلت في قضية فرعية، في فرع من الفروع لا في أصل من أصول الدِّين؛ اختلف الزبير بن العوام ورجلٌ من الأنصار في شِرَاجٍ من شِرَاجِ الحَرَّة، يعني سِرْبٌ للماء صغير اختلفوا فيه، ورفعوا القضية إلى رسول الله عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، واستسلم الزبير لحكم رسول الله، وغضب الأنصاري من حكم رسول الله عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فأنزل الله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] ([٤]) أنا أنشد الله الشباب، وأنشد الدعاة، هل وقفوا فيما بينهم وبين الله يحاسبون أنفسهم: هل هم في هذه القضية وهذه القضية على الحق؟ وهل راودتهم أنفسهم ودفعتهم أنفسهم إلى الاحتكام إلى الله في قضية من القضايا أو قضايا كثيرة يختلف فيها النَّاس وتتصارع فيها أفكارُهم؟ أنا أعتقد أنَّ كثيرًا من النَّاس توجد أمامه عقبات كثيرة، وظلمات، وشبهات، وأهواء جامحة، تحول بينه وبين هذا التفكير وبين أن يُنَفِّذَ أمرُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الاحتكام إليه، شُبهٌ ومغالطات كثيرةٌ جدًّا تحول بينه وبين أن يقف الموقف الصحيح؛ الذي يتطلَّبه الإيمان ويتطلَّبه الإسلام، فلا يستطيع أن يقف هذا الموقف ويرفض كلَّ تلك الشبهات، ويضرب بها عرض الحائط، ويسلِّم لله تسليمًا، يحتكم إلى رسول الله راضيًا مُسَلِّمًا لأمر الله ولأمر رسول الله عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. »[٤٥].

محاربة أهل البدع

ومن الأدلة من الكتاب على وجوب محاربة البدع

قوله تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾

النساء: ١١٥

(Et quiconque fait scission d'avec le Messager، après que le droit chemin lui est apparu et suit un sentier autre que celui des croyants، alors Nous le laisserons comme il s'est détourné، et le brûlerons dans l'Enfer. Et quelle mauvaise destination!)

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية : « أي: ومن يخالف الرسول ﷺ ويعانده فيما جاء به { مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ } بالدلائل القرآنية والبراهين النبوية. { وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ } وسبيلهم هو طريقهم في عقائدهم وأعمالهم { نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ } أي: نتركه وما اختاره لنفسه، ونخذله فلا نوفقه للخير، لكونه رأى الحق وعلمه وتركه، فجزاؤه من الله عدلاً أن يبقيه في ضلاله حائرا ويزداد ضلالا إلى ضلاله. ».

وقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ الأنفال: ١٣

(Ce، parce qu'ils ont désobéi à Allah et à Son messager.» Et quiconque désobéit à Allah et à Son messager... Allah est certainement dur en punition!)

---

[٤٥] شرح حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه. لفضيلة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي – حفظه الله – ..
http://miraath.net/articles.php?cat=8&id=147

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية : « شاقوا الله ورسوله أي: حاربوهما وبارزوهما بالعداوة. {وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} ومن عقابه تسليط أوليائه على أعدائه وتقتيلهم. »

وأما من السنَّة فمثل حديث عائشة ﵂ :

عن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت : قال رسول الله ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) رواه البخاري ومسلم ، وفي رواية لمسلم : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) .

قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم: « وهذا الحديث أصلٌ عظيم من أُصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها كما أنّ حديث: الأعمال بالنيَّات ميزان للأعمال في باطِنها، فكما أنَّ كل عمل لا يُراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كلُّ عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله، فهو مردودٌ على عامله، وكلُّ مَنْ أحدثَ في الدِّين ما لم يأذن به الله ورسوله، فليس مِنَ الدين في شيء.» اهـ

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: « وَهَذَا الْحَدِيثُ مَعْدُودٌ مِنْ أُصُولِ الْإِسْلَامِ، وَقَاعِدَةٌ مِنْ قَوَاعِدِهِ، فَإِنَّ مَعْنَاهُ: مَنْ اخْتَرَعَ مِنْ الدِّينِ مَا لَا يَشْهَدُ لَهُ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِهِ فَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ ».

قَالَ النَّوَوِيُّ: « هَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا يَنْبَغِي حِفْظُهُ وَاسْتِعْمَالُهُ فِي إِبْطَالِ الْمُنْكَرَاتِ وَإِشَاعَةِ الِاسْتِدْلَالِ بِهِ كَذَلِكَ.» اهـ

القاعدة السادسة: وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنَّة لحلّ النزاعات

قال المؤلف – رحمه الله – :

[٦]- الرجوع في الأمور التي يقع التنازع فيها إلى الكتاب والسنة: مطلب شرعي دلَّ عليه الوحي الكريم والعقل الصحيح السليم، كما قال المولى الكريم: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ النساء: ٥٩

ومن غير جدل أن هذا هو الميزان بالقسط، ولكن بفهم السلف وعلى أصولهم السليمة وقواعدهم المستقيمة؛ فإن هذه الأمة جُعل عافيتها في أولها.

فالرجوع إلى نصوص الكتاب بمفهومهم؛ دأب العلماء الراسخين وخلق الأولياء الصالحين المتقين.

Règle 6 : L'obligation de revenir au Livre et à la Sounnah afin de résoudre les conflits.

[6] – Revenir au livre d'Allah et la Sounnah du Prophète [Paix et Salut sur lui] en cas de dispute ou divergence، est une prescription législative، qui est prouvé par la révélation honorable et la raison authentique et saine، tel que le dit Allah dans Son Livre: (Puis، si vous vous disputez en quoi que ce soit، renvoyez-le à Allah et au Messager، si vous croyez en Allah et au Jour dernier. Ce sera bien mieux et de meilleure interprétation (et aboutissement)). Sourate 4 Aya 59.

Nul doute que ceci est la balance juste. Mais à la compréhension des pieux prédécesseurs et sur leurs fondements saints et leurs règles droites : car le salut de cette communauté a été mis en son début.

Donc revenir aux textes à la lumière de leurs compréhension، constitue l'habitude des enracinés dans la science، et l'éthique des pieux craignant alliées d'Allah.

ومن أدلة الكتاب على هذه القاعدة

الآية الكريمة التي استدل به المصنف نفسه، قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ النساء: ٥٩

(O les croyants! Obéissez à Allah، et obéissez au Messager et à ceux d'entre vous qui détiennent le commandement. Puis، si vous vous disputez en quoi que ce soit، renvoyez-le à Allah et au Messager، si vous croyez en Allah et au Jour dernier. Ce sera bien mieux et de meilleure interprétation (et aboutissement).)

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية : « ثم أمر بطاعته وطاعة رسوله وذلك بامتثال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتنابِ نَهْيِهما. وأمر بطاعة أولي الأمر وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمُفْتِين، فإنه لا يستقيم للناس أمرُ دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمروا

بمعصية الله، فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ولعل هذا هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم وذكره مع طاعة الرسول، فإن الرسول لا يأمر إلا بطاعة الله، ومن يطعه فقد أطاع الله، وأما أولو الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية.

ثم أمر برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى الله وإلى الرسول أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله؛ فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية، إما بصريحهما أو عمومهما؛ أو إيماء، أو تنبيه، أو مفهوم، أو عموم معنى يقاس عليه ما أشبهه، لأن كتاب الله وسنة رسوله عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما. فالرد إليهما شرط في الإيمان فلهذا قال: { إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة، بل مؤمن بالطاغوت، كما ذكر في الآية بعدها { ذَلِكَ } أي: الرد إلى الله ورسوله { خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } فإن حكم الله ورسوله أحسنُ الأحكام وأعدلها وأصلحُها للناس في أمر دينهم ودنياهم وعاقبتهم. ».

قال **البغوي** في تفسير الآية : « قوله عز وجل : (فإن تنازعتم) أي : اختلفتم ، (في شيء) من أمر دينكم ، والتنازع : اختلاف الآراء وأصله من النزع فكأن المتنازعين يتجاذبان ويتمانعان ، (فردوه إلى الله والرسول) أي : إلى كتاب الله وإلى رسوله ما دام حيا وبعد وفاته إلى سنته ، والرد إلى الكتاب والسنة واجب إن وجد فيهما ، فإن لم يوجد فسبيله الاجتهاد . وقيل : الرد إلى الله تعالى والرسول أن يقول لما لا يعلم : الله ورسوله أعلم . (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك) أي : الرد إلى الله والرسول ، (خير وأحسن تأويلا) أي : أحسن مآلا وعاقبة . ».

قال **ابن كثير** في تفسير الآية : « وقوله : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) قال مجاهد وغير واحد من السلف : أي : إلى كتاب الله وسنة رسوله . وهذا أمر من الله ، عز وجل ، بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة ، كما قال تعالى : (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) [الشورى : ١٠] فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهدا له بالصحة فهو الحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ، ولهذا قال تعالى : (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أي : ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله ، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر). فدل على أن من لم يتحاكم في مجال النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك ، فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر .

وقوله : (ذلك خير) أي : التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله . والرجوع في فصل النزاع إليهما خير (وأحسن تأويلا) أي : وأحسن عاقبة ومآلا كما قاله السدي وغير واحد . وقال مجاهد : وأحسن جزاء . وهو قريب . ».

وقد ذكر الله تعالى في كتابه مغبة التنازع فقال تعالى : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦﴾ الأنفال: ٤٦

(Et obéissez à Allah et à Son messager; et ne vous disputez pas، sinon vous fléchirez et perdrez votre force. Et soyez endurants، car Allah est avec les endurants.)

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية : « {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} في استعمال ما أمرا به، والمشي خلف ذلك في جميع الأحوال. {وَلَا تَنَازَعُوا} تنازعا يوجب تشتت القلوب وتفرقها، {فَتَفْشَلُوا} أي: تجبنوا {وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} أي: تنحل عزائمكم، وتفرق قوتكم، ويرفع ما وعدتم به من النصر على طاعة اللّه ورسوله. {وَاصْبِرُوا} نفوسكم على طاعة اللّه {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} بالعون والنصر والتأييد، واخشعوا لربكم واخضعوا له. ».

قال الشيخ **البغوي** في تفسير الآية : « قوله تعالى : (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا) لا تختلفوا ، (فتفشلوا) أي : تجبنوا وتضعفوا ، (وتذهب ريحكم) قال مجاهد : نصرتكم . وقال السدي : جراءتكم وجدكم . وقال مقاتل بن حيان : حدتكم . وقال النضر بن شميل : قوتكم . وقال الأخفش : دولتكم. والريح ها هنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد ، تقول العرب : هبت ريح فلان إذا أقبل أمره على ما يريد .

قال قتادة وابن زيد : هو ريح النصر لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله – عز وجل – تضرب وجوه العدو . ومنه قول النبي – ﷺ – : " نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور " .

وعن النعمان بن مقرن قال : شهدت مع رسول الله – ﷺ – فكان إذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر .

قوله – عز وجل – : (واصبروا إن الله مع الصابرين) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ، ثنا محمد بن إسماعيل ، ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا معاوية بن عمرو ، ثنا أبو إسحاق ، عن موسى بن عقبة ، عن سالم أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله وكان كاتبا له قال : كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى فقرأته أن رسول الله – ﷺ – في بعض أيامه التي لقي فيها العدو ، انتظر حتى مالت الشمس ، ثم قام في الناس فقال : " يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف " ، ثم قال : اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم " . ».

ويقول الله تعالى : ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ النساء: ٨٣

(Quand leur parvient une nouvelle rassurante ou alarmante, ils la diffusent. S'ils la rapportaient au Messager et aux détenteurs du commandement parmi eux, ceux d'entre eux qui cherchent à être éclairés, auraient appris (la vérité de la bouche du Prophète et des détenteurs du commandement). Et n'eussent été la grâce d'Allah sur vous et Sa miséricorde, vous auriez suivi le Diable, à part quelques-uns.)

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية : « هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي: والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: { لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ } أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولَّى مَنْ هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ.

وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيُقْدِم عليه الإنسان؟ أم لا، فيحجم عنه؟

ثم قال تعالى: { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ } أي: في توفيقكم وتأديبكم، وتعليمكم ما لم تكونوا تعلمون، { لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا } لأن الإنسان بطبعه ظالم جاهل، فلا تأمره نفسه إلا بالشر. فإذا لجأ إلى ربه واعتصم به واجتهد في ذلك، لطف به ربه ووفقه لكل خير، وعصمه من الشيطان الرجيم. ».

ومن الأدلة من السنة على هذه القاعدة

حديث العرباض بن سارية ﷺ المشهور : (أَتَيْنَا العرباضَ بنِ ساريةَ – وهو ممن نزل فيه ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢] – فسلَّمنا، وقلنا : أتيناك ؛ زائرين، وعائدين، ومقتبسِين . فقال العرباضُ : صلى بنا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظةً بليغةً، ذرفت منها العيون، ووجِلت منها القلوبُ . فقال قائلٌ : يا رسولَ الله ! كأن هذه موعظةُ مُودِّعٍ، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمعِ والطاعةِ

وإن عبدًا حبشيًّا، فإنه من يعِشْ منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ المهديّين الراشدين تمسّكوا بها، وعَضّوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ)[٤٦].

وقد شرح العلامة الشيخ **العثيمين** — رحمه الله تعالى — هذا الحديث قائلا : « قوله –وعظنا – الوعظ : هو التذكير المقرون بالترغيب أو الترهيب ، وكان النبي ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة ولا يكثر عليهم مخافة السآمة ، قوله – وجلت منها القلوب – أي خافت ، – وذرفت منها العيون – أي بكت حتى ذرفت دموعها – فقلنا :يا رسول الله كأنها موعظة مودعٍ فأوصنا – لأن موعظة المودع تكون موعظة بالغة قوية فأوصنا قال – أوصيكم بتقوى الله عزوجل – وهذا من فقه الصحابة ﷺ أنهم استغلوا هذه الفرصة ليوصيهم النبي ﷺ بما فيه خير ، قال – أوصيكم بتقوى الله عزوجل – وتقوى الله اتخاذ وقاية من عقابه بفعل أوامره واجتناب نواهيه وهذا حق الله عز وجل – والسمع والطاعة – يعني لولاة الأمور أي اسمعوا ما يقولون وما به يأمرون واجتنبوا ما عنه ينهون ، – وإن تأمر عليكم عبد – يعني وإن كان الأمير عبداً فأسمعوا له وأطيعوه ، وهذا هو مقتضى عموم الآية – يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [–...النساء٥٩] . قوله – فإنه من يعش منكم – أي من تطول حياته فسيرى اختلافاً كثيراً ووقع ذلك كما أخبر النبي ﷺ فقد حصل الاختلاف الكثير في زمن الصحابة ﷺ ثم أمر ﷺ بأن نلتزم بسنته أي بطريقته وطريقة الخلفاء الراشدين المهدين والخلفاء الذين خلفوا النبي ﷺ في أمته علماً وعبادة ودعوة وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة أبوبكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ – .المهديين – وصف كاشف، لأن كل رشاد فهو مهدي ومعنى المهدين الذين هدوا أي هداهم الله عز وجل لطريق الحق – عضوا عليها بالنواجذ – وهي أقصى الأضراس وهو كناية عن شدة التمسك بها ثم حذر النبي ﷺ .ثم حذر النبي ﷺ من محدثات الأمور فقال – إياكم – أي أحذركم من محدثات الأمور وهي الأمور وهي ما أحدث في الدين بلا دليل شرعي وذلك لأنه لما أمر بلزوم السنة والحذر من البدعة وقال – فإن كل بدعة ضلالة – رواه أبوداود والترمذي وقال حديث حسن صحيح .

وفي الحديث فوائد منها : حرص النبي ﷺ على موعظة أصحابه ، حيث يأتي بالمواعظ المؤثرة التي توجل لها القلوب وتذرف منها الأعين.

·ومنها : أن الإنسان المودع الذي يريد أن يغادر إخوانه ينبغي له أن يعظهم موعظة تكون ذكرى لهم ، موعظة مؤثرة بليغة ، لأن المواعظ عند الوداع لا تنسى .

·ومنها : الوصية بتقوى الله عز وجل ، فهذه الوصية هي وصية الله في الأولين والآخرين لقوله تعالى – ...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ[– ... النساء١٣١] .

·ومنها : الوصية بالسمع والطاعة لولاة الأمور وقد أمر الله بذلك في قوله – يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ... –]النساء٥٩ [... وهذا الأمر مشروط بأن لا يؤمر بمعصية الله ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة في معصية الله لقول النبي ﷺ –إنما الطاعة في المعروف – ومن هنا نتبين الفائدة في قوله تعالى – يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ... –]النساء٥٩[... حيث لم يعد الفعل عند ذكر طاعة أولياء الأمور بل جعلها تابعة لطاعة الله ورسوله .

·ومن فوائد هذا الحديث : حرص النبي ﷺ على موعظة أصحابه كما أنه حريص على أن يعظهم أحياناً بتبليغهم الشرع ، فهو أيضاً يعظهم مواعظ ترقق القلوب وتؤثر فيها .

·ومنها : أن ينبغي للواعظ أن يأتي بموعظة مؤثرة في الأسلوب وكيفية الإلقاء ولكن بشرط ألا يأتي بأحاديث ضعيفة أو موضوعة، لأن بعض الوعاظ يأتي بالأحاديث الضعيفة والموضوعة يزعم بأنها تفيد تحريك القلوب ، ولكنها وإن أفادت في هذا تضر ، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال – من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين . –

·ومن فوائد هذا الحديث : أن العادة إذا أراد شخص أن يفارق أصحابه وإخوانه فإنه يعظهم موعظة بليغة ، لقوله " كأنها موعظة مودعٍ . "

·ومنها : طلب الوصية من أصحاب العلم .

·ومنها : أن لا وصية أفضل ولا أكمل من الوصية بتقوى الله عز وجل قال تعالى ... –وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ... –]النساء١٣١[، وقد سبق شرحها ، وقد سبق شرحها .

·ومنها : الوصية بالسمع والطاعة لولاة الأمور وإن كانوا عبيداً لقوله ﷺ –والسمع والطاعة وإن تأمر عليك عبدٌ – لأن السمع والطاعة لهم تنتفي به شرور كثيرة وفوضى عظيمة .

·ومن فوائد الحديث : ظهور آية من آيات الرسول ﷺ حيث قال – من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً – والذين عاشوا من الصحابة رأوا اختلافاً كثيراً كما يعلم

[٤٦] صححه الألباني في صحيح أبي داود برقم ٤٦٠٧ عن عبدالرحمن بن عمرو السلمي و حجر بن حجر الحديث.

ذلك من التاريخ .

·ومن فوائد الحديث : لزوم التمسك بسنة الرسول عليه الصلاة والسلام لا سيما عند الاختلاف والتفرق ولهذا قال – فعليكم بسنتي – . ومنها : أنه ينبغي التسمك الشديد حتى يعض عليها بالنواجذ ، لئلا تفلت من الإنسان .

·ومن فوائد الحديث : التحذير من محدثات الأمور ، والمراد بها المحدثات في **الدين** ، وأما ما يحدث في **الدنيا** فينظر فيه إذا كان فيه مصلحة فلا تحذير منه ' أما ما يحصل في الدين فإنه يجب الحذر منه لما فيه التفرق في دين الله ، والتشتت وتضيع الأمة بعضها بعضاً .

·ومن فوائد الحديث : أن كل بدعة ضلالة ، وأنه ليس في البدع ما هو مستحسن كما زعمه بعض العلماء ، بل كل البدع ضلالة فمن ظن أن البدعة حسنة فإنها لا تخلو من أحد أمرين : إما أنها ليست بدعة وظنها الناس بدعة ، وإما أنها ليست حسنة وظن اهو أنها حسنة ، وأما أن تكون بدعة وحسنة فهذا مستحيل بقول النبي ﷺ –فإن كل بدعة ضلالة– »[٤٧]

[٤٧] شرح الأربعين النووية للشيخ/ ابن عثيمين

القاعدة السابعة: وجوب الالتزام بمنهج التصفية والتربية

قال المؤلف – رحمه الله – :

[٧]- منهج التصفية والتربية ثابت للسلف ومعلوم للفضلاء منهم بطريق الاستقراء.

والمراد بالتصفية: بمعناها العام تصفية الحق من الباطل، والطيب من الخبيث، وعلى سبيل الخصوص تصفية السنَّة الغراء وأهلها من البدعة المضلة وأنصارها.

وأما المراد بالتربية: فهي دعوة جميع المكلفين ليتأدبوا ويتخلقوا بما أنزله لهم ربُّهم على عبده ورسوله محمد ﷺ ليكون لهم خُلُقاً وأَدَباً وسُلُوكاً، إذ لا تَطِيبُ حياتُهم ويصلحُ حالُهم ومآلُهم إلا بذلك، ونعوذ بالله من سوى ذلك.

Règle 7 : L'obligation de se conformer à la méthodologie de « la purification et l'éduction ».

[7]- La méthodologie de « la purification et l'éduction » est une méthodologie bien connue et avérée des pieux prédécesseurs، et ce par induction[48] (c'est-à-dire : après examen et étude).

Ce qui est voulue par « purification » : de manière générale، c'est de purifier le vrai du faux، et le bon du mauvais. Et plus particulièrement، purifier la respectable Sounnah et ses adeptes de l'innovation et de ces partisans.

Quant à la « l'éducation » il est voulue par la : appeler l'ensemble des « moukelefine » (c'est-à-dire : pubère doué de raison) à se conformer à ce que leur seigneur leurs a fait descendre sur son Messager Mohammed [paix et salut sur lui] afin que cela soit pour eux une moralité، une éducation et une ligne de conduite. Car leurs vie ne peut être agréable، et leurs situation ici et dans l'au-delà ne peux s'arranger sans cela.

Nous demandons protection au près d'Allah contre toute chose en dehors de ce minhaj.

قال الشيخ الإمام محمد ناصر الدين الألباني – رحمه الله تعالى – في كلمة عن «التصفية والتربية»[٤٩]:

---

[٤٨] Induction : Opération mentale par laquelle on passe d'observations données à une proposition qui en rend compte

[٤٩] http://www.sahab.net/forums/index.php?showtopic=148506

راجع كذلك في هذا الباب : التصفية والتربية وحاجة المسلمين إليهما. للشيخ محمد بن ناصر الألباني – رحمه الله تعالى – .

أقول وأخصُّ به المسلمين الثقات ، المتمثلين في الشباب الواعي، الذي عرف أولاً مأساة المسلمين، واهتم ثانياً بالبحث الصادق عن الإخلاص وبكل ما أُتيه من قوة ... بينما الملايين من المسلمين مسلمون بحكم الواقع الجغرافي أو في تذكرة النفوس – الجنسية أو البطاقة أو شهادة الميلاد – فهؤلاء لا أعنيهم بالحديث، أعود فأقول : إن الخلاص إلى أيدي هؤلاء الشباب يتمثل في أمرين لا ثالث لهما ؛ **التصفية والتربية** .

١ -**التصفية**: وأعني بالتصفية: **تقديم الإسلام على الشباب المسلم مصفىً من كل ما دخل فيه على مّر هذه القرون والسنين الطوال؛ من العقائد ومن الخرافات ومن البدع والضلالات، ومن ذلك ما دخل فيه من أحاديث غير صحيحة قد تكون موضوعة**. فلا بد من تحقيق هذه التصفية؛ لأنه بغيرها لا مجال أبداً لتحقيق أُمْنِيَّة هؤلاء المسلمين، الذين نعتبرهم من المصطفين المختارين في العالم الإسلامي الواسع.

فالتصفية هذه إنما يراد بها تقديم العلاج الذي هو الإسلام، الذي عالج ما يشبه هذه المشكلة، حينما كان العرب أذلاء وكانوا من فارس والروم والحبشة من جهة، وكانوا يعبدون غير الله تبارك وتعالى من جهة أخرى.

نحن نخالف كل الجماعات الإسلامية في هذه النقطة، ونرى أنه لا بد من البدء بالتصفية والتربية معاً.

أما أن نبدأ بالأمور السياسية ، والذين يشتغلون بالسياسة **قد تكون عقائدهم خراباً يباباً**[٥٠] ، وقد يكون سلوكُهم من الناحية الإسلامية بعيداً عن الشريعة. والذين يشتغلون بتكتيل الناس وتجميعهم على كلمة ((إسلام)) عامة ليس لهم مفاهيم واضحة في أذهان هؤلاء المتكتِّلين حول أولئك الدعاة ، ومن ثم ليس ((لهذا الإسلام)) أيُّ أثر في منطلقهم في حياتهم، **ولهذا تجد كثيراً من هؤلاء وهؤلاء لا يحققون الإسلام في ذوات أنفسهم**، فيما يمكنُهم أن يطبِّقوه بكل سهوله . وفي الوقت نفسه يرفع هؤلاء أصواتَهم بأنه (لا حكم إلا لله، ولا بد أن يكون الحكم بما أنزل الله)؛ وهذه كلمة حقٍّ، ولكن فاقد الشيء لا يعطيه. **العلة الأولى الكبرى** : بُعدهم عن فهم الإسلام فهماً صحيحاً ، **كيف لا ؟ وفي الدعاة اليوم من يعتبر السلفيين بأنهم يضيعون عمرهم في التوحيد !** و يا سبحان الله، ما أشدَّ إغراق من يقول مثل هذا الكلام في الجهل؛ لأنه يتغافل – إن لم

[٥٠] اليَبابُ عند العرب الذي ليس فيه أَحد. [لسان العرب].

يكن غافلاً حقًّا – عن أنَّ دعوة الأنبياء والرسل الكرام كانت ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ النحل: ٣٦. بل إن نوحاً عليه الصلاة والسلام أقام ألف سنة إلا خمسين عاماً، لا يُصلح ولا يُشرع ولا يقيم سياسة، بل: **يا قوم اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت. هل كان هناك إصلاح ؟ هل هناك تشريع ؟ هل هناك سياسة ؟** لا شيء ، (تعالوا يا قوم اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت). فهذا أول رسول – بنص الحديث الصحيح – أُرسل إلى الأرض ، استمرَّ في الدعوة ألف سنة إلا خمسين عاماً **لا يدعوا إلا إلى التوحيد** ، وهو شغل السلفيين الشاغل ، فكيف يُسفُّ[١] كثيرٌ من الدعاة الإسلاميين وينحطُّوا إلى درجة أن ينكروا ذلك على السلفيين .

٢-**التربية**: والشطر الثاني من هذه الكلمة يعني أنه لا بد من تربية المسلمين اليوم، على أساس ألا يُفتنوا كما فُتِن الذين من قبلهم بالدنيا. ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: ((**ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تُفتح عليكم زهرةُ الحياة الدنيا، فتهلككم كما أهلكت الذين من قبلكم**)). ولهذا نرى أنه قَلَّ مَنْ ينتبه لهذا المرض فيربي الشباب ، لا سيما الذين فتح الله عليهم كنوز الأرض ، وأغرقهم في خيراته – تبارك وتعالى – وفي بركات الأرض ، قلَّما يُنبه إلى هذا .

مرض يجب على المسلمين أن يتحصنَّوا منه ، وأن لا يصل إلى قلوبهم ((**حب الدنيا وكراهة الموت**)) ، إذاً فهذا مرض لا بد من معالجته، وتربية الناس على أن يتخلصوا منه .

الحل وارد في ختام حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: ((**حتى ترجعوا إلى دينكم**)). الحل يتمثل في العودة الصحيحة إلى الإسلام، الإسلام بالمفهوم الصحيح الذي كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته.

قال تعالى : ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ محمد: ٧ **وهي التي أجمع المفسرون على أنَّ معنى نصر الله : إنما بالعمل بأحكامه** ، فإذا كان نصر الله لا يتحقق إلا بإقامة أحكامه ، **فكيف يمكننا أن ندخل في الجهاد عملياً ونحن لم ننصر الله** ؛ عقيدتنا خراب يباب ،

---

[١] أسفَّ: أسفَّ الشَّخصُ طلب الدنيء من الأمور. ما أسفّ منه بتافه : ما ظفر منه بشيء . أسفَّ في حديثه أو مناقَشته : هبط إلى مستوىً متدنٍّ ? فلانٌ يُسِفّ ولا يقع : يدنو من الأمر ولا يفعله . [المعجم: اللغة العربية المعاصر]

وأخلاقنا تتماشى مع الفساد ، لا بد إذاً قبل الشروع بالجهاد من تصحيح العقيدة وتربية النفس، وعلى محاربة كل غفلةٍ أو تغافُل ، وكلِّ خلافٍ أو تنازع ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ الأنفال: ٤٦ وحين نقضي على هذا التنازع وعلى هذه الغفلة ، ونُحِلُّ محلها ~~الصحوة~~ والائتلاف والاتفاق؛ نتجه إلى تحقيق القوة المادية ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ الأنفال: ٦٠.

أخلاق المسلمين في التربية خراب يباب. أخطاء قاتلة ، **ولا بد من التصفية والتربية والعودة الصحيحة إلى الإسلام .**

وكم يعجبني في هذا المقام قول أحد الدعاة الإسلاميين – من غير السلفيين[٥٢] ، ولكن أصحابه لا يعملون بهذا القول – : ((أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم دولته في أرضكم ..))

إن أكثر الدعاة يخطئون حين يغفلون مبدأنا هذا، وحين يقولون : (إن الوقت ليس وقت التصفية والتربية ، وإنما وقت التكتل والتجمُّع) .. إذ كيف يتحقق التكتُّل والخلافُ قائم في الأصول والفروع.. إنه الضعف الذي استشرى في المسلمين .. **ودواؤه الوحيد يتلخَّص فيما أسلفتُ في العودة السليمة إلى الإسلام الصحيح، أو في تطبيق منهجنا في التصفية والتربية.**

ولعلَّ في هذا القدر كفاية . والحمد لله رب العالمين .

ا.هـ.

[٥٢] وقائلها هو حسن الهضيبي المرشد الثاني لجماعة الإخوان المسلمين (أو المفسدين) بعد حسن البنا.

القاعدة الثامنة: وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية الله

قال المؤلف – رحمه الله – :

[٨]- وجوب الالتزام - ظاهراً وباطناً - بطاعة ولاة أمور المسلمين في المعروف والدعاء لهم سرًا وعلناً بالهداية والعون والتوفيق. إذ إن صلاحهم سبب في صلاح العباد والبلاد، والعكس بالعكس إلا ما رحم ربك.

ألا وإن طاعتهم:

أ- القيام بحقوقهم، وتأليف قلوب الرعية عليهم طاعة لله وعملاً بِهدي رسول الله ﷺ.

ب- وعدم الخروج عليهم بأي وسيلة من وسائل الخروج، سواء كان بالسلاح أو الكلام المهيج لرعاع الناس ودهمائهم.

ونصوص الكتاب والسنة إذ تحرم ذلك فلأنه يفضي إلى النقص في الدين، وكما يفضي إلى هتك أعراض المسلمين وسفك دمائهم وتعطيل مصالحهم وانتشار الفوضى بينهم، وزرع العداوات الجاهلية في مجتمعاتِهم، إلى غير ذلك من الأسواء القولية والفعلية التي لا يرضاها الشرع الكريم ولا صاحب العقل السليم.

Règle 8 : L'obligation d'obéir aux gouverneurs، dans ce qui n'est pas une désobéissance à Allah

[8]- L'obligation de se conformer – Extérieurement et intérieurement – à l'obéissance des gouverneurs musulmans dans le convenable، et de faire des invocations en leur faveur – en apparence et en secret – en leur demandant la guidé، le soutient et la réussite. Car la réforme des gouverneurs et une des causes de la réforme des sujets، et inversement، excepté ceux à qui Allah a fait miséricorde.

Leur obéissance consiste en deux points :

1- Concrétiser leurs droits، et les faire aimer aux près des sujets، obéissant ainsi à Allah et œuvrant par là avec la guidé du Messager d'Allah [Paix et Salut sur Lui].

2- Ne pas sortir (se révolter) contre eux، par quelque moyen que ce soit، que ce soit avec les armes ou avec les discours agitateur de foules.

Le Coran et la Sounnah interdit ces révoltes، car cela mène à une dégradation de la religion et conduit à la diffamation des musulmans، à verser leurs sangs et à la perte de leurs intérêts، y compris la propagation du chaos، ainsi que la propagation de l'hostilité de la « Jahilya » dans leurs communautés، ainsi que d'autres péchés verbales et effectifs que la législation n'agrée pas ainsi que la raison saine.

ومن أدلة الكتاب على وجوب طاعة ولاة الأمر

الآية الكريمة التي استدل به المصنف نفسه، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ النساء: ٥٩

(O les croyants! Obéissez à Allah، et obéissez au Messager et à ceux d'entre vous qui détiennent le commandement. Puis، si vous vous disputez en quoi que ce soit، renvoyez-le à Allah et au Messager، si vous croyez en Allah et au Jour dernier. Ce sera bien mieux et de meilleure interprétation (et aboutissement).)

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية : « ثم أمر بطاعته وطاعة رسوله وذلك بامتثال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتنابِ نَهْيِهما. وأمر بطاعة أولي الأمر وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمُفْتِين، فإنه لا يستقيم للناس أمرُ دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ولعل هذا هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم وذكره مع طاعة الرسول، فإن الرسول لا يأمر إلا بطاعة الله، ومن يطعه فقد أطاع الله، وأما أولو الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية.»

قال **البغوي** في تفسير الآية : « قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) اختلفوا في (أولي الأمر) قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهم : هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم ، وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد ، ودليله قوله تعالى : " ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم " (النساء - ٨٣) . وقال أبو هريرة : هم الأمراء والولاة . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدي الأمانة فإذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا .

أخبرنا أبو علي حسان بن سعد المنيعي ، أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي ، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ، أنا أحمد بن يوسف السلمي ، أنا عبد الرزاق ، أنا معمر ، عن همام بن منبه أنا أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني "[٥٣] .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أخبرنا محمد بن يوسف ، أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدد ، أنا يحيى بن سعيد ، عن عبيد الله حدثني ، نافع ، عن عبد الله رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال : " السمعُ والطاعةُ على المرءِ المسلمِ فيما أحبَّ وكرِهَ ، ما لم يُؤمَرْ بمعصيةٍ ، فإذا أُمِرَ بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعةَ "[٥٤] .

[أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن محمد الدراوردي] أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي ، أنا أبو مصعب ، عن مالك بن أنس ، عن يحيى بن سعيد ، أخبرنا عبادة بن الوليد بن عبادة أن أباه أخبره عن عبادة بن الصامت قال : "بايعْنا رسولَ اللهِ ﷺ على السمعِ والطاعةِ . في العُسرِ واليُسرِ . والمنشطِ والمكرهِ . وعلى أَثَرَةٍ علينا . وعلى أن لا ننازعَ الأمرَ أهلَه . وعلى أن نقولَ بالحقِّ أينما كنّا . لا نخافُ في اللهِ لومةَ لائمٍ."[٥٥] .

---

[٥٣] أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٧١٣٧.

[٥٤] أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٧١٤٤.

أخبرنا أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبيد الله بن أحمد القفال ، أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البروجردي ، أنا أبو بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي ، أنا محمد بن يوسف الكديمي ، قال أخبرنا أبو داود الطيالسي ، عن شعبة ، عن أبي التياح ، عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال لأبي ذر : " اسمع وأطع ولو لعبد حبشي كأن رأسه زبيبة "[٥٦] .

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي ، أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ، أنا أبو العباس ، أنا محمد بن أحمد المحبوبي ، أنا أبو عيسى الترمذي ، أنا موسى بن عبد الرحمن الكندي ، أنا زيد بن الحباب أنا معاوية بن صالح ، حدثني سليم بن عامر ، قال : سمعت أبا أمامة ﷺ يقول : سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال : " اتَّقوا اللَّهَ ربَّكم وصلُّوا خمسَكم وصوموا شَهرَكم وأدُّوا زَكاةَ أموالِكم وأطيعوا ذا أمرِكم تدخلوا جنَّةَ ربِّكُم "[٥٧] .

وقيل : المراد أمراء السرايا ، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أنا محمد بن يوسف ، أنا محمد بن إسماعيل ، أنا صدقة بن الفضل ، أنا حجاج بن محمد ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، في قوله تعالى : (وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) قال : نزلت في عبيد الله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه النبي ﷺ في سرية.

وقال عكرمة : أراد بأولي الأمر أبا بكر وعمر ﷺما .حدثنا أبو المظفر محمد بن أحمد التيمي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم ، أخبرنا خيثمة بن سليمان بن حيدرة الأطرابلسي، أنا عمرو بن أبي عرزة بالكوفة، أخبرنا ثابت بن موسى العابد، عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي، عن حذيفة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " إني لا أدري ما بقائي فيكم ، فاقتَدوا باللَّذَينِ من بعدي ؛ أبي بكرٍ و عمرَ "[٥٨] ، ﷺما.

وقال عطاء : هم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان بدليل قوله تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) الآية . أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمود ، أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الخلال ، أنا عبد الله بن المبارك ، عن إسماعيل المكي ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك ﷺم قال : قال رسول الله ﷺ : " مَثَلُ أصحابي في أمتي : كالمِلْحِ في الطعامِ، لا يَصْلُحُ الطعامُ إلا بالمِلْحِ"[٥٩] قال : قال الحسن : قد ذهب ملحنا فكيف نصلح . »

باب الإمارة من صحيح مسلم.

ومن الأدلة على حرمة الخروج عليهم : نصوص السنة النبوية في ذمّ الخوارج

قال الشيخ عبيد الجابري – حفظه الله تعالى – : « بَابٌ فِي ذِكْرِ الْخَوَارِجِ.

١٦٧ – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: وَذَكَرَ الْخَوَارِجَ، فَقَالَ: «فِيهِمْ رَجُلٌ مُخْدَجُ[٦٠] الْيَدِ، أَوْ مُودَنُ[٦١] الْيَدِ، أَوْ مَثْدُونُ الْيَدِ، وَلَوْلَا أَنْ تَبْطَرُوا[٦٢] لَحَدَّثْتُكُمْ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ يَقْتُلُونَهُمْ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ» : قُلْتُ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ قَالَ: «إِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

---

[٥٥] أخرجه مسلم في صحيحه برقم ١٨٤٠.

[٥٦] صحيح ابن حبان برقم ٥٩٦٤.

[٥٧] صحيح الترمذي، برقم ٦١٦. السلسلة الصحيحة، برقم ٨٦٧.

[٥٨] صحيح الجامع، برقم ٢٥١١.

[٥٩] تخريج مشكاة المصابيح، برقم ٥٩٦١. قال الألباني : ضعيف.

قال الشيخ الألباني: صحيح.

الشَّرح:

هذا الباب من أخطر الأبواب وأهمها.

الأمر الأول: أنه أكثر ما يكون النزاع فيه بين أهل السنة وبين مخالفيهم. والنزاع في هذا العصر بين أهل السنة وبين القطبية[63] السرورية[64] على أشده.

الأمر الثاني: تواتر عن النبي ﷺ من أحاديث الباب التشنيع على الخوارج، و الأمر بقتلهم وقتالهم. وهذا لم نعرفه في غيرهم من أهل الأهواء، وذلكم لشدة خطرهم على الأمة، وإفسادهم الدين والدنيا معًا.

الأمر الثالث: وصف الخروج على من انطبق على ما أخبر به النبي ﷺ من سمات الخوارج.

الأمر الرابع: ذكر أهل العلم —كابن قدامة وغيره — أصناف الخارجين عن قبضة الإمام. و هذه الأصناف الأربعة تندرج تحت معنى الخروج العام.

---

[60] الجَدْعُ: قَطْع الأَنفِ أو الأُذُنِ أو الشَّفَة، وهو في الأَنفِ أَشهَر. [المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث]

[61] قال ابنُ الأَنبارِي: الوَتْنُ بمعنى اليَتْن وقد أوتنَتْ. [المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث]. يَتَّنَتِ الْحَامِلُ : وَضَعَتْ وَلَدَهَا مَعْكُوساً ، أَيْ خَرَجَتْ رِجْلاَهُ قَبْلَ رَأْسِهِ وَيَدَيْهِ.

[62] وَلَوْلَا ان تبطروا الخ البطر الطغيان عِنْد النِّعْمَة أَي وَلَوْلَا خوف البطر مِنْكُم بِسَبَب الثَّوَاب الَّذِي أعد لقاتليهم فتعجبوا بِأَنْفُسِكُمْ لاخبرتكم. [شرح سنن ابن ماجه]

[63] القطبيون : هم قوم قرأوا مؤلفات سيد قطب ، وأخذوا ما فيها من حق وباطل ، فتجدهم يدافعون عن سيد إذا انتقده أحد ولو كان الحق مع المنتقد ، ومعلوم ؛ أن سيد ليس من رجال العلم ؛ الديني والأصل أنه أديب ، ثم هو يأخذ بالذهب الأشعري ؛ مذهب التأويل كغيره من علماء مصر ، وعنده أخطاء فاحشة وفادحة ؛ قد تصدى لها رجال من أهل العلم ، فبينوها ، ولما بينوها ثارت عليهم ثائرة القطبيين ؛ بالنقد ، والكلام ، والتجريح ، فيهم فحسبنا الله ونعم الوكيل ، فالأصل أن الرجال يعرفون بالحق ، وليس الحق يعرف بالرجال ، فيجب علينا أن نأخذ بالحق ، وأن ندين به لله رب العالمين ، وأن نترك من نهج منهجا مبتدعا ، ونجعل أسوتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه ، وأصحابه والتابعين لهم من أئمة الهدى ، والله الموفق. [الفتاوى الجديدة عن المناهج الدعوية لفضيلة الشيخ أحمد بن يحيى النجمي]

[64] السرورية : قوم ؛ أو حزب ؛ ينتمون إلى محمد سرور زين العابدين ، وهم عندهم شيء من السنة وشيء من البدعة ؛ وأهم الملاحظات عليهم :

١-أنهم يقدحون في الولاة ، ويتكلمون فيهم ؛ بما ينتج عنه شر ، وفتنة ، وخطورة ، والظاهر ؛ أنهم يكفرون الولاة ؛ لكن هذا إنما هو مأخوذ من لسان حالهم ، وبم يؤخذ من لسان مقالهم ؛ لأن الطريقة التي سلكوها ؛ هي طريقة الخوارج ؛ أو قريبة منها ؛ علما بأن النصوص توجب السمع، والطاعة لولاة الأمر ؛ وولاتنا في هذا البلد مسلمون ، ولله الحمد يحكمون شرع الله في محاكمهم ، يقيمون الحدود ، فتكفيرهم ؛ أو الكلام فيهم ؛ الذي يوجب الخروج عليهم ، ويوجب التمر د عليهم ؛ يعد إفسادا عظيما ؛ لذلك ، فإنه ينبغي الحذر من أصحاب هذا المنهج ؛ أو التبرؤ منهم ؛ لا سيما وهم قد تناولوا علماء هذا البلد ؛ بالسب ، والشتم المقذع ، واتهامهم بالخيانة للدين ، وهذا أمر يدل على ما وراءه.

٢-أنهم يدعون إلى الجهاد ، وليس مرادهم جهاد الكفار و ولكن الظاهر أن مرادهم ضد الدولة علما بأنا لا نبرؤ الدولة من الأخطاء ، ولا ندعي لها العصمة ، ولكن نقول : تجب طاعتهم ، ومناصحتهم بطريقة سرية ؛ لأنهم مسلمون ، والشارع صلى الله عليه وسلم قد منع الخروج على الولاة ؛ إلا أن يرى الخارج كفرا بواحا معه من الله فيه برهان.

٣-أنهم يزعمون ؛ أن العلماء في هذا البلد ؛لا يفقهون الواقع ، ويرد عليهم ، بأن المفتين ، والقضاة لا يفتون في مسألة واحدة ، ولم يحكموا في مسألة أيضا ؛ إلا بعد أن يعرفوا واقعها ؛ الذي يحيط بها من سبب ، ومناط للحكم ، ومؤثرات فيه ؛ ومن يزعم ؛ بأن هؤلاء العلماء وهوؤلاء القضاة ؛ لا يفقهون الواقع ، فقد ظلم نفسه ، وقال ما لا يجوز له أن يقوله ؛ أما معرفة مكائد الأعداء ، وما إلى ذلك فهذا من خصائص الجيش في كل بلد.

[الفتاوى الجديدة عن المناهج الدعوية لفضيلة الشيخ أحمد بن يحيى النجمي]

و أما الخروج الخاص فهو كل من يكفِّر بالكبيرة، ثم هم صنفان:

الصنف الأول : محارب، سواء كان يأوي إلى راية معلومة أو كان على شكل عصابات.

الصنف الثاني: القعدية، فالقعدية هم كل من يعلن الحرب على فساق المسلمين لاسيما الولاة. ولهم في ذلك منها الخطب التهيجية، ومنها التشهير بأخطاء الحكام في المحافل العامة وفي غير ذلك مما يتاح لهم من وسائل النشر، ومنها أسلوب التنفير من العلماء والفقهاء.

فتكون العملية متسلسلة: تنفير، فتكفير، فتفجير.

----

١٦٨ – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ زُرَارَةَ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ[٦٥] الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ النَّاسِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ[٦٦]، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَمَنْ لَقِيَهُمْ فَلْيَقْتُلْهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ عِنْدَ اللَّهِ لِمَنْ قَتَلَهُمْ»

قال الشيخ الألباني: صحيح.

الشَّرح:

هذه الأحاديث كلها متفقة

أولًا : على التحذير من الخوارج. والتحذير منهم متواترا عن النبي ﷺ.

ثانيًا : تسفيه عقولهم وأحلامهم.

ثالثًا: أنهم أصحاب تعبُّد وزهد وورع، وهذا في الظاهر، وأن الناس يغترون بذلك.

----

١٧٣ – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ الْأَزْرَقُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ»

قال الشيخ الألباني: صحيح.

الشَّرح:

لا تأخذكم أيُّها المسلمون والمسلمات في السنة لائمة، اصدعوا بالحق، واصدعوا بالسنة، واضربوا بين أكتاف أهل الهوى، فإنه لا يزهق البدعة ويرهق أهلها ويكبح جماحهم ويقطع دابرها إلا السنة.

----

١٧٤ – حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ[٦٧]» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ، أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً، حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَّالُ»

قال الشيخ الألباني: صحيح.

---

[٦٥] سفه : كان ذا سفه . ٢ – سفه عليه : جهل عليه . ٣ – سفه الحق أو عليه : جهله . ٤ – سفه : نصيبه : نسيه ، تركه . ٥ – سفهت الطعنة : أسرع منها الدم وجف . ٦ – سفه الشراب : أكثر منه فلم يرتو . ٧ – سفه نفسه : أذلها . [الرائد]

[٦٦] أعالي الصدر.

[٦٧] كلما خرج قرن قطع الخ أي أهلك وَدَمرَ. [شرح سنن ابن ماجه]

١٧٥ - حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ خَلَفٍ أَبُو بِشْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَوْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، أَوْ حُلُوقَهُمْ، سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ، إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ، أَوْ إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ»

قال الشيخ الألباني: صحيح.

الشَّرح:

الحديث الأول أفادنا أن هذا المسلك الخارجي التكفيري المحارب لا ينتهي، وهذا يستدعي من الأمة الحذر منهم والتفطن.

لكنهم إذا قويت شوكة أهل السنة استخْفَوا، وإذا ضعفت الشوكة عَلَوْا وأظهروا أمرهم.

الحديث الثاني أفادنا شيئًا جديدًا، وهو أنهم لهم علامة، وهي التحليق: يعني يحلقون شعورهم.

----

١٧٦ - حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ أَبِي سَهْلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي غَالِبٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، يَقُولُ: «شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ[٦٨] السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتِيلٍ مَنْ قَتَلُوا، كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ، قَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ فَصَارُوا كُفَّارًا» قُلْتُ: يَا أَبَا أُمَامَةَ، هَذَا شَيْءٌ تَقُولُهُ؟ قَالَ: بَلْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قال الشيخ الألباني: حسن.

الشَّرح:

اشتمل الحديث على :

الثناء الجميل على من قتل الخوارج أو قتلوه

الذم الشديد لمن قتل تحت راية الخوارج،

تصريح الصحابي بكفرهم بعد أن كانوا مسلمين.»[٦٩].

[٦٨] أَديم : أديم :- جمع آدام وأُدُم : ١ - ظاهر الشيء ووجهه :- ليس تحت أديم السماء أكرم منه. [اللغة العربية المعاصر]

[٦٩] انظر : **قَطْعُ اللَّجَاجَة بشَرْحِ صَحِيحِ الْمُقَدِّمَةِ مِنْ سُنَنِ الإِمَامِ ابْنِ مَاجَه**؛ عبيد الجابري. . بَابٌ فِي ذِكْرِ الْخَوَارِجِ. بختصار. الفتاوى الجديدة عن المناهج الدعوية لفضيلة الشيخ أحمد بن يحيى النجمي (ص ٥١-٥٦)

القاعدة التاسعة: الحق لا يُعرف بالكثرة ولا بالرجال، ولكن بالأدلة والآثار

قال المؤلف – رحمه الله – :

[٩]- الإيمان الجازم بأن دعوةَ الهدى والنور تستمدُ قوتَها وتقتبسُ ضوءَها بصحةِ البرهانِ الذي جاء به مَنْ أُنزل عليه الفرقان ﷺ، ولَم تستمدْ ذلك مِنْ كثرةِ أقوالِ الرجالِ وآرائِهم.

وعليه فلا وَحْشَةَ مِنْ قِلَّةِ السالكين على درب الحق المبين، ولا اغترار بكثرة المنحرفين والزائغين عن هدي سيد المرسلين، عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

Règle 9 : La vérité ne se s'établit pas par le nombre ni les hommes، mais par les preuves et les « athars ».

[9] – La croyance ferme que l'appel à la guidé et la lumière puise sa force et extrait sa lumière de l'authenticité de la preuve avec laquelle est venu، celui qui a reçu le Forquane (discernement)، et ne puisse pas tous cela de l'abondance parole et avis des hommes.

De ce fait، il n'y a donc pas à être triste du faible nombre de ceux qui empreinte le sentier de la vérité évidente، et il n'y a pas à être trompé par le grand nombre de déviants de la guidée du maitre des Prophètes [Meilleur prière et salutation complète sur Lui].

بل ذكرت الكثرة في القرآن في معرض الذم لا المدح.

والأدلة على هذه القاعدة كثيرة[٧٠]، فمن القرآن الكريم :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ص: ٢٤.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ يوسف: ١٠٣.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ البقرة: ١٠٠.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ العنكبوت: ٦٣.

---

[٧٠] انظر : الحق لا يُعرف بالكثرة ولا بالرجال، ولكن بالأدلة والآثار. http://tinyurl.com/hrpjaoh

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ الروم: ٨.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ يوسف: ١٠٤ - ١٠٦.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ سبأ: ٢٠.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ الأنعام: ١١٦.

((116) Et si tu obéis à la majorité de ceux qui sont sur la terre، ils t'égareront du sentier d'Allah: ils ne suivent que la conjecture et ne font que fabriquer des mensonges.).

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية: « يقول تعالى، لنبيه محمد ﷺ، محذرا عن طاعة أكثر الناس: { وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } فإن أكثرهم قد انحرفوا في أديانهم وأعمالهم، وعلومهم. فأديانهم فاسدة، وأعمالهم تبع لأهوائهم، وعلومهم ليس فيها تحقيق، ولا إيصال لسواء الطريق. بل غايتهم أنهم يتبعون الظن، الذي لا يغني من الحق شيئا، ويتخرصون في القول على الله ما لا يعلمون، ومن كان بهذه المثابة، فحرى أن يحذِّر الله منه عباده، ويصف لهم أحوالهم؛ لأن هذا –وإن كان خطابا للنبي ﷺ– فإن أمته أُسوةٌ له في سائر الأحكام، التي ليست من خصائصه. ».

قال الإمام **ابن كثير** في تفسير الآية: « يخبر تعالى عن حال أكثر أهل الأرض من بني آدم أنه الضلال ، كما قال تعالى : (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين) [الصافات : ٧١] ، وقال تعالى : (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) [يوسف : ١٠٣] ، وهم في ضلالهم ليسوا على يقين من أمرهم ، وإنما هم في ظنون كاذبة وحسبان باطل (إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون) فإن الخرص هو الحزر ومنه خرص النخل وهو حزر ما عليها من التمر، وذلك كله عن قدر الله ومشيئته. ».

قال الإمام **البغوي** في تفسير الآية: « (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) عن دين الله ، وذلك أن أكثر أهل الأرض كانوا على الضلالة ، وقيل : أراد أنهم جادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين في أكل الميتة ، وقالوا : أتأكلون ما تقتلون ولا تأكلون ما قتله الله عز وجل؟ فقال : (وإن تطع أكثر من في الأرض) أي : وإن تطعهم في أكل الميتة يضلوك عن سبيل الله ، (إن يتبعون إلا الظن) يريد أن دينهم الذي هم عليه ظن [وهوى] لم يأخذوه عن بصيرة ، (وإن هم إلا يخرصون) يكذبون . ».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍۖ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ الأعراف: ١٠٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ الروم: ٤٢.

وقال فرعون عن موسى وقومه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ الشعراء: ٥٢ - ٥٤.

ونقيض الكثرة القلة كما أخبر بذلك القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ سبأ: ١٣.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ﴾ هود: ٤٠.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾ ص: ٢٤.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ سبأ: ٢٠.

ومن الأدلة على هذه القاعدة من السنة مثل ما

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أن ﷺقال: ((بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ))[٧١].

وفي رواية : ((قيل يا رسول الله من الغرباء ؟قال الذين يصلحون إذا فسد الناس)).

وفي لفظ آخر:((الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي)).

وفي لفظ أخر: ((هم النزاع من القبائل)).

وفي لفظ آخر: ((هم أناس صالحون قليل في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم)).

قال النووي رحمه الله : ((قَالَ الْقَاضِي : وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ الْعُمُومُ وَأَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ فِي آحَادٍ مِنَ النَّاسِ وَقِلَّةٍ ثُمَّ انْتَشَرَ وَظَهَرَ ثُمَّ سَيَلْحَقُهُ النَّقْصُ وَالْإِخْلَالُ حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا فِي آحَادٍ وَقِلَّةٍ أَيْضًا كَمَا بَدَأَ))[٧٢].

وقال العلامة المحدث الإمام الألباني رحمه الله: ((وفيه رد على من احتج بالكثرة وكتل كتل وجمع جمع وهذا مخالف لمنهج النبي ﷺ لأن الناجون هم الذين على الحق وإن كانوا أقل القليل فهم السواد الأعظم فإنهم الأعظمون قدرا عند الله وإن قلوا)).

---

[٧١] مسلم برقم : ٢٣٢ – (١٤٥). كتاب الإيمان، ٦٥ – بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامِ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ.

[٧٢] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢/ ١٧٧).

وفي الصحيحين عن ابن عباس ﷺما عن النبي ﷺ أنه قال: ((عُرِضَتْ عليَّ الأمَمُ، فجعَل يمرُّ النبيُّ معَه الرجلُ، والنبيُّ معَه الرجلانِ، والنبيُّ معَه الرَّهطُ، والنبيُّ ليس معَه أحدٌ))[٧٣]. الحديث.

قال العلامة عبد الرحمان بن حسن آل الشيخ تعليقا على هذا الحديث: ((فيه الرد على من احتج بالكثرة))[٧٤].

وقال صاحب قرة العيون تعليقا على الحديث: ((أي يبعث في قومه فلا يتبعه منهم أحد كما قال تعالى: ((ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون))،

وفيه دليل على أن الناجي من الأمم هم القليل والأكثر غلبت عليهم الطباع البشرية فعصوا الرسل فهلكوا ... إلى أن قال ... والناجون وإن كانوا أقل القليل فهم السواد الأعظم فإنهم الأعظمون قدرًا عند الله وإن قلوا، فليحذر المسلم أن يغتر بالكثرة))[٧٥]. انتهى ملخصا من فتح المجيد شرح كتاب التوحيد.

ومن أقوال الصحابة على هذه القاعدة، قول حبر الأمة عبد الله بن مسعود ﷺ؛

قَالَ عمر بن مَيْمُون الأودي : «صَحِبت معَاذًا بِالْيمن فَمَا فارقته حَتَّى واريته بِالتُّرَابِ بِالشَّام ثمَّ صَحِبت بعده أفقه النَّاس عبد الله بن مَسْعُود فَسَمعته يَقُول عَلَيْكُم بِالْجَمَاعَة فَإِن يَد الله على الْجَمَاعَة ثمَّ سمعته يَوْمًا من الْأَيَّام وَهُوَ يَقُول سيلى عَلَيْكُم وُلَاة يؤخرون الصَّلَاة عَن مواقيتها فصلوا الصَّلَاة لميقاتها فَهِيَ الْفَرِيضَة وصل مَعَهم فَإِنَّهَا لَك نَافِلَة قَالَ قلت يَا أَصْحَاب مُحَمَّد مَا أدرى مَا تحدثون قَالَ وَمَا ذَاك قلت تَأْمُرنِي بِالْجَمَاعَة وتحضني عَلَيْهَا ثمَّ تَقول لي صل الصَّلَاة وَحدك وَهِي الْفَرِيضَة

[٧٣] صحيح البخاري، برقم ٥٧٥٢.

[٧٤] فتح المجيد شرح كتاب التوحيد. للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي . تحقيق محمد حامد الفقي (ص ٦٤).

[٧٥] حاشية « قرة عيون الموحدين »، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ. (ص ٢٨).

وصل مَعَ الْجَمَاعَة وَهِي نَافِلَة قَالَ يَا عَمْرو بن مَيْمُون قد كنت أَظُنك من أفقه أهل هَذِه الْقرْيَة تَدْرِي مَا الْجَمَاعَة؟ قلت لَا قَالَ ان جُمْهُور النَّاس فارقوا الْجَمَاعَة وَأَن الْجَمَاعَة مَا وَافق الْحق وَأَن كنت وَحدك.

وَفِي رِوَايَة فَقَالَ ابْن مَسْعُود وَضرب على فَخذي: وَيحك أَن جُمْهُور النَّاس فارقوا الْجَمَاعَة وَأَن الْجَمَاعَة مَا وَافق طَاعَة الله تَعَالَى.

قَالَ نعيم ابْن حَمَّاد يَعْنِي إِذا فَسدتْ الْجَمَاعَة فَعَلَيْك بِمَا كَانَت عَلَيْهِ الْجَمَاعَة قبل أَن تفْسد وَأَن كنت وَحدك فَإنَّك أَنْت الْجَمَاعَة حِينَئِذٍ . أخرجه الْحَافِظ أَبُو بكر الْبَيْهَقِيّ رَحمَه الله تَعَالَى فِي كتاب الْمدْخل»[٧٦].

ومن كلام السلف الدال على هذه القاعدة؛

وقال الحسن البصري رحمه الله: ((يا أهل السنة ترفقوا رحمكم الله فإنكم من أقل الناس))[٧٧].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: ((اتَّبِعْ طُرُقَ الْهُدَى وَلَا يَضُرُّكَ قِلَّةُ السَّالِكِينَ وَإِيَّاكَ وَطُرُقَ الضَّلَالَةِ وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْهَالِكِينَ))[٧٨].

وقال الأوزاعي رحمه الله: ((عَلَيْكَ بِطَرِيقِ الْحَقِّ، وَلَا تَسْتَوْحِشْ لِقِلَّةِ السَّالِكِينَ، وَإِيَّاكَ وَطَرِيقَ الْبَاطِلِ، وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْهَالِكِينَ))[٧٩].

ورحم الله من قال: ((الحق لا يُعرف بالكثرة ولا بالرجال، ولكن بالأدلة والآثار)).

---

[٧٦] الباعث على إنكار البدع والحوادث، لأبي شامة. (ص ٢٢).

[٧٧] رواه اللالكائي ١ص٥٧رقم ١٩.

[٧٨] الاعْتِصَام، الشاطبي. (١ص / ١٣٦).

[٧٩] مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية. (ص ١/ ٤٦).

قال شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله في رسالته مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول ﷺ ما عليه أهل الجاهلية شرح علامة العراق الالوسي:

{ باب الاحتجاج على الحق بقلة أهله}:

((المسالة السابعة الاعتماد على الكثرة والاحتجاج بالسواد الأعظم والاحتجاج على بطلان الشيء بقلة أهله، فأنزل الله تعالى ضد ذلك وما يبطله فقال: ((وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)) الأنعام ١١٦. فالكثرة على خلاف الحق لا تستوجب العدول عن اتباعه لمن كان له بصيرة وقلب، فالحق أحق بالإتباع وإن قل أنصاره كما قال تعالى: ((قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم)) (ص: ٢٤) فأخبر الله عن أهل الحق أنهم قليلون غير أن القلة لا تضرهم .

تُعَيِّرُنا أَنّا قَليلٌ عَديدُنا فَقُلتُ لَها إِنَّ الكِرامَ قَليلُ[80]

فالمقصود أن من له بصيرة ينظر إلى الدليل ويأخذ ما يستنتجه البرهان، وإن قل العارفون به المنقادون له، ومن أخذ ما عليه الأكثر وما ألفته العامة من غير نظر لدليل فهو مخطئ سالك سبيل الجاهلية مقدوح عند أهل البصائر))[81].

ذكر مسألة ذم اتباع الجال دون الحق.

[80] البيت الشعري من قصيدة « إِذا المَرءُ لَم يُدنَس مِنَ اللُؤمِ عِرضُهُ » لـ السموأل

[81] المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية، شرح علامة العراق الالوسي. (ص ٦٥).

القاعدة عاشرة: وجوب مراعاة حقوق الصحابة الكرام

قال المؤلف – رحمه الله –:

[١٠]- محبة الصحابة الكرام وأتباعهم على الإيمان والإحسان والإسلام فرض من فروض الإسلام. والحق أن من سب الصحابة أو شتمهم أو تنقص واحداً منهم أو أظهر بغضهم أو أضمره فقد جمع إلى الزندقة كبائر الذنوب والآثام.

وأن المعادي لأولياء الله بالسب والشتم والعداوة والبغضاء محارب لله. فلينظر عقوبات الله التي إذا نزلت لا ترد عن أهل الفساد والإجرام.

دليل ذلك – أيها القراء الكرام – في برهانين من براهين دين الإسلام:
أحدهما قول ذي الجلال والإكرام، في وصف الله لنبيه محمد - عليه الصلاة والسلام - ووصف أصحابه الكرام: قَالَ تَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ الفتح: ٢٩.
وقول المصطفى ﷺ : ((من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب))[٨٢].

Règle 10 : L'obligation d'observer les droits des nobles compagnons.

[10]- L'amour des nobles compagnons et de ceux qui les ont suivies dans la foi، la bienfaisance et l'Islam est une obligation parmi les obligations de l'Islam. La vérité est que celui qui insulte les compagnons، ou rabaisse l'un d'entre eux، ou montre ou cache sa haine envers eux، aura alors réunie entre la « zandaqa » et de grands péchés.

Et l'ennemi des alliés d'Allah، par insulte، ou hostilité، ou par haine est en combat contre Allah. Qu'il attend alors de recevoir les châtiments d'Allah، qui lorsqu'ils s'abattent، n'échappe pas aux gens de la corruption et de la criminalité.

La preuve de ceci se trouve dans deux preuves، parmi les preuves de la religion de l'Islam :

L'une d'entre elle، est la parole de celui qui est plein de majesté et de noblesse، lorsqu'Il décrit Son Prophète Mohammed [Paix et Salut sur Lui] : (Muhammad est le Messager d'Allah. Et ceux qui sont avec lui sont durs envers les mécréants، miséricordieux entre eux. Tu les vois inclinés، prosternés، recherchant d'Allah grâce et agrément. Leurs visages sont marqués par la trace laissée par la prosternation. Telle est leur image dans la Thora. Et l'image que l'on donne d'eux dans l'Evangile est celle d'une semence qui sort sa pousse، puis se raffermit، s'épaissit، et ensuite se dresse sur sa tige، à l'émerveillement des semeurs. [Allah] par eux ~~[les croyants]~~ remplit de dépit les mécréants. Allah promet à ceux d'entre eux qui croient et font de bonnes œuvres، un pardon et une énorme récompense.).

Et la parole de l'élu [Paix et Salut sur Lui] : (Quiconque prend pour ennemi un de mes walis، Je lui déclare la guerre.)

[٨٢] أخرجه البخاري [٧٥٠٢].

قوله تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ التوبة: ١٠٠.

((100) Les tout premiers [croyants] parmi les Emigrés et les Auxiliaires et ceux qui les ont suivis dans un beau comportement، Allah les agrée، et ils L'agréent. Il a préparé pour eux des Jardins sous lesquels coulent les ruisseaux، et ils y demeureront éternellement. Voilà l'énorme succès!)

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية: « السابقون هم الذين سبقوا هذه الأمة وبدروها إلى الإيمان والهجرة، والجهاد، وإقامة دين اللّه.

{مِنَ الْمُهَاجِرِينَ} {الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من اللّه ورضوانا، وينصرون اللّه ورسوله أولئك هم الصادقون}

ومن {الْأَنْصَارِ} {الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة}

{وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ} بالاعتقادات والأقوال والأعمال، فهؤلاء، هم الذين سلموا من الذم، وحصل لهم نهاية المدح، وأفضل الكرامات من اللّه.

{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} ورضاه تعالى أكبر من نعيم الجنة، {وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ} الجارية التي تساق إلى سَقْيِ الجنان، والحدائق الزاهية الزاهرة، والرياض الناضرة.

{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} لا يبغون عنها حولا، ولا يطلبون منها بدلا، لأنهم مهما تمنوه، أدركوه، ومهما أرادوه، وجدوه.

{ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} الذي حصل لهم فيه، كل محبوب للنفوس، ولذة للأرواح، ونعيم للقلوب، وشهوة للأبدان، واندفع عنهم كل محذور. »

قال **البغوي** في تفسير الآية: « (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) الآية . قرأ يعقوب بالرفع عطفا على قوله : " والسابقون " .

واختلفوا في السابقين الأولين ، قال سعيد بن المسيب ، وقتادة ، وابن سيرين وجماعة : هم الذين صلوا إلى القبلتين .

وقال عطاء بن أبي رباح : هم أهل بدر .

وقال الشعبي : هم الذين شهدوا بيعة الرضوان ، وكانت بيعة الرضوان بالحديبية .

واختلفوا في أول من آمن برسول الله ﷺ بعد امرأته خديجة ، مع اتفاقهم على أنها أول من آمن برسول الله ﷺ .

فقال بعضهم : أول من آمن وصلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو قول جابر ، وبه قال مجاهد وابن إسحاق ، أسلم وهو ابن عشر سنين .

وقال بعضهم : أول من آمن بعد خديجة أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وهو قول ابن عباس وإبراهيم النخعي والشعبي .

وقال بعضهم : أول من أسلم زيد بن حارثة ، وهو قول الزهري وعروة بن الزبير .

وكان إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الأقوال فيقول : أول من أسلم من الرجال أبو بكر رضي الله عنه ، ومن النساء خديجة ، ومن الصبيان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومن العبيد زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق : فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه أظهر إسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله ، وكان رجلا محببا سهلا وكان أنسب قريش وأعلمها بما كان فيها ، وكان تاجرا ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ؛ لعلمه وحسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ، فأسلم على يديه – فيما بلغني – : عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، فجاء بهم إلى رسول ﷺ حين استجابوا له فأسلموا وصلوا ، فكان هؤلاء الثمانية النفر الذين سبقوا إلى الإسلام . ثم تتابع الناس في الدخول في الإسلام ،

أما السابقون من الأنصار : فهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة ، وكانوا ستة في العقبة الأولى ، وسبعين في الثانية ، والذين آمنوا حين قدم عليهم مصعب بن عمير يعلمهم القرآن ، فأسلم معه خلق كثير وجماعة من النساء والصبيان .

قوله عز وجل : (والسابقون الأولون من المهاجرين) الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا أوطانهم .

(والأنصار) أي : ومن الأنصار ، وهم الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل المدينة وآووا أصحابه ،

(والذين اتبعوهم بإحسان) قيل : هم بقية المهاجرين والأنصار سوى السابقين الأولين .

وقيل : هم الذين سلكوا سبيلهم في الإيمان والهجرة أو النصرة إلى يوم القيامة .

وقال عطاء : هم الذين يذكرون المهاجرين والأنصار بالترحم والدعاء .

وقال أبو صخر حميد بن زياد : أتيت محمد بن كعب القرظي فقلت له : ما قولك في أصحاب رسول الله ﷺ؟ فقال : جميع أصحاب رسول الله ﷺ في الجنة محسنهم ومسيئهم ، فقلت من أين تقول هذا؟ فقال : يا هذا اقرأ قول الله تعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) إلى أن قال : (ﷺ ورضوا عنه) وقال : (والذين اتبعوهم بإحسان) شَرَطَ في التابعين شَرِيطَةَ وهي أن يتبعوهم في أفعالهم الحسنة دون السيئة .

قال أبو صخر : فكأني لم أقرأ هذه الآية قط .

روينا أن النبي ﷺ قال : " لا تسبوا أصحابي. لا تسبوا أصحابي. فوالذي نفسي بيدِه! لو أن أحدَكم أنفق مثلَ أحدٍ ذهبًا، ما أدرك مدَّ أحدِهم، ولا نصيفَه".

ثم جمعهم الله عز وجل في الثواب فقال : (ﷺ ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار) قرأ ابن كثير : (من تحتها الأنهار) ، وكذلك هو في مصاحف أهل مكة ، (خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) . » .

قال **ابن كثير** في تفسير الآية: « فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان : فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم ، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم ، أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة ، ﷺ ، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم ، عياذا بالله من ذلك . وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة ، وقلوبهم منكوسة ، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن ، إذ يسبون من ﷺ ؟ وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن ﷺ ، ويسبون من سبه الله ورسوله ، ويوالون من يوالي الله ، ويعادون من يعادي الله ، وهم متبعون لا مبتدعون ، ويقتدون ولا يبتدون ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون . » .

وقوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الحشر: ٨ - ١٠.

((8) [Il appartient aussi] aux émigrés besogneux qui ont été expulsés de leurs demeures et de leurs biens، tandis qu'ils recherchaient une grâce et un agrément d'Allah، et qu'ils portaient secours à (la cause d') Allah et à Son Messager. Ceux-là sont les véridiques. (9) Il [appartient également] à ceux qui، avant eux، se sont installés dans le pays et dans la foi، qui aiment ceux qui émigrent vers eux، et ne ressentent dans leurs cœurs aucune envie pour ce que [ces immigrés] ont reçu، et qui [les] préfèrent à eux-mêmes، même s'il y a pénurie chez eux. Quiconque se prémunit contre sa propre avarice، ceux-là sont ceux qui réussissent. (10) Et [il appartient également] à ceux qui sont venus après eux en disant: «Seigneur، pardonne-nous، ainsi qu'à nos frères qui nous ont précédés dans la foi; et ne mets dans nos cœurs aucune rancœur pour ceux qui ont cru. Seigneur، Tu es Compatissant et Très Miséricordieux».)

قال **السعدي** في تفسير الآية: «

(لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ) الآية : ثم ذكر تعالى الحكمة والسبب الموجب لجعله تعالى أموال الفيء لمن قدرها له، وأنهم حقيقون بالإعانة، مستحقون لأن تجعل لهم، وأنهم ما بَيْنَ **مهاجرين** قد هجروا المحبوبات والمألوفات، من الديار والأوطان والأحباب والخلان والأموال، رغبة في الله ونصرة لدين الله، ومحبة لرسول الله، فهؤلاء هم الصادقون الذين عملوا بمقتضى إيمانهم، وصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة والعبادات الشاقة، بخلاف من ادعى الإيمان وهو لم يصدقه بالجهاد والهجرة وغيرهما من العبادات.

(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ) الآية : وبَيَّنَ **أنصار** وهم الأوس والخزرج الذين آمنوا بالله ورسوله طوعا ومحبة واختيارا، وآووا رسول الله ﷺ، ومنعوه من الأحمر والأسود، وتبوأوا دار الهجرة والإيمان حتى صارت موئلا ومرجعا يرجع إليه المؤمنون، ويلجأ إليه المهاجرون، ويسكن بحماه المسلمون إذ كانت البلدان كلها بلدان حرب وشرك وشر، فلم يزل أنصار الدين تأوي إلى الأنصار، حتى انتشر الإسلام وقوي، وجعل يزيد شيئا شيئا فشيئا، وينمو قليلا قليلا، حتى فتحوا القلوب بالعلم والإيمان والقرآن، والبلدان بالسيف والسنان.

الذين من جملة أوصافهم الجميلة أنهم { يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ } وهذا لمحبتهم لله ولرسوله، أحبوا أحبابه، وأحبوا من نصر دينه.

{ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا } أي: لا يحسدون المهاجرين على ما آتاهم الله من فضله وخصهم به من الفضائل والمناقب التي هم أهلها، وهذا يدل على سلامة صدورهم، وانتفاء الغل والحقد والحسد عنها.

ويدل ذلك على أن المهاجرين، أفضل من الأنصار، لأن الله قدمهم بالذكر، وأخبر أن الأنصار لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، فدل على أن الله تعالى آتاهم ما لم يؤت الأنصار ولا غيرهم، ولأنهم جمعوا بين النصرة والهجرة.

وقوله: { وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } أي: ومن أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم، وتميزوا بها على من سواهم، الإيثار، وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بمحاب النفس من الأموال وغيرها، وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يكون إلا من خلق زكي، ومحبة لله تعالى مقدمة على محبة شهوات النفس ولذاتها، ومن ذلك قصة الأنصاري الذي نزلت الآية بسببه، حين آثر ضيفه بطعامه وطعام أهله وأولاده وباتوا جياعا، والإيثار عكس الأثرة، فالإيثار محمود، والأثرة مذمومة، لأنها من خصال البخل والشح، ومن رزق الإيثار فقد وقي شح نفسه { وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } ووقاية شح النفس، يشمل وقايتها الشح، في جميع ما أمر به، فإنه إذا وقي العبد شح نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعا منقادا، منشرحا بها صدره، وسمحت نفسه بترك ما نهى الله عنه، وإن كان محبوبا للنفس، تدعو إليه، وتطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز، بخلاف من لم يوق شح نفسه، بل ابتلي بالشح بالخير، الذي هو أصل الشر ومادته، فهذان الصنفان، الفاضلان الزكيان هم الصحابة الكرام والأئمة الأعلام، الذين حازوا من السوابق والفضائل والمناقب ما سبقوا به من بعدهم، وأدركوا به من قبلهم، فصاروا أعيان المؤمنين، وسادات المسلمين، وقادات المتقين.

(وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ) الآية : وحسب من بعدهم من الفضل أن يسير خلفهم، ويأتم بهداهم، ولهذا ذكر الله من اللاحقين، من هو مؤتم بهم وسائر خلفهم فقال: { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ } أي: من بعد المهاجرين والأنصار { يَقُولُونَ } على وجه النصح لأنفسهم ولسائر المؤمنين: { رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ } وهذا دعاء شامل لجميع المؤمنين، السابقين من الصحابة، ومن قبلهم ومن بعدهم، وهذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض، بسبب المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض، وأن يحب بعضهم بعضا.

ولهذا ذكر الله في الدعاء نفي الغل عن القلب، الشامل لقليل الغل وكثيره الذي إذا انتفى ثبت ضده، وهو المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين.

فوصف الله من بعد الصحابة بالإيمان، لأن قولهم: { سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ } دليل على المشاركة في الإيمان وأنهم تابعون للصحابة في عقائد الإيمان وأصوله، وهم أهل السنة والجماعة، الذين لا يصدق هذا الوصف التام إلا عليهم،

ووصفهم بالإقرار بالذنوب والاستغفار منها، واستغفار بعضهم لبعض، واجتهادهم في إزالة الغل والحقد عن قلوبهم لإخوانهم المؤمنين، لأن دعاءهم بذلك مستلزم لما ذكرنا، ومتضمن لمحبة بعضهم بعضا، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه وأن ينصح له حاضرا وغائبا. حيا وميتا،

ودلت الآية الكريمة [على] أن هذا من جملة حقوق المؤمنين بعضهم لبعض،

ثم ختموا دعاءهم باسمين كريمين، دالين على كمال رحمة الله وشدة رأفته وإحسانه بهم، الذي من جملته، بل من أجله، توفيقهم للقيام بحقوق الله وحقوق عباده.

فهؤلاء الأصناف الثلاثة هم أصناف هذه الأمة، وهم المستحقون للفيء الذي مصرفه راجع إلى مصالح الإسلام.

وهؤلاء أهله الذين هم أهله، جعلنا الله منهم، بمنه وكرمه. »

ومن السنّة النبوية الشريفة

قوله ﷺ : (لا تسبوا أصحابي . لا تسبوا أصحابي . فوالذي نفسي بيدِه ! لو أن أحدَكم أنفق مثلَ أحدٍ ذهبًا ، ما أدرك مدَّ أحدِهم ، ولا نصيفَه) [83]. رواه مسلم، وفي رواية للبخاري قال ﷺ (لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فلَوْ أنَّ أَحَدَكُمْ أنْفَقَ مِثْلَ أحدٍ ذهبًا ، ما بَلَغَ مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفَهُ)[84].

(« N'insultez pas mes compagnons! Par Celui Qui détient mon âme dans Sa Main، si l'un de vous dépensait une quantité d'or de la taille de la montagne d'Uhûd، certes il n'atteindrait pas (le mérite d') une poignée d'or dépensée par l'un d'entre eux ni même sa moitié.»)

شرح الحديث للشيخ العلامة العباد[85] ، قال – حفظه الله – :

« كونه ينهى عن سبهم هذا دال على فضلهم ...

وآخر الحديث الذي فيه التعليل: (لو أن أحدكم فعل كذا وكذا.) هذا أيضاً دال على فضلهم وأن القليل منهم لا يساويه الكثير من غيرهم.

قوله: (لا تسبوا أصحابي)

وأصحاب رسول الله ﷺ هم الذين رأوه وأكرمهم الله برؤيته وبسماع كلامه عليه الصلاة والسلام

قوله: (فوالذي نفسي بيده! لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)

يعني: لو كان إنسان عنده كوم من الذهب مثل جبل أحد وأنفقه في سبيل الله لم يبلغ فضل الواحد من الصحابة الذي ينفق مداً –وهو ربع الصاع ...فهذا يدل على فضلهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم

والحديث جاء في بعض طرقه أنه حصل خلاف بين عبد الرحمن بن عوف وبين خالد بن الوليد ، وأن خالداً سب عبد الرحمن. فقال عند ذلك رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده! لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)

---

[83] رواه مسلم في صحيحه برقم ٢٥٤٠، عن أبي هريرة.

[84] رواه البخاري في صحيحه برقم ٣٦٧٣، عن أبي سعيد الخدري.

[85] http://www.sahab.net/forums/index.php?showtopic=144716

وهذا يدل على فضل السابقين، وعلى تميزهم على المتأخرين لكن الكل اشترك في فضل الصحبة وهم متفاوتون فيها، وليسوا على حد سواء، فالسابقون الأولون أفضل من غيرهم والذين أسلموا أول من أسلم أفضل من غيرهم والذين وردت فيهم نصوص تدل على فضلهم أفضل من غيرهم، وهكذا..

فالرسول ﷺ قال: (لا تسبوا أصحابي) وإذا كان هذا الكلام قيل لـ خالد بن الوليد لما سب رجلاً من السابقين الأولين فإن غير الصحابة ممن جاء بعدهم ممن لم يظفر بشرف الصحبة هو من باب أولى فإذا كان الفرق والبون شاسعاً بين الصحابة المتأخرين وبين السابقين فإن الذين يجيئون بعد الصحابة ولم يظفروا بفضل الصحبة ولم يظفروا بشرف النظر إليه ﷺ وسماع حديثه من فمه الشريف ﷺ من باب أولى أن يكون عمل الكثير منهم لا يساوي القليل من عمل أصحاب رسول الله ...

وسب أصحاب رسول الله ﷺ من الكبائر وقد ذكر الذهبي رحمه الله في آخر كتابه الكبائر: كبيرة سب الصحابة وختم بها ذلك الكتاب المكون من سبعين كبيرة. ولا شك أن سبهم فيه مخالفة لنهي الرسول عليه الصلاة والسلام في ذلك وفيه نيل من خير هذه الأمة ...

ولهذا جاءت النقول الكثيرة عن أهل العلم في التحذير من سبهم ومن ذكرهم بسوء وقد قال أبو المظفر السمعاني -كما نقله عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري-: إن القدح في أحد من الصحابة علامة على خذلان فاعله، وهو بدعة وضلالة

ولما ذكر الحافظ ابن حجر في شرح حديث المصراة في صحيح البخاري أن أحد الحنفية قال: إن أبا هريرة ليس مثل عبد الله بن مسعود في الفقه، وهو الذي روى حديث المصراة، وهذا قدح في فقهه ﷺ.

فقال عند ذلك الحافظ ابن حجر : وقائل هذا الكلام إنما آذى نفسه، ومجرد تصور فساده يغني عن تكلف الرد عليه. ثم نقل كلام أبي المظفر السمعاني المتقدم.

ومن أشد وأوضح ما جاء في ذلك ما نقله **الخطيب البغدادي** في كتابه **الكفاية** بإسناده إلى أبي زرعة الرازي قال: إذا رأيتم من ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلموا أنه زنديق وذلك أن الكتاب حق والرسول ﷺ حق وإنما أدى إلينا الكتاب والسنة أصحاب رسول الله ﷺ وهؤلاء -أي الذين يقدحون فيهم- يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى، وهم زنادقة.

لأن القدح في الناقل قدح في المنقول، والمنقول هو الكتاب والسنة والناقلون هم أصحاب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ورضي الله تعالى عن الصحابة

قال سعيد بن زيد ﷺ: (لَـمَشْهَدِ رجلٍ منهم مع رسول الله ﷺ يَغْبَرُ به وجهَه خيرٌ من عملِ أحدكم عمره ولو عمر عمر نوح)

ونوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً كما جاء ذلك في آية العنكبوت، وهي مدة طويلة، وعمر طويل...

وما عرف الناس حقاً ولا هدى إلا عن طريق الصحابة، ولهذا فإن من فضائل أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ومن مناقبهم كثرة ثوابهم وأجرهم لأن أحدهم إذا روى سنة عن رسول الله ﷺ وتلقاها الناس من بعده وعملوا بها إلى يوم القيامة، فإن الله تعالى يُثِيبُ ذلك الصحابي مثلَ ثواب كل الذين عملوا بهذه السنة

لأن النبي ﷺ قال: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً) ... »

ا.هـ بشيء من الاختصار.

وحديث: (لا يُحِبُّ الأنصارَ إلا مؤمنٌ، ولا يُبْغِضُهم إلا منافقٌ، ومَن أَحَبَّهم أَحَبَّهُ اللهُ، ومَن أَبْغَضَهم أَبْغَضَه اللهُ)[86]

وحديث: (مَن أحبَّ الأنصارَ فبحبِّي أحبَّهم، ومن أبغَضَ الأنصارَ فبِبُغضي أبغَضَهُم)[87].

[86] صحيح الجامع، رقم الحديث ٧٦٢٩، عن البراء بن عازب. صححه الألباني.

[87] رواه العراقي في محجة القرب عن معاوية بن أبي سفيان برقم: ٢٥٥ .صحيح

القاعدة الحادية عشرة: عناية النفس بمعالجتها من أمراض الشبهات وأمراض الشهوات

قال المؤلف – رحمه الله – :

[١١]- العناية بعلاج النفوس والقلوب من أمراض الشبهات التي يلقيها الشيطان إلى العبد لتقدح في إيمانه. وكذا العناية بعلاج النفوس والقلوب من مرض الشهوات التي يلقيها الشيطان على النفوس والقلوب فتقدح في الإيمان كذلك.

ودفع هذين المرضين يحتاج إلى أمرين: أحدهما: الصبر والثاني: اليقين؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ السجدة: ٢٤.

فقد أخبر سبحانه في هذه الآية الكريمة أن إمامة الدين إنَّما تنال بالصبر واليقين. فالصبر يدفع الشهوات، واليقين يدفع الشبهات.

Règle 11 : Se préoccuper à se soigner contre les maladies de suspicion et de désir.

[11]- Se préoccuper de soigner son âme et son cœur contre les maladies de suspicion، émises par satan afin de dégrader sa foi. Ainsi que de se préoccuper de se soigner contre les maladies des désirs، émises aussi par satan qui affecte aussi la foi.

Pour repousser ces deux maladies، il est nécessaire d'avoir deux choses : la patience et la certitude، tel que dans la aya : (Et Nous avons désigné parmi eux des dirigeants qui guidaient (les gens) par Notre ordre aussi longtemps qu'ils enduraient et avaient la certitude en Nos versets.)، Allah nous informe dans cette aya que le statut de « imam » en religion ne s'acquière qu'avec la patiente et la certitude. La patiente repousse les désirs، et la certitude repousse les suspicions.

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية : « { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ } أي: من بني إسرائيل { أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا } أي: علماء بالشرع، وطرق الهداية، مهتدين في أنفسهم، يهدون غيرهم بذلك الهدى، فالكتاب الذي أنزل إليهم، هدى، والمؤمنون به منهم، على قسمين: أئمة يهدون بأمر اللّه، وأتباع مهتدون بهم.

والقسم الأول أرفع الدرجات بعد درجة النبوة والرسالة، وهي درجة الصديقين، وإنما نالوا هذه الدرجة العالية بالصبر على التعلم والتعليم، والدعوة إلى اللّه، والأذى في سبيله، وكفوا أنفسهم عن جماحها في المعاصي، واسترسالها في الشهوات.

{ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ } أي: وصلوا في الإيمان بآيات اللّه، إلى درجة اليقين، وهو العلم التام، الموجب للعمل، وإنما وصلوا إلى درجة اليقين، لأنهم تعلموا تعلمًا صحيحًا، وأخذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين. فما زالوا يتعلمون المسائل، ويستدلون عليها بكثرة الدلائل، حتى وصلوا لذاك.

فبالصبر واليقين، تُنَالُ الإمامة في الدين. ».

قال **البغوي** في تفسير الآية : « (وجعلنا منهم) يعني : من بني إسرائيل) (أئمة) قادة في الخير يقتدى بهم ، يعني : الأنبياء الذين كانوا فيهم . وقال قتادة : أتباع الأنبياء) (يهدون) يدعون (بأمرنا لما صبروا) قرأ حمزة والكسائي ، بكسر اللام وتخفيف الميم ، أي : لصبرهم ، وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد الميم ، أي : حين صبروا على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر (وكانوا بآياتنا يوقنون) ».

قال **ابن كثير** في تفسير الآية : « وقوله : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) ، أي : لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك نواهيه وزواجره وتصديق رسله واتباعهم فيما جاؤوهم به ، كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله ، ويدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر .

ثم لما بدلوا وحرفوا وأولوا ، سلبوا ذلك المقام ، وصارت قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، فلا عمل صالحا ، ولا اعتقاد صحيحا; ولهذا قال : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) قال قتادة وسفيان : لما صبروا عن الدنيا : وكذلك قال الحسن بن صالح .

قال سفيان : هكذا كان هؤلاء ، ولا ينبغي للرجل أن يكون إماما يقتدى به حتى يتحامى عن الدنيا .

قال وكيع : قال سفيان : لا بد للدين من العلم ، كما لا بد للجسد من الخبز .

وقال ابن بنت الشافعي : قرأ أبي على عمي – أو : عمي على أبي – سئل سفيان عن قول علي ، ﷺ : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ألم تسمع قوله : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) ، قال : لما أخذوا برأس الأمر صاروا رؤوسا .

قال بعض العلماء : بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين . ».

قال **القرطبي** في تفسير الآية : « يهدون بأمرنا أي يدعون الخلق إلى طاعتنا . بأمرنا أي أمرناهم بذلك . وقيل : بأمرنا أي لأمرنا ; أي يهدون الناس لديننا . ثم قيل : المراد الأنبياء عليهم السلام ; قاله قتادة . وقيل : المراد الفقهاء والعلماء . لما صبروا قراءة العامة (لما) بفتح اللام وتشديد الميم وفتحها ; أي حين صبروا . وقرأ يحيى وحمزة والكسائي وخلف ورويس عن يعقوب : (لما صبروا) أي لصبرهم جعلناهم أئمة . واختاره أبو عبيد اعتبارا بقراءة ابن مسعود (بما صبروا) بالباء . وهذا الصبر صبر على الدين وعلى البلاء . وقيل : صبروا عن الدنيا . ».

رسالة « أمراض القلوب وشفاؤها» لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – .

فصلٌ: «في مرض القلوب وشفائها»

قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [سورة البقرة آية: ١٠]،

Il y a dans leurs cœurs une maladie (de doute et d'hypocrisie)، et Allah laisse croître leur maladie

وقال تعالى:﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الحج آية: ٥٣]،

Afin de faire، de ce que jette le Diable، une tentation pour ceux qui ont une maladie au cœur et ceux qui ont le cœur dur

وقال: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الأحزاب آية: ٦٠]،

Certes، si les hypocrites، ceux qui ont la maladie au cœur، et les alarmistes [semeurs de troubles] à Médine ne cessent pas، Nous t'inciterons contre eux، et alors، ils n'y resteront que peu de temps en ton voisinage.

وقال: ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ [سورة المدثر آية: ٣١]،

et pour que ceux qui ont au cœur quelque maladie ainsi que les mécréants disent: «Qu'a donc voulu Allah par cette parabole«?

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس آية: ٥٧]،

O gens! Une exhortation vous est venue، de votre Seigneur، une guérison de ce qui est dans les poitrines، un guide et une miséricorde pour les croyants.

وقال:﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [سورة الإسراء آية: ٨٢]،

Nous faisons descendre du Coran، ce qui est une guérison et une miséricorde pour les croyants. Cependant، cela ne fait qu'accroître la perdition des injustes.

وقال: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة التوبة آية: ١٤، ١٥].

guérira les poitrines d'un peuple croyant. Et il fera partir la colère de leurs cœurs.

و«**مرض البدن**» خلاف صحته وصلاحه وهو فسادٌ يكون فيه يفسد به إدراكه وحركته الطبيعية. **فإدراكه** إما أن يذهب كالعمى والصمم. وإما أن يدرك الأشياء على خلاف ما هي عليه كما يدرك الحلو مرًّا وكما يخيل إليه أشياء لا حقيقة لها في الخارج. وأما فساد **حركته الطبيعية** فمثل أن تضعف قوته عن الهضم أو مثل أن يبغض الأغذية التي يحتاج إليها ويحب الأشياء التي تضره ويحصل له من الآلام بحسب ذلك؛ ولكن مع ذلك المرض لم يمت ولم يهلك؛ بل فيه نوع قوةٍ على إدراك الحركة الإرادية في الجملة [فيتولد من ذلك] ألمٌ يحصل في البدن إما بسبب فساد الكمية أو الكيفية: فالأول أما نقص المادة فيحتاج إلى غذاءٍ وأما بسبب زياداتها فيحتاج إلى استفراغٍ. والثاني كقوة في الحرارة والبرودة خارجة عن الاعتدال فتداوى.

وكذلك «**مرض القلب**» هو نوع فسادٍ يحصل له يفسد به **تصوره وإرادته** : **فتصوره** بالشبهات التي تعرض له حتى لا يرى الحق أو يراه على خلاف ما هو عليه **وإرادته** بحيث يبغض الحق النافع ويحب الباطل الضار. فلهذا يفسر [المرض] تارةً بالشك والريب؛ كما فسر مجاهدٌ وقتادة قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [سورة البقرة آية: ١٠] أي شكٌّ. وتارةً يفسر بشهوة الزنا كما فسر به قوله تعالى:﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [سورة الأحزاب آية: ٣٢]. ولهذا صنف الخرائطي «كتاب اعتلال القلوب» أي مرضها، وأراد به مرضها بالشهوة.

والمريض يؤذيه ما لا يؤذي الصحيح؛ فيضره يسير الحر والبرد والعمل ونحو ذلك من الأمور التي لا يقوى عليها لضعفه بالمرض. والمرض -في الجملة- يضعف المريض ويجعل قوته ضعيفةً لا تطيق ما يطيقه القوي. والصحة تحفظ بالمثل، وتزال بالضد. والمرض يقوى بمثل سببه، ويزول بضده. فإذا حصل للمريض مثل سبب مرضه زاد مرضه وزاد ضعف قوته حتى ربما يهلك، وإن حصل له ما يقوي القوة ويزيل المرض كان بالعكس.

و«**مرض القلب**» ألمٌ يحصل في القلب كالغيظ من عدوٍّ استولى عليك فإن ذلك يؤلم القلب. قال الله تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة التوبة آية: ١٤، ١٥] فشفاؤهم بزوال ما حصل في قلوبهم من الألم. ويقال: فلانٌ شفى غيظه وفي القود استشفاء أولياء المقتول ونحو ذلك.

فهذا شفاءٌ من الغمِّ والغيظ والحزن وكل هذه آلامٌ تحصل في النفس.

وكذلك «**الشك والجهل**» يؤلم القلب؛ قال النبي ﷺ: «**هَلَّا سَأَلُوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّ شِفَاءُ الْعَيِّ السُّؤَالُ**». والشاك في الشيء المرتاب فيه يتألم قلبه حتى

يحصل له العلم واليقين. ويقال للعالم الذي أجاب بما يبين الحق: « قد شفاني بالجواب ».

والمرض دون الموت. فالقلب يموت بالجهل المطلق ويمرض بنوع من الجهل؛ فله موتٌ ومرضٌ وحياةٌ وشفاءٌ، وحياته وموته ومرضه وشفاؤه أعظم من حياة البدن وموته ومرضه وشفائه. فلهذا مريض القلب إذا ورد عليه شبهةٌ أو شهوةٌ قوت مرضه وإن حصلت له حكمةٌ وموعظةٌ كانت من أسباب صلاحه وشفائه. قال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [سورة الحج آية: ٥٣] لأن ذلك أورث شبهةً عندهم والقاسية قلوبهم ليبسها فأولئك قلوبهم ضعيفةٌ بالمرض فصار ما ألقى الشيطان فتنةً لهم وهؤلاء كانت قلوبهم قاسيةً عن الإيمان فصار فتنةً لهم. قال: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [سورة الأحزاب آية: ٦٠] كما قال: ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [سورة المدثر آية: ٣١] لم تمت قلوبهم كموت قلوب الكفار والمنافقين وليست صحيحةً صالحةً كصالح قلوب المؤمنين بل فيها مرض شبهةٍ وشهواتٍ وكذلك ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [سورة الأحزاب آية: ٣٢] وهو مرض الشهوة، فإن القلب الصحيح لو تعرضت له المرأة لم يلتفت إليها بخلاف القلب المريض بالشهوة فإنه لضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك بحسب قوة المرض وضعفه فإذا خضعن بالقول طمع الذي في قلبه مرضٌ.

و«**القرآن**» شفاءٌ لما في الصدور ومن في قلبه أمراض الشبهات والشهوات ففيه من البينات ما يزيل الحق من الباطل فيزيل أمراض الشبهة المفسدة للعلم والتصور والإدراك بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه وفيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والقصص التي فيها عبرةٌ ما يوجب صلاح القلب فيرغب القلب فيما ينفعه ويرغب عما يضره فيبقى القلب محبًا للرشاد مبغضًا للغي بعد أن كان مريدًا للغي مبغضًا للرشاد. فالقرآن مزيلٌ للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة حتى يصلح القلب فتصلح إرادته ويعود إلى فطرته التي فطر عليها كما يعود البدن إلى الحال الطبيعي ويغتذي القلب من الإيمان والقرآن بما يزكيه ويؤيده كما يغتذي البدن بما ينميه ويقومه فإن زكاة القلب مثل نماء البدن.

و«**الزكاة** في اللغة» النماء والزيادة في الصلاح. يقال: زكا الشيء إذا نما في الصلاح. فالقلب يحتاج أن يتربى فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح كما يحتاج البدن أن يربى بالأغذية المصلحة له ولا بد مع ذلك من منع ما يضره فلا ينمو البدن إلا بإعطاء ما ينفعه ومنع ما يضره، وكذلك القلب لا يزكو فينمو ويتم صلاحه إلا بحصول ما ينفعه، ودفع ما يضره وكذلك الزرع لا يزكو إلا بهذا.

و«**الصدقة**» لما كانت تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار صار القلب يزكو بها، وزكاته معنًى زائدٌ على طهارته من الذنب. قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [سورة التوبة آية: ١٠٣]. وكذلك ترك الفواحش يزكو بها القلب. وكذلك ترك المعاصي فإنها بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن. ومثل الدغل في الزرع فإذا استفرغ البدن من الأخلاط الرديئة – كاستخراج الدم الزائد – تخلصت القوة الطبيعية واستراحت فينمو البدن، وكذلك القلب إذا تاب من الذنوب كان استفراغًا من تخليطاته؛ حيث خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فإذا تاب من الذنوب تخلصت قوة القلب وإراداته للأعمال الصالحة واستراح القلب من تلك الحوادث الفاسدة التي كانت فيه. فزكاة القلب بحيث ينمو ويكمل. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [سورة النور آية: ٢١]

(Et n'eussent été la grâce d'Allah envers vous et Sa miséricorde، nul d'entre vous n'aurait jamais été pur. Mais Allah purifie qui Il veut. Et Allah est Audient et Omniscient).

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ [سورة النور آية: ٢٨]

(Et si on vous dit: «Retournez»، eh bien، retournez. Cela est plus pur pour vous).

وقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة النور آية: ٣٠]

(Dis aux croyants de baisser leurs regards et de garder leur chasteté. C'est plus pur pour eux. Allah est، certes، Parfaitement Connaisseur de ce qu'ils font.)

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [سورة الأعلى آية: ١٤، ١٥]

(Réussit، certes، celui qui se purifie (١٥)،et se rappelle le nom de son Seigneur، puis célèbre la Salât)

وقال تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [سورة الشمس آية: ٩، ١٠]

(A réussi، certes، celui qui la purifie (١٠).Et est perdu، certes، celui qui la corrompt.)

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ [سورة عبس آية: ٣]

(Qui te dit: peut-être [cherche]-t-il à se purifier?)

وقال تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [سورة النازعات آية: ١٨، ١٩]

(Puis dis-lui: «Voudrais-tu te purifier?)

فالتزكية وإن كان أصلها **النماء والبركة وزيادة الخير** فإنها تحصل **بإزالة الشر**؛ فلهذا صار التزكي يجمع هذا وهذا. وقال:﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [سورة فصلت آية: ٦، ٧]، وهي التوحيد والإيمان الذي به يزكو القلب، فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب وإثبات إلهية الحق في القلب وهو حقيقةُ لا إله إلا الله. وهذا أصل ما تزكو به القلوب.

والتزكية جعل الشيء زَكِيًّا: إما في ذاته وإما في الاعتقاد والخبر؛ كما يقال: عدلته إذا جعلته عدلًا في نفسه أو في اعتقاد الناس. قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [سورة النجم آية: ٣٢] أي تخبروا بزكاتها وهذا غير قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [سورة الشمس آية: ٩] ولهذا قال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [سورة النجم آية: ٣٢] وكان اسم زينب برة فقيل: تزكي نفسها فسماها رسول الله ﷺ زينب. وأما قوله:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء آية: ٤٩] أي يجعله زاكيًا ويخبر بزكاته كما يزكي المزكي الشهود فيخبر بعدلهم.

و«**العدل**» هو الاعتدال، والاعتدال هو صلاح القلب كما أن الظلم فساده. ولهذا جميع الذنوب يكون الرجل فيها ظالمًا لنفسه. والظلم خلاف العدل فلم يعدل على نفسه؛ بل ظلمها؛ فصلاح القلب في العدل وفساده في الظلم وإذا ظلم العبد نفسه فهو الظالم وهو المظلوم كذلك إذا عدل فهو العادل والمعدول عليه فمنه العمل وعليه تعود ثمرة العمل من خيرٍ وشرٍّ. قال تعالى:﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [سورة البقرة آية: ٢٨٦].

و«**العمل**» له أثرٌ في القلب من نفعٍ وضرٍّ وصلاحٍ قبل أثره في الخارج، فصلاحها[٨٨] عدلٌ لها وفسادها ظلمٌ لها قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [سورة فصلت آية: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [سورة الإسراء آية: ٧] قال بعض السلف:« إن للحسنة

[٨٨] أي صلاح النفس.

لنورًا في القلب وقوةً في البدن وضياءً في الوجه وسعةً في الرزق ومحبةً في قلوب الخلق، وإن للسيئة لظلمةً في القلب وسوادًا في الوجه ووهنًا في البدن ونقصًا في الرزق وبغضًا في قلوب الخلق ». وقال تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [سورة الطور آية: ٢١]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [سورة المدثر آية: ٣٨] وقال: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ [سورة الأنعام آية: ٧٠] وتبسل أي ترتهن وتحبس وتؤسر؛ كما أن الجسد إذا صح من مرضه قيل قد اعتدل مزاجه. والمرض إنما هو انحراف المزاج مع أن الاعتدال المحض السا لم من الأخلاط لا سبيل إليه لكن الأمثل؛ فالأمثل؛ فهكذا صحة القلب وصلاحه في العدل ومرضه من الزيغ والظلم والانحراف. والعدل المحض في كل شيءٍ متعذرٌ علمًا وعملًا ولكن الأمثل فالأمثل؛ ولهذا يقال: هذا أمثل ويقال للطريقة السلفية: الطريقة المثلى. وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [سورة النساء آية: ١٢٩] وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة الأنعام آية: ١٥٢]. والله تعالى بعث الرسل وأنزل الكتب ليقوم الناس بالقسط وأعظم القسط عبادة الله وحده لا شريك له ثم العدل على الناس في حقوقهم ثم العدل على النفس.

و**الظلم** «ثلاثة أنواعٍ»: والظلم كله من أمراض القلوب و**العدل** صحتها وصلاحها. قال أحمد بن حنبلٍ لبعض الناس:« لو صححت لم تخف أحدًا » أي خوفك من المخلوق هو من مرضٍ فيك كمرض الشرك والذنوب.

وأصل « **صلاح القلب** » هو حياته واستنارته قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [سورة الأنعام آية: ١٢٢]. لذلك ذكر الله حياة القلوب ونورها وموتها وظلمتها في غير موضعٍ. كقوله: ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سورة يس آية: ٧٠] وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ ثم قال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنفال آية: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [سورة الروم آية: ١٩].

ومن أنواعه أنه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن. وفي الحديث الصحيح «**مثل البيت الّذي يذكر اللّه فيه والبيت الّذي لا يذكر اللّه فيه مثل الحيّ والميّت**» وفي الصحيح أيضًا: «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتّخذوها قبورًا**». وقد قال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [سورة الأنعام آية: ٣٩] وذكر سبحانه آية النور وآية الظلمة فقال:﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ [سورة النور آية: ٣٥] فهذا مثل نور الإيمان في قلوب المؤمنين ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [سورة النور آية: ٣٩، ٤٠].

فالأول مثل الاعتقادات الفاسدة والأعمال التابعة لها يحسبها صاحبها شيئًا ينفعه فإذا جاءها لم يجدها شيئًا ينفعه فوفاه الله حسابه على تلك الأعمال.

والثاني: مثلٌ للجهل البسيط وعدم الإيمان والعلم فإن صاحبها في ظلماتٍ بعضها فوق بعضٍ لا يبصر شيئًا؛ فإن البصر إنما هو بنور الإيمان والعلم. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [سورة الأعراف آية: ٢٠١] وقال تعالى. ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [سورة يوسف آية: ٢٤] وهو برهان الإيمان الذي حصل في قلبه فصرف الله به ما كان هم به وكتب له حسنةً كاملةً ولم يكتب عليه خطيئةً إذ فعل خيرًا ولم يفعل سيئةً. وقال تعالى: ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [سورة إبراهيم آية: ١] وقال: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [سورة البقرة آية: ٢٥٧] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [سورة الحديد آية: ٢٨]. ولهذا ضرب الله للإيمان «مثلين». مثلًا بالماء الذي به الحياة وما يقترن به من الزبد ومثلًا بالنار التي بها النور وما يقترن بما يوقد عليه من الزبد. وكذلك ضرب الله للنفاق «مثلين» قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [سورة الرعد آية: ١٧] وقال تعالى في المنافقين: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة آية: ١٧- ٢٠]. فضرب لهم مثلًا كالذي أوقد النار كلما أضاءت أطفأها الله والمثل المائي كالماء النازل من السماء وفيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ. ولبسط الكلام في هذه الأمثال موضعٌ آخر. وإنما المقصود هنا ذكر حياة القلوب وإنارتها، وفي الدعاء المأثور «اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا». و«الربيع» هو المطر الذي ينزل من السماء فينبت به النبات قال النبي ﷺ: «إنّ ممّا ينبت الرّبيع ما يقتل حبطًا أو يلمّ». والفصل الذي ينزل فيه أول المطر تسميه العرب الربيع لنزول المطر الذي ينبت الربيع فيه وغيرهم يسمي الربيع الفصل الذي يلي الشتاء؛ فإن فيه تخرج الأزهار التي تخلق منها الثمار وتنبت الأوراق على الأشجار.

والقلب الحي المنور؛ لما فيه من النور يسمع ويبصر ويعقل والقلب الميت لا يسمع ولا يبصر. قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة آية: ١٧١] وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ [سورة يونس آية: ٤٢، ٤٣] وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الأنعام آية: ٢٥] الآيات. فأخبر أنهم لا يفقهون بقلوبهم ولا يسمعون بآذانهم ولا يؤمنون بما رأوه من النار كما أخبر عنهم حيث قالوا: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [سورة فصلت آية: ٥]. فذكروا الموانع على القلوب، والسمع والأبصار وأبدانهم حيةٌ تسمع الأصوات وترى الأشخاص؛ لكن حياة البدن بدون حياة القلب من جنس حياة البهائم لها سمعٌ وبصرٌ وهي تأكل وتشرب وتنكح ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [سورة البقرة آية: ١٧١]. فشبههم بالغنم الذي ينعق بها الراعي وهي لا تسمع إلا نداءً. كما قال في الآية الأخرى:﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [سورة الفرقان آية: ٤٤] وقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [سورة الأعراف آية: ١٧٩] فطائفةٌ من المفسرين تقول في هذه الآيات وما أشبهها كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾ [سورة يونس آية: ١٢] وأمثالها مما ذكر الله في عيوب الإنسان وذمها فيقول هؤلاء: هذه الآية في الكفار والمراد بالإنسان هنا الكافر فيبقى من يسمع ذلك يظن أنه ليس لمن يظهر الإسلام في هذا الذم والوعيد نصيبٌ؛ بل يذهب وهمه إلى من كان مظهرًا للشرك من العرب أو إلى من يعرفهم من مظهري الكفر كاليهود والنصارى ومشركي الترك والهند. ونحو ذلك فلا ينتفع بهذه الآيات التي أنزلها الله ليهتدي بها عباده. فيقال –أولًا–: المظهرون للإسلام فيهم مؤمنٌ ومنافقٌ والمنافقون كثيرون في كل زمانٍ والمنافقون في الدرك الأسفل

من النار. ويقال: «ثانيًا» الإنسان قد يكون عنده شعبةٌ من نفاقٍ وكفرٍ وإن كان معه إيمانٌ كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**أربعٌ من كنّ فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلةٌ منهنّ كانت فيه خصلةٌ من النّفاق حتّى يدعها: إذا حدّث كذب وإذا اؤتمن خان وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر**» فأخبر أنه من كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق. وقد ثبت في الحديث الصحيح أنه قال لأبي ذرٍّ ﷺ «**إنّك امرؤٌ فيك جاهليّةٌ**» وأبو ذرٍّ – ﷺ – من أصدق الناس إيمانًا وقال في الحديث الصحيح: «**أربعٌ في أمّتي من أمر الجاهليّة: الفخر بالأحساب والطّعن في الأنساب والنّياحة والاستسقاء بالنّجوم**» وقال في الحديث الصحيح «**لتتّبعنّ سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذّة حتّى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه.** قالوا: اليهود والنّصارى قال: **فمن**» وقال أيضًا في الحديث الصحيح: «**لتأخذن أمّتي ما أخذت الأمم قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع.** قالوا: فارس والرّوم قال: **ومن النّاس إلّا هؤلاء**». وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب محمدٍ – ﷺ –كلهم يخاف النفاق على نفسه وعن عليٍّ – أو حذيفة – ﷺما – قال: القلوب «أربعةٌ». قلبٌ أجرد فيه سراجٌ يزهر فذلك قلب المؤمن وقلبٌ أغلف فذاك قلب الكافر وقلبٌ منكوسٌ. فذاك قلب المنافق وقلبٌ فيه مادتان: مادةٌ تمده الإيمان ومادةٌ تمده النفاق فأولئك قومٌ خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا. وإذا عرف هذا علم أن كل عبدٍ ينتفع بما ذكر الله في الإيمان من مدح شعب الإيمان وذم شعب الكفر وهذا كما يقول بعضهم في قوله: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ [سورة الفاتحة آية: ٦]. فيقولون المؤمن قد هدي إلى الصراط المستقيم فأي فائدةٍ في طلب الهدى ثم يجيب بعضهم بأن المراد ثبتنا على الهدى كما تقول العرب للنائم: نم حتى آتيك أو يقول بعضهم ألزم قلوبنا الهدى فحذف الملزوم ويقول بعضهم زدني هدًى وإنما يوردون هذا السؤال لعدم تصورهم الصراط المستقيم الذي يطلب العبد الهداية إليه؛ فإن المراد به العمل بما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه في جميع الأمور.

والإنسان وإن كان أقر بأن محمدًا رسول الله وأن القرآن حقٌّ على سبيل الإجمال فأكثر ما يحتاج إليه من العلم بما ينفعه ويضره وما أمر به وما نهى عنه في تفاصيل الأمور وجزئياتها لم يعرفه وما عرفه فكثيرٌ منه لم يعلمه ولو قدر أنه بلغه كل أمرٍ ونهيٍ في القرآن والسنة فالقرآن والسنة إنما فيهما الأمور العامة والكلية لا يمكن غير ذلك لا يذكر ما يخص به كل عبدٍ ولهذا أمر الإنسان في مثل ذلك بسؤال الهدى إلى الصراط المستقيم. والهدى إلى الصراط المستقيم يتناول هذا كله يتناول التعريف بما جاء به الرسول مفصلًا ويتناول التعريف بما يدخل في أوامره الكليات ويتناول إلهام العمل بعلمه فإن مجرد العلم بالحق لا يحصل به الاهتداء إن لم يعمل بعلمه لهذا قال لنبيه بعد صلح الحديبية: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا**﴾ [سورة الفتح آية: ١، ٢] وقال في حق موسى وهارون: ﴿**وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ [سورة الصافات آية: ١١٧، ١١٨] .

والمسلمون قد تنازعوا فيما شاء الله من الأمور الخبرية والعلمية والاعتقادية والعملية مع أنهم كلهم متفقون على أن محمدًا حقٌّ والقرآن حقٌّ فلو حصل لكل منهم الهدى إلى الصراط المستقيم فيما اختلفوا فيه لم يختلفوا ثم الذين علموا ما أمر الله به أكثرهم يعصونه و[لا] يحتذون حذوه فلو هدوا إلى الصراط المستقيم في تلك الأعمال لفعلوا ما أمروا به وتركوا ما نهوا عنه والذين هداهم الله من هذه الأمة حتى صاروا من أولياء الله المتقين كان من أعظم أسباب ذلك دعاؤهم الله بهذا الدعاء في كل صلاةٍ مع علمهم بحاجتهم وفاقتهم إلى الله دائمًا في أن يهديهم إلى الصراط المستقيم. فبدوام هذا الدعاء والافتقار صاروا من أولياء الله المتقين. قال سهل بن عبد الله التستري ليس بين العبد وبين ربه طريقٌ أقرب إليه من الافتقار وما حصل فيه الهدى في الماضي فهو محتاجٌ إلى حصول الهدى فيه في المستقبل وهذا حقيقة قول من يقول: ثبتنا واهدنا لزوم الصراط. وقول من قال: زدنا هدًى يتناول ما تقدم؛ لكن هذا كله هدًى منه في المستقبل إلى الصراط المستقيم؛ فإن العمل في المستقبل بالعلم لم يحصل بعد ولا يكون مهتديًا حتى يعمل في المستقبل بالعلم وقد لا يحصل العلم في المستقبل بل يزول عن القلب وإن حصل فقد لا يحصل العمل فالناس كلهم مضطرون إلى هذا الدعاء؛ ولهذا فرضه الله عليهم في كل صلاةٍ فليسوا إلى شيءٍ من الدعاء أحوج منهم إليه وإذا حصل الهدى إلى الصراط المستقيم حصل النصر

والرزق وسائر ما تطلب النفوس من السعادة والله أعلم.

واعلم أن حياة القلب وحياة غيره ليست مجرد الحس والحركة الإرادية أو مجرد العلم والقدرة كما يظن ذلك طائفةٌ من النظار في علم الله وقدرته كأبي الحسين البصري. قالوا: إن حياته أنه بحيث يعلم ويقدر بل الحياة صفةٌ قائمةٌ بالموصوف وهي شرطٌ في العلم والإرادة والقدرة على الأفعال الاختيارية وهي أيضًا مستلزمةٌ لذلك فكل حيٍّ له شعورٌ وإرادةٌ وعملٌ اختياريٌّ بقدرة وكل ما له علمٌ وإرادةٌ وعملٌ اختياريٌّ فهو حيٌّ. والحياء مشتقٌّ من الحياة؛ فإن القلب الحي يكون صالحًا حيًّا فيه حياءً يمنعه عن القبائح فإن حياة القلب هي المانعة من القبائح التي تفسد القلب ولهذا قال النبي ﷺ «**الحياء من الإيمان**» وقال: «**الحياء والعيّ شعبتان من الإيمان. والبذاء والبيان شعبتان من النّفاق**» فإن الحي يدفع ما يؤذيه؛ بخلاف الميت الذي لا حياة فيه [فإنه] يسمى وقحًا والوقاحة الصلابة وهو اليبس المخالف لرطوبة الحياة فإذا كان وقحًا يابسًا صليب الوجه لم يكن في قلبه حياةٌ توجب حياءه، وامتناعه من القبح كالأرض اليابسة لا يؤثر فيها وطء الأقدام بخلاف الأرض الخضرة. ولهذا كان الحيي يظهر عليه التأثر بالقبح وله إرادةٌ تمنعه عن فعل القبيح بخلاف الوقح الذي ليس بحيي فإنه لا حياء معه ولا إيمان يزجره عن ذلك. فالقلب إذا كان حيًّا فمات الإنسان بفراق روحه بدنه كان موت النفس فراقها للبدن ليست هي في نفسها ميتةً بمعنى زوال حياتها عنها. ولهذا قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ**﴾ [سورة البقرة آية: ١٥٤] وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ**﴾ [سورة آل عمران آية: ١٦٩] مع أنهم موتى داخلون في قوله: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ [سورة آل عمران آية: ١٨٥] وفي قوله: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾ [سورة الزمر آية: ٣٠] وقوله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**﴾ [سورة الحج آية: ٦٦] فالموت المثبت غير الموت المنفي. المثبت هو فراق الروح البدن والمنفي زوال الحياة بالجملة عن الروح والبدن. وهذا كما أن النوم أخو الموت فيسمى وفاةً ويسمى موتًا وكانت الحياة موجودةً فيهما. قال الله تعالى:﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى**﴾ [سورة الزمر آية: ٤٢]. وكان «النّبيّ ﷺ إذا استيقظ من منامه يقول: **الحمد للّه الّذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النّشور**» وفي حديثٍ آخر: «**الحمد للّه الّذي ردّ عليّ روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره وفضّلني على كثيرٍ ممّن خلق تفضيلًا**» وإذا أوى إلى فراشه يقول: «**اللّهمّ أنت خلقت نفسي وأنت توفّاها لك مماتها ومحياها إن أمسكتها فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصّالحين**» ويقول: «**باسمك اللّهمّ أموت وأحيا**»

القاعدة الثانية عشرة: لا يصلح آخر هذه الأمة بما صلح به أولها

قال المؤلف – رحمه الله – :

[١٢]- « لَا يَصْلُحُ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهَا ».

هذه قاعدة جليلة عند السلف وأتباعهم. تشهد لها نصوص الكتاب والسنة التي تَهدف إليها تلكم القاعدة. يعرف ذلك من عرف المعاني.

Règle 12 : Les derniers de cette communauté ne se réformeront qu'avec les moyens par lesquels les premiers de cette communauté se sont réformés

[12] – « Les derniers de cette communauté ne se réformeront qu'avec les moyens par lesquels les premiers de cette communauté se sont réformés ».

Ceci est une grande règle chez les pieux prédécesseurs et leurs suiveurs، dont on trouve des preuves dans le Livre et la Sounnah.

قال مالك فيما ذكره إسماعيل بن إسحاق في المبسوط، والقاضي عياض وغيرهما: لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ ويدعو، ولكن يسلم ويمضي.

وقال أيضًا في المبسوط: لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج، أن يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي عليه ويدعو لأبي بكر وعمر ﵄. فقيل له: فإن ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر عند القبر، فيسلمون ويدعون ساعة، فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك. ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده [٨٩].

[٨٩] **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**; أحمد ابن تيمية. (ص : ٢/ ٢٨٥)

صلاح أخر هذه الأمة بما صلح بها أولها[90].

لفضيلة الشيخ عبيد الجابري – حفظه الله تعالى –

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق لظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً .

أما بعد :

فقد أخرج الإمام الحافظ ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي بسنده في كتابه القيم **(التمهيد)** عن مالك قال : كان وهب ابن كيسان يقعد إلينا ولا يقوم أبداً حتى يقول لنا : اعلموا أنه لا يصلح آخر هذا الأمر إلاّ بما أصلح أوله .

قلت : ('' يعني الراوي عن مالك '' : يرد ماذا ؟ قال يريد في بادئ الإسلام أو قال التقوى) أ.هـ.

قلت : واعلم أيها القارئ الكريم أن ما قاله هذا العالم الجليل وهو (أبو نعيم وهب ابن كيسان القرشي مولاهم المدني المعلِّم ، من كبار الرابعة المتوفى سنة سبع وعشرين ومائة) مؤيداً بآي التنزيل الكريم وصحيح السنة وآثار السلف الصالح ، وهاك بعض أدلته على سبيل المثال لا الحصر وفق الترتيب السابق .

[90] صلاح أخر هذه الأمة بما صلح بها أولها الشيخ عبيد الجابري. http://www.sahab.net/forums/index.php?showtopic=31119

الشواهد من القرآن الكريم

قال الله تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ آل عمران: ٣١.

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن **سعدي** رحمه الله: (هذه الآية هي الميزان التي تعرف بها من أحب الله حقيقة ومن ادعى ذلك دعوى مجردة ، فعلامة محبة الله اتباع محمد ﷺ الذي متابعته وجميع ما يدعو إليه طريقاً إلى محبة الله ورضوانه فلا تنال محبة الله ورضوانه وثوابه إلاّ بتصديق ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما، فمن فعل ذلك أحبه الله ورسوله وجازاه جزاء المحبين وغفر له ذنوبه وستر عليه عيوبه) أ.هـ .

وقال الحافظ الإمام **ابن كثير** رحمه الله : " هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) ولهذا قال : { إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله } أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو من الأول " أ. هـ . محل الغرض .

وقال تعالى : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ الأحزاب: ٢١.

قال الإمام العلامة محمد بن علي **الشوكاني** رحمه الله : " أي قدوة صالحة وفي هذه الآية عتاب للمتخلفين عن القتال مع رسول الله ﷺ أي لقد كان لكم في رسول الله حيث بذل نفسه للقتال وخرج إلى الخندق لنصرة دين الله أسوة ، وهذه الآية وإن كان سببها خاصاً فهي عامة في كل شيء " أ. هـ محل الغرض .

وقال الشيخ **ابن سعدي** في الآية " حيث حضر الهيجاء بنفسه الكريمة وباشر موقف الحرب وهو الشريف الكامل، والبطل الباسل، فكيف تشحون بأنفسكم عن أمرٍ جاد رسول الله ﷺ بنفسه فيه ؟!! فتأسوا به في هذا الأمر وغيره ، واستدل الأصوليون في هذه الآية على الاحتجاج بأفعال الرسول ﷺ وأن الأصل ، أن أمته أسوته في الأحكام إلاّ ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به.

فالأسوة نوعان : أسوة حسنة ، وأسوة سيئة.

فالأسوة الحسنة في الرسول ﷺ فإن المتأسِّي به سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله وهو الصراط المستقيم.

وأما الأسوة بغيره إذا خالفه فهو الأسوة السيئة ، كقول المشركين حين دعتهم الرُسُل للتأسي بهم (إنَّا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون).

وهذه الأسوة الحسنة إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجوا الله واليوم الآخر فإن ما معه من الإيمان وخوف الله ورجاء ثوابه وخوف عقابه ، يحثه على التأسي بالرسول ﷺ " أ. هـ.

وقال تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ الحشر: ٧.

والمعنى : (مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر). وقوله : { واتقوا الله إن الله شديد العقاب } أي اتقوه بامتثال أوامره وترك زواجره فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه وارتكب ما عنه زجره ونهاه .

ونظير آية الحشر هذه قوله تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ النور: ٦٣.

قال الحافظ **ابن كثير** في تفسير آية النور هذه : (أي : عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قُبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان .

إلى أن قال : فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطناً وظاهراً ، { أن تصيبهم فتنة } أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة { أو يصيبهم عذاب أليم } أي في الدنيا بقتلٍ أو حدٍ أو حبسٍ أو نحو ذلك) أ. هـ .

وما أجود ما قاله الإمام العلامة **ابن القيم** رحمه الله تعالى في قوله سبحانه وتعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ ﴾ الحجرات: ١ : (فإذا كان سبحانه قد نهى عن التقديم بين يديه فأي تقديم أبلغ من تقديم عقله على ما جاء به . قال غير واحد من السلف: و لا تقولوا حتى يقول ولا تفعلوا حتى يأمر . ومعلوم قطعاً أن من قدم عقله أو عقل غيره على ما جاء به، فهو أعصى الناس لهذا النبي ﷺ وأشرهم تقدماً بين يديه .) أ.هـ .

وقال العلامة المفسر أبو عبد الله **محمد بن أحمد الأنصاري** القرطبي رحمه الله في هذه الآية من سورة الحجرات قوله تعالى : { لا تقدموا بين يدي الله } أصل في ترك التعرض لأقوال النبي ﷺ وإيجاب اتباعه والاقتداء به وكذلك قال النبي ﷺ في مرضه : (مروا أبا بكر فليصل بالناس) ، فقالت عائشة لحفصة رضي الله عنهما قولي له إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل بالناس ، فقال النبي ﷺ : (إنكنَّ لأنتن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس) فمعنى قوله (صواحب يوسف) الفتنة بالرد عن الجائز إلى غير الجائز وربما احتج بغاة القياس بهذه الآية وهو باطل منهم ، فإن ما قامت دلالته فليس في فعله تقديم بين يديه ، وقد قامت دلالة الكتاب والسنة على وجوب القول بالقياس في فروع الشرع ، فليس إذاً تقدماً بين يديه { واتقوا الله } يعني في التقدم المنهي عنه { إن الله سميع } لقولكم { عليم } بفعلكم . أ.هـ.

وأقول لا ينازع ذو بصيرة ثاقبة وعقل مستنير في أن هذه الآيات الخمس صريحة الدلالة على وجوب التأسي برسول الله ﷺ واتباعه في كل ما شرعه وهذا هو الشاهد منها على ما قاله ابن كيسان رحمه الله .

الشواهد من السنة

ثم في سنة رسول الله ﷺ الثابتة الصحيحة التي تلقاها أهل المعرفة بحديثه بالقبول ما تواتر به النقل عنه ﷺ في الحث على اتباعه واتباع من سلك سبيله بعده ، وهاك خمسة أحاديث منها :

الحديث الأول : عن عمران بن حصين ﷺ عنهما قال : قال النبي ﷺ : ((خيرُكم قرني ، ثمَّ الَّذين يلونهم ، ثمَّ الَّذين يلونهم – قال عمرانُ : فما أدري : قال النَّبيُّ ﷺ بعد قولِه مرَّتَيْن أو ثلاثًا – ثمَّ يكونُ بعدهم قومٌ يشهدون ولا يُستَشهَدون ويُخوَّنون ولا يُؤتَمنون ، ويَنذِرون ولا يَفون ، ويظهرُ فيهم السِّمَنُ))[91].

الحديث الثاني: عن عبد الله بن مسعود ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : ((خيرُ النَّاسِ قَرني ، ثمَّ الَّذين يَلونَهم ، ثمَّ الَّذين يَلونَهم ، ثمَّ يجيءُ أقوامٌ : تَسبقُ شهادةُ أحدِهم يمينَهُ ويمينُه شهادتَه))[92] متفق عليه.

فالشاهد من هذين الحديثين : أن إخباره ﷺ أن الخيرية يعني الفضلة هي في قرنه والقرنين أو الثلاثة بعده .

قال أهل العلم: المراد بقرنه أصحابه والذين يلونهم هم التابعون والذين يلونهم هم أتباع التابعين.

قلت : وهذه القرون الثلاثة هي القرون المفضلة التي لا ينصرف لقب السلف الصالح عند الإطلاق إلاَّ إليها.

الحديث الثالث : عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ ما قال : (كنا مع رسولِ الله ﷺ في سفرٍ . فنزلنا منزلًا . فمنا من يصلحُ خباءَه[93]. ومنا من ينتضلُ[94] ، ومنا من هو في جشرِه[95] . إذ نادى منادي رسولِ الله ﷺ : الصلاةُ جامعةٌ . فاجتمعنا إلى رسولِ الله ﷺ. فقال (إنَّهُ لم يكن نبيٌّ قبلي إلا كان حقًّا عليهِ أن يَدُلَّ أُمَّتَه على خيرِ ما يُعلمُه لهم ، ويُنذرهم شرَّ ما يُعلِّمُه لهم . وإنَّ أمتكم هذه جُعِلَ عافيتها في أولها. وسيُصيبُ آخرها بلاءٌ وأمورٌ تنكرونها. وتجيءُ فتنةٌ فيُرقِّقُ بعضها بعضها[96]. وتجيءُ الفتنةُ فيقول المؤمنُ : هذه مهلكتي . ثم تنكشفُ . وتجيءُ الفتنةُ فيقول المؤمنُ : هذه هذه . فمن أحبَّ أن يزحزَحَ عن النارِ ويدخلَ الجنةَ ، فلتأتِه منيَّتُه وهو يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ . وليأتِ إلى الناسِ الذي يحبُّ أن يؤتى إليهِ .) رواه مسلم .

---

[91] أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٦٤٢٨ عن عمران بن الحصين.

[92] أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٢٦٥٢ عن عبد الله بن مسعود.

[93] الخِبَاءُ : بيتٌ من وَبَرٍ أو شَعر أو صُوف ، يكون على عمودَيْن أو ثلاثةٍ . المعجم: المعجم الوسيط.

[94] معنى نَضَلَهُ في المعجم الوسيط ـُ نَضْلاً: سبقه وغلبه في الرِّماء.

[95] هُوَ بِفَتْحِ الْجِيمِ وَالشِّينِ وَهِيَ الدَّوَابُّ الَّتِي تَرْعَى وَتَبِيتُ مَكَانَهَا. ((شرح مسلم))

[96] أي يصير بعضها بعضاً رقيقاً: أي خفيفاً لعظم ما بعده فالثاني يرقق الأول. وقيل معناه: يسوق بعضها إلى بعض بتحسينها وتسويلها. وقيل: يشبه بعضها بعضاً. (رياض الصالحين. باب وجوب طاعة ولاة الأمر).

فلنتأمل أيها القارئ الكريم ما في هذا الحديث من فقه عظيم ، فقد أفاد أموراً كثيرة منها : -

أولاً : كمال هدي النبي ﷺ إذ حرص على تعليم الأمة المعاملة إلى جانب العقيدة والعبادة .

ثانياً : بيان أن السلامة في السير على درب من مضى من الصحابة والتابعين وهذا نأخذه من قوله ﷺ : (وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها) إذاً السلامة والنجاة والرشد والفلاح والسعادة في التمسك بهدي من مضى من الصحابة والتابعين الذين أخذوا من الكتاب والسنة الدين غضاً طرياً ، فالصحابة أخذوا من النبي ﷺ والتابعون أخذوا من الصحابة .

الحديث الرابع : عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) أخرجاه ، ولمسلم (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) ومعنى رد : مردود ، وما كان مردوداً فكأنه غير موجود ، والرد إذا أضيف إلى العبادة اقتضى فسادها وعدم الاعتداد بها ، وإذا أضيف إلى المعاملة اقتضى إلغائها وعدم نفوذها . والشاهد من الحديث في إخباره ﷺ : أن الإحداث في أمره وهو الدين موجب لرد العمل .

الحديث الخامس : عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، وفي رواية (فبما تعهد إلينا) قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبدٌ حبشي ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعظوا عليها بالنواجذ) رواه أبو داود والترمذي وابن عاصم وغيرهم ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

فالشاهد من الحديث قوله: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعظوا عليها بالنواجذ) وهذا إخبارٌ منه ﷺ بأن في ذلك صلاح آخر أمر هذه الأمة.

الشواهد من آثار السلف الصالح وأخبارهم

اعلم أيها المسلم هدانا الله وإياك إلى مراشد أمورنا وصواب الأقوال والأعمال أنَّ وصايا الأئمة ونصائح أهل الفضل وجلالة القدر وعلماء الأمة بمثل ما نصح به أبو نعيم وهب بن كيسان رحمه الله قد تواتر بها النقل . يستبين ذلك جلياً من كانت له بصيرة ومعرفة بكتب القوم المعنية بنقل أصول الدين والاعتقاد مثل شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة وسنن الدارمي . وإليك خمساً من وصايا القوم ونصائحهم .

أولاً : عن **شريح** أن عمر بن الخطاب ﷺ كتب إليه : (إِنْ جَاءَكَ شَيْءٌ فِي كِتَابِ اللهِ ، فَاقْضِ بِهِ وَلَا تَلْفِتْكَ عَنْهُ الرِّجَالُ ، فَإِنْ جَاءَكَ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ فَانْظُرْ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاقْضِ بِهَا ، فَإِنْ جَاءَكَ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ سُنَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَانْظُرْ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَخُذْ بِهِ ، فَإِنْ جَاءَكَ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ وَلَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ أَحَدٌ قَبْلَكَ ، فَاخْتَرْ أَيَّ الْأَمْرَيْنِ شِئْتَ : إِنْ شِئْتَ أَنْ تَجْتَهِدَ بِرَأْيِكَ ثُمَّ تُقَدَّمَ فَتَقَدَّمْ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَتَأَخَّرَ ، فَتَأَخَّرْ ، وَلَا أَرَى التَّأَخُّرَ إِلَّا خَيْرًا لَكَ)[97] .

ثانياً : قال ابن مسعود ﷺ : (اتَّبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتم)[98] .

ثالثاً : وقال الشعبي رحمه الله : (إِيَّاكُمْ وَالْمُقَايَسَةَ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ أَخَذْتُمْ بِالْمُقَايَسَةِ لَتُحِلُّنَّ الْحَرَامَ وَلَتُحَرِّمُنَّ الْحَلَالَ ، وَلَكِنْ مَا بَلَغَكُمْ مِنْ حِفْظٍ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحْفَظُوهُ)[99] .

رابعاً : قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : (عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان). قلت : وسفيان هذا هو سفيان بن سعيد الثوري[100].

خامساً : قال الأوزاعي[101] رحمه الله : (اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم وقل بها قالوا وكُفَّ عمَّا كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم)[102] .

---

[97] صححه الألباني في صحيح النسائي برقم ٥٤١٤ عن شريح القاضي وقال : إسناده صحيح موقوفا.

[98] أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد برقم ١/١٨٦ عن أبي عبدالرحمن السلمي وقال : رجاله رجال الصحيح.

[99] أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر برقم ١٢٢٨ و قال حديث مقطوع) (حديث موقوف).

[100] سفيان الثوري الإمام الجليل الفقيه العالم الحبر المعروف في الإسلام. فقيه كوفي. (٩٧ هـ-١٦١ هـ)

[101] عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد ، شيخ الإسلام ، وعالم أهل الشام ، أبو عمرو الأوزاعي .

وبعد : فيا أيها المسلم الناصح لنفسه الحازم في أمره إن كنت حريصاً على النجاة والفوز بسعادة الدارين – ولا إخالك إن شاء الله إلاّ كذلك – فافقه ما تضمنته هذه المقالات السلفية، فإنها مطابقة في مضمونها ما قدمته قبلها من آي التنزيل الكريم وصحيح السنة وإياك إياك أن تسلك غير سبيل المؤمنين، واحذر فقد قال الحق جل ثناؤه : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ النساء: ١١٥.

رزقنا الله وإياك الإخلاص في الأقوال والأعمال والثبات على السنة في الحياة وبعد الممات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[١٠٢] أخرجه اللالكائي في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم ٣١٥.

القاعدة الثالثة عشرة: وجوب مراعاة حقوق العلماء

قال المؤلف – رحمه الله – :

[١٣]- توقير العلماء الربانيين أحياءً وأمواتاً، ومحبتهم وأخذ العلم عن الأحياء منهم والتتلمذ على كتب الموتى منهم، والذب عنهم؛ ميزة من ميزات منهج السلف.

والعكس بالعكس، فإن الوقيعة[١٠٣] في العلماء ونبزهم[١٠٤] بالألقاب ولمزهم[١٠٥] بإلصاق التهم الباطلة والعيوب المختلفة؛ من علامات أهل البدع، والضلال، والذين زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون.

Règle 13 : L'obligation d'observer le droit des savants.

[13]- Le respect des savants « obéissant au Seigneur » morts ou vivant, les aimer et prendre la science parmi les vivants d'entre eux, et puisé la science des livres des morts parmi eux, et les défendre ; tout cela est une des caractéristiques de la méthodologie des Salafs.

Et vice versa, c'est-à-dire; le fait de calomnier les savants, de leurs donner des surnoms, de les dénigrer en leur attribuant de fausses accusations et des défauts divers, fait partie des signes des gens de l'innovation et de l'égarement, et de ceux dont satan leur a embelli ce qu'ils faisaient.

---

[١٠٣] الوَقِيعَةُ غِيبَةُ الناس. [المعجم: المعجم الوسيط]

[١٠٤] نَبَزَ : [ن ب ز]. (فعل : ثلاثي متعد بحرف). نَبَزَ ، يَنْبِزُ ، مصدر نَبْزٌ.

١ . :– نَبَزَ الرَّجُلَ :– : عَابَهُ .

٢ . :– نَبَزَهُ بِالجَحْشِ :– : لَقَّبَهُ ، وَيَخْتَصُّ النَّبْزُ بِالأَلْقَابِ الْقَبِيحَةِ . [المعجم: الغني]

[١٠٥] لمز :

ل م ز : اللَّمْزُ العيب وأصله الإشارة بالعين ونحوها وبابه ضرب ونصر وقرئ بهما قوله تعالى { ومنهم من يلمزك في الصدقات } ورجل لَمَّازٌ مشددا و لُمَزة بوزن همزة أي عيَّاب. [المعجم: مختار الصحاح].

تحديد أولي الأمر، وأقسام العلماء[١٠٦] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ النساء: ٥٩

وأولوا الأمر هم : العلماء والأمراء . فإذا أمروا بما أمر الله به ورسوله وجبت طاعتهم.

قال عبد الله بن عباس في إحدى الروايتين عنه وجابر بن عبد الله والحسن البصري وأبو العالية وعطاء بن أبي رباح والضحاك ومجاهد في إحدى الروايتين عنه: « أولو الأمر : هم العلماء » وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد.

وقال أبو هريرة وابن عباس في الرواية الأخرى وزيد بن أسلم والسدي ومقاتل: « هم الأمراء. » وهو الرواية الثانية عن أحمد.

والتحقيق [كما قال ابن القيم رحمه الله:] أن الأمراء إنما يطاعون إذ أمروا بمقتضى العلم، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء]

والعلماء ورثة الأنبياء.

و [لما كانت الدعوة إلى الله والتبليغ عن رسوله شعار حزبه المفلحين وأتباعه من العالمين كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ يوسف: ١٠٨. وكان التبليغ عنه من عين تبليغ ألفاظه وما جاء به وتبليغ معانيه؛

كان العلماء من أمته منحصرين في قسمين:

أحدهما : حفاظ الحديث وجهابذته والقادة الذين هم أئمة الأنام وزوامل الإسلام، الذين حفظوا على الأئمة معاقد الدين وعاقله، وحموا من التغيير والتكدير موارده ومناهله، حتى ورد من سبقت له من الله الحسنى تلك المناهل صافية من الأدناس، لم تَشُبْها الآراء تغييرا، ووردوا فيها عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا.

وهم الذين قال فيهم الإمام أحمد بن حنبل في خطبته المشهورة في كتابه في الرد على الزنادقة والجهمية: "الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى. ويصبرون منهم على الأذى. يحيون بكتاب الله تعالى الموتى. ويبصرون بنور الله أهل العمى. فكم من قتيل لإبليس أحيوه. وكم من ضال تائه قد هدوه. فما أحسن أثرهم على الناس وما أقبح أثر الناس عليهم. ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين. وانتحال المبطلين. وتأويل

[١٠٦] انظر : معاملة العلماء، للشيخ محمد بازمول.

الجاهلين. الذين عقدوا ألوية البدعة. وأطلقوا عنان الفتنة. فهم مختلفون في الكتاب. مخالفون للكتاب. مجمعون على مفارقة الكتاب. يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم. يتكلمون بالمتشابه من الكلام. ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم؛ فنعوذ بالله من فتنة المضلين"

القسم الثاني : فقهاء الإسلام ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام، الذين خصوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام، فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء

المقصد الأول : صفة العالم.

والمسلم بحاجة إلى معرفة صفة العالم، كما بيّنها الله عز وجل في القرآن العظيم، من خلال الآيات القرآنية، التي ذكرت مواقف للعلماء يتبين منها صفاتهم، وهي التالية:

١ – رد المتشابه إلى المحكم من صفات الراسخين في العلم:

٢ – الخشوع والخضوع لأمر الله تعالى من صفات الذين أوتوا العلم :

٣ – من صفات العالم زهده وتقلله من الدنيا ونذارته لقومه :

٤ – أن علمهم في صدورهم آيات بينات، فهم على بصيرة من دينهم:

٥ – أنهم يرون أن الحق والهداية في اتباع ما أنزل من الله تعالى:

٦- أنهم يعقلون الأمثال التي يضربها الله في القرآن الكريم:

٧- أنهم أهل الاستنباط والفهم:

المقصد الثاني : فضل العلماء.

المقصد الثالث : الأدب مع العلماء.

المقصد الرابع : حق العلماء.

المقصد الخامس : أضرار ضياع حق العلماء.

الخاتمة : الحث على لزوم العلماء.

من علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر (الحموية لابن تيمية).

القاعدة الرابعة عشرة: محبة الهداية للخلق

قال المؤلف – رحمه الله – :

[١٤]- الفرح بهداية المهتدي بالهداية الشرعية، والأسى على المتمادي[١٠٧] في الغواية والضلالة بدون اعتراض على القدر؛ من صفات السلف وأتباعهم وخُلُق من أخلاقهم.

Règle : Aimer la guidance pour les gens.

[14]- La joie du fait de la guidé des gens sur la voie législative، et la tristesse de voir l'entêté continuer dans la séduction et la tromperie، sans faire objection contre le destin، fait partie des attributs des prédécesseurs et de leurs suiveurs، et fait partie de leurs moralités.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ التوبة: ١٢٨

(Certes, un Messager pris parmi vous, est venu à vous, auquel pèsent lourd les difficultés que vous subissez, qui est plein de sollicitude pour vous, qui est compatissant et miséricordieux envers les croyants.)

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية : « يمتن [تعالى] على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو . صلى الله عليه وسلم . في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم.

{عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم[١٠٨].

{حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه.

{بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم.

ولهذا كان حقه مقدمًا على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيره، وتوقيره »

---

[١٠٧] مُتَمَادٍ: جمع : ـون ، ـات . [م د ي]. (فاعل مِنْ تَمَادَى). :- مُتَمَادٍ فِي غَيِّهِ :- : مُسْتَمِرٌّ فِيهِ ، مُدَاوِمٌ عَلَيْهِ . :- مُتَمَادِيَةٌ فِي إِغَاظَتِهِ . [المعجم: الغني]

[١٠٨] أعنت شخصًا أوقعه في شدَّةٍ أو إثم، شدَّد عليه وألزمه ما يَشُقُّ عليه تحمُّله. [اللغة العربية المعاصر]

قال **البغوي** في تفسير هذه الآية الكريمة : « قوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) تعرفون نسبه وحسبه ، قال السدي : من العرب ، من بني إسماعيل . قال ابن عباس : ليس من العرب قبيل إلا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم ، وله فيهم نسب .

وقال جعفر بن محمد الصادق : لم يصبه شيء من ولاد الجاهلية من زمان آدم عليه السلام .

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي ، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أخبرنا عبد الله بن حامد ، حدثنا حامد بن محمد ، أخبرنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا محمد بن أبي نعيم ، حدثنا هشيم ، حدثني المديني – يعني : أبا معشر – عن أبي الحويرث ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء ، ما ولدني إلا نكاح كنكاح الإسلام " .

وقرأ ابن عباس والزهري وابن محيصن " من أنفسكم " بفتح الفاء ، أي : من أشرفكم وأفضلكم . (عزيز عليه) شديد عليه ، (ما عنتم) قيل " ما " صلة أي : عنتكم ، وهو دخول المشقة والمضرة عليكم . وقال القتيبي : ما أعنتكم وضركم . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما ضللتم .

وقال الضحاك والكلبي : ما أثمتم .

(حريص عليكم) أي : على إيمانكم وصلاحكم . وقال قتادة : حريص عليكم أي : على ضالكم أن يهديه الله ، (بالمؤمنين رءوف رحيم) قيل : رءوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين . ».

وقال **ابن كثير** في تفسير هذه الآية : « وقوله : (عزيز عليه ما عنتم) أي : يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها ؛ ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه أنه قال : " بعثت بالحنيفية السمحة " وفي الصحيح : " إن هذا الدين يسر " وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة ، يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه .

(حريص عليكم) أي : على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم .

قال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ، حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن فطر ، عن أبي الطفيل ، عن أبي ذر قال . تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه علما – قال : وقال صلى الله عليه وسلم : " ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بين لكم " .

وقال الإمام أحمد : حدثنا [أبو] قطن ، حدثنا المسعودي ، عن الحسن بن سعد ، عن عبدة النهدي ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنَّ اللهَ لَمْ يُحَرِّمْ حُرمَةً إلَّا وقد علِم أنَّه سَيَطَّلِعُها منكُمْ مُطَّلِعٌ ألا فإنِّي مُمسِكٌ بحُجَزِكمْ أنْ تَتهافَتوا في النارِ كما تَتهافت الفَراشِ والذُّبابِ "[109] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : أن رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أتاه فيما يرَى النائمُ ملَكانِ فقعد أحدُهما عندَ رجلَيه والآخرُ عندَ رأسِه فقال الذي عندَ رجلَيه للذي عندَ رأسِه اضربْ مَثَلَ هذا ومثلَ أمتِه فقال إن مَثَلَ هذا ومثلَ أمتِه كمثَلِ قومٍ سُفْرٍ انتهَوا إلى رأسِ مفازةٍ فلم يكنْ معهم من الزادِ ما يقطعون به المفازةَ ولا ما يرجعون به فبينا هم كذلك إذ أتاهم رجلٌ في حلةٍ حبرةٍ فقال أرأيتم إن وردت بكم رياضًا معشبةً وحياضًا رواءً أتتبَعوني قالوا نعم فانطلقَ بهم فأوردهم رياضًا معشبةً وحياضًا رواءً فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم ألم ألقاكم على تلك الحالِ

[109] رواه البوصيري عن عبدالله بن مسعود في إتحاف الخيرة المهرة برقم: ٧/ ٣٨٩ . رواته ثقات

فجعلتم لي أنْ أُوردكم رياضًا معشبةً وحياضًا رواءً أن تتبعوني قالوا بلى قال فإنَّ بينَ أيديكم رياضًا هي أعشبُ من هذه وحياضًا أروَى من هذه فاتَّبعوني قال فقامت طائفةٌ قالت صدقَ واللهِ لنتَّبِعَنَّه وقالت طائفةٌ قد رضِينا بهذا نقيمُ عليه.»[1].

تعريف الهداية

قال صاحب الغني : « اِهْتِدَاءٌ

[هـ د ي]. (مصدر اِهْتَدَى).

١ . :- الاهْتِدَاءُ إِلَى طَرِيقِ الخَيْرِ :- : السَّيْرُ إِلَى طَرِيقِ الخَيْرِ بِتَبَصُّرٍ وَمَعْرِفَةٍ .

٢ . :- الاهْتِدَاءُ بِآرَاءِ العَارِفِينَ :- : الاسْتِرْشَادُ ... وَالسَّيْرُ عَلَى مِنْوَالِهِمْ .»[2].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ الفاتحة: ٥ – ٦

قال **السعدي** في تفسير هذه الآية : « ثم قال تعالى: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } أي: دلنا وأرشدنا, ووفقنا للصراط المستقيم, وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله, وإلى جنته, وهو معرفة الحق والعمل به, فاهدنا إلى الصراط واهدنا في الصراط. فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام, وترك ما سواه من الأديان, والهداية في الصراط, تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علما وعملا. فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته, لضرورته إلى ذلك. ».

قال **البغوي** في تفسير هذه الآية : « قوله:{اهدنا الصراط المستقيم}

(اهدنا): أرشدنا، وقال علي وأُبي بن كعب:"ثبتنا كما يقال للقائم قم حتى أعود إليك أي دُمْ على ما أنت عليه".

وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية لأن الألطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى على مذهب أهل السنة.

(الصراط) وسراط بالسين رواه أويس عن يعقوب وهو الأصل.

سمي سراطاً لأنه يسرط السابلة، ويقرأ بالزاي، وقرأ حمزة باشمام الزاي، وكلها لغات صحيحة، والاختيار: الصاد عند أكثر القراء لموافقة المصحف.

و{الصراط المستقيم}: قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهما: "هو الإسلام"، وهو قول (مُقَاتل).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "هو القرآن".

وروي عن علي رضي الله عنه مرفوعاً: ((الصراط المستقيم كتاب الله))

وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: "طريق الجنة".

---

[1] رواه الهيثمي عن عبدالله بن عباس في مجمع الزوائد، برقم: ٨/ ٢٦٣ . إسناده حسن.

[2] المعجم: الغني.

وقال سهل بن عبد الله: "طريق السُّنة والجماعة".

وقال بكر بن عبد الله المزني: "طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وقال أبو العالية والحسن: "رسول الله وآله وصاحباه".

وأصله في اللغة الطريق الواضح. »

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ الفاتحة: ٧

قال **السعدي** في تفسير هذه الآية : « وهذا الصراط المستقيم هو: { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. { غَيْرِ } صراط { الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ } الذين عرفوا الحق وتركوه كاليهود ونحوهم. وغير صراط { الضَّالِّينَ } الذين تركوا الحق على جهل وضلال, كالنصارى ونحوهم.

فهذه السورة على إيجازها, قد احتوت على ما لم تحتو عليه سورة من سور القرآن, فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية يؤخذ من قوله: { رَبِّ الْعَالَمِينَ } وتوحيد الإلهية وهو إفراد الله بالعبادة, يؤخذ من لفظ: { اللَّهِ } ومن قوله: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } وتوحيد الأسماء والصفات, وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى, التي أثبتها لنفسه, وأثبتها له رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه, وقد دل على ذلك لفظ { الْحَمْدُ } كما تقدم. وتضمنت إثبات النبوة في قوله: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } لأن ذلك ممتنع بدون الرسالة. وإثبات الجزاء على الأعمال في قوله: { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } وأن الجزاء يكون بالعدل, لأن الدين معناه الجزاء بالعدل. وتضمنت إثبات القدر, وأن العبد فاعل حقيقة, خلافا للقدرية والجبرية. بل تضمنت الرد على جميع أهل البدع [والضلال] في قوله: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } لأنه معرفة الحق والعمل به. وكل مبتدع [وضال] فهو مخالف لذلك. وتضمنت إخلاص الدين لله تعالى, عبادة واستعانة في قوله: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } فالحمد لله رب العالمين. »

أنواع الهداية وصلتها بالقدر

الهداية هدايتين : هداية توفيق، وهداية إرشاد. فالأولى متعلقة بالأمر الكوني، والثانية متعلقة بالأمر الشرعي.

الهداية نوعان:

- النوع الأول: **هداية التوفيق والإلهام والتسديد**: وهذه مختصة بالله تعالى، لا يملكها أحد من المخلوقين، وقد خص بها سبحانه وتعالى عباده المؤمنين؛ بأن هداهم للإسلام، ووفقهم إلى طاعته.
- وأما النوع الثاني من الهداية: فهي **هداية الدلالة، والدعوة، والإرشاد**. وهذه الهداية لله تعالى ولغيره من المرسلين والأنبياء والصالحين، ليرشدوا جميع البشر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٥٦﴾ القصص: ٥٦

(Tu [Muhammad] ne diriges pas celui que tu aimes: mais c'est Allah qui guide qui Il veut. Il connaît mieux cependant les bien-guidés.)

قال **السعدي** في تفسير هذه الآية : « يخبر تعالى أنك يا محمد –وغيرك من باب أولى– لا تقدر على هداية أحد، ولو كان من أحب الناس إليك، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق هداية للتوفيق، وخلق الإيمان في القلب، وإنما ذلك بيد اللّه سبحانه تعالى، يهدي من يشاء، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه، ممن لا يصلح لها فيبقيه على ضلاله.

وأما إثبات الهداية للرسول في قوله تعالى: { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } فتلك هداية البيان والإرشاد، فالرسول يبين الصراط المستقيم، ويرغب فيه، ويبذل جهده في سلوك الخلق له، وأما كونه يخلق في قلوبهم الإيمان، ويوفقهم بالفعل، فحاشا وكلا.

ولهذا، لو كان قادرا عليها، لهدى من وصل إليه إحسانه، ونصره ومنعه من قومه، عمّه أبا طالب، ولكنه أوصل إليه من الإحسان بالدعوة للدين والنصح التام، ما هو أعظم مما فعله معه عمه، ولكن الهداية بيد اللّه تعالى. ».

النظر إلى الخلق بعين الشرع وبعين القدر

النظر إلى العاصي يكون بعينين : بعين القدَر فترحمه ، وتشفق عليه ؛ لارتكابه للمنكرات ، وبعين الشرع فتبغض أفعاله وموبقاته .

قال ابن القيم – رحمه الله – :

وَاجْعَلْ لِقَلْبِكَ مُقْلَتينِ كِلاَهُمَا *** للحَقِّ في ذَا الخَلْقِ نَاظِرَتَانِ

فانظُرْ بِعينِ الحُكمِ وَارحَمهُم بِهَا *** إذْ لا تُرَدُّ مَشِيئةُ الدَّيَّانِ

وانظُرْ بِعَيْنِ الأمرِ واحْمِلْهُمْ عَلَى *** أحْكَامِهِ فَهُمَا إذاً نَظَرانِ

وَاجْعَلْ لِوجْهكَ مُقْلَتَينِ كِلاَهُما *** مِنْ خَشْيةِ الرَّحمنِ بَاكيَتَانِ

لَوْ شَاءَ رَبُّك كُنْتَ أيضاً مِثْلَهُمْ *** فَالقَلْبُ بَيْنَ أَصَابعِ الرَّحْمَنِ[١١٢]

[١١٢] " الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية " (ص ١٩ ، ٢٠) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : « ويعلم العليم أنهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعي ـ رضي الله عنه ـ حيث قال: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام» .

ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر ـ والحيرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم ـ رحمتَهم ورفقتَ عليهم، أُوتُوا ذكاءً وما أُوتوا زكاءً، وأُعطوا فُهومًا وما أُعْطُوا علومًا وأُعطوا سمعًا وأبصارًا وأفئدة {فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون} [الأحقاف: ٢٦] .

ومن كان عليمًا بهذه الأمور: تَبَيَّنَ له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم، حيث حذروا [عن الكلام ونهوا عنه، وذمُّوا] أهله وعابوهم، وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزدد إلا بعدًا.

فنسأل الله العظيم أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، آمين.»[١١٣]

[١١٣] الفتوى الحموية الكبرى، لشيخ الإسلام. (ص ٥٥٥-٥٥٦).

القاعدة الخامسة عشرة: وجوب العناية بعقيدة الولاء والبراء

قال المؤلف – رحمه الله – :

[١٥]- المحبة الشرعية على وجهها الأسنى[١١٤]، ومنهج الولاء والبراء؛ من قواعد المنهج السلفي. ولا يشاركهم فيه إلا من تأسى بهم وألزم نفسه بسلوكهم وآدابهم.

Règle 15 : L'obligation de se préoccuper de la croyance de « l'alliance et du désaveu ».

[15]- L'amour légiféré à son plus haut rang، ainsi que la méthodologie de l'alliance et du désaveu ; font partie des règles de la méthodologie Salafi. Et nul ne partage cela avec eux، mise à part ceux qui les prennent pour exemple et s'engage à suivre leur comportement et leur décence.

إنَّ الولاء والبراء ركن من أركان العقيدة الإسلامية، قد غفل عنها كثير من المسلمين. فكان لزاما العناية بها علماً وعملاً.

تعريف الولاء والبراء

فمعنى المولاة

- في اللغة: « الوَلاَءُ الوَلاَءُ : المِلْكُ . و الوَلاَءُ القُربُ . و الوَلاَءُ القَرابةُ . و الوَلاَءُ النُّصرةُ : و الوَلاَءُ المحبَّةُ »[١١٥].
- في الاصطلاح : « معناه محبة المؤمنين وموالاتهم »[١١٦]

ومعنى البراءة

- في اللغة: « مصدر برِئَ/ برِئَ من| حلَفَ بالبراءة: أقسم بيمين البراءة– يمين البراءة: يمين يتخلّص بها الإنسان مما نسب إليه. »[١١٧]

---

[١١٤] سَني : سني – يسنى ، سناء ١ – سني : صار ذا رفعة وقدر . ٢ – سني : إرتفع . [المعجم: الرائد].

[١١٥] المعجم: [المعجم الوسيط].

[١١٦] الموقع الرسمي لفضيلة الإمام ابن باز – رحمه الله – . السؤال : « الرجاء من فضيلتكم توضيح الولاء والبراء لمن يكون؟ وهل يجوز موالاة الكفار؟ ». https://www.binbaz.org.sa/fatawa/1757

[١١٧] بَراءة [مفرد]: معجم اللغة العربية المعاصرة.

- في الاصطلاح : « بغض الكافرين ومعاداتهم، والبراءة منهم ومن دينهم »[116].

أدلة عقيدة الولاء والبراء

ولهذه العقيدة الهامة أدلة كثيرة من كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المجادلة: ٢٢

قال الشيخ **السعدي** – رحمه الله تعالى – في تفسير هذه الآية : « يقول تعالى: { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } أي: **لا يجتمع هذا وهذا**، فلا يكون العبد مؤمنا بالله واليوم الآخر حقيقة، إلا كان عاملا على مقتضى الإيمان ولوازمه، من محبة من قام بالإيمان وموالاته، وبغض من لم يقم به ومعاداته، ولو كان أقرب الناس إليه.

وهذا هو الإيمان على الحقيقة، الذي وجدت ثمرته والمقصود منه. وأهل هذا الوصف هم الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان أي: رسمه وثبته وغرسه غرسا، لا يتزلزل، ولا تؤثر فيه الشبه والشكوك.

وهم الذين قواهم الله بروح منه أي: بوحيه، ومعونته، ومدده الإلهي وإحسانه الرباني.

وهم الذين لهم الحياة الطيبة في هذه الدار، ولهم جنات النعيم في دار القرار، التي فيها من كل ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وتختار، ولهم أكبر النعيم وأفضله، وهو أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدا، ويرضون عن ربهم بما يعطيهم من أنواع الكرامات، ووافر المثوبات، وجزيل الهبات، ورفيع الدرجات بحيث لا يرون فوق ما أعطاهم مولاهم غاية، ولا فوقه نهاية

وأما من يزعم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر، وهو مع ذلك مواد لأعداء الله، محب لمن ترك الإيمان وراء ظهره، فإن هذا إيمان زعمي لا حقيقة له، فإن كل أمر لا بد له من برهان يصدقه، فمجرد الدعوى، لا تفيد شيئا ولا يصدق صاحبها. »

قال **البغوي**– رحمه الله تعالى – في تفسير هذه الآية : « قوله – عز وجل – (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) الآية . أخبر أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكافرين وأن من كان مؤمنا لا يوالي من كفر ، وإن كان من عشيرته .

قيل : نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة. وسيأتي في سورة الممتحنة إن شاء الله – عز وجل – .

وروى مقاتل بن حيان عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال : " ولو كانوا آباءهم " يعني : أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد " أو أبناءهم " يعني أبا بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز وقال : يا رسول الله دعني أكن في الرحلة الأولى ، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : متعنا بنفسك يا أبا بكر " أو إخوانهم " يعني : مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد " أو عشيرتهم " يعني عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر ، وعليا وحمزة وعبيدة قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة

(أولئك كتب في قلوبهم الإيمان) أثبت التصديق في قلوبهم فهي موقنة مخلصة، وقيل: حكم لهم بالإيمان فذكر القلوب لأنها موضعه (وأيدهم بروح منه) قواهم بنصر منه. قال الحسن : سمى نصره إياهم روحا لأن أمرهم يحيا به . وقال السدي : يعني بالإيمان . وقال الربيع : يعني بالقرآن وحجته ،كما قال : " وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا " (الشورى – ٥٢) وقيل برحمة منه . وقيل أمدهم بجبريل عليه السلام . (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) . ».

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ الممتحنة: ٤

قال الشيخ **السعدي** – رحمه الله تعالى – في تفسير هذه الآية : « قد كان لكم يا معشر المؤمنين { أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } أي: قدوة صالحة وائتمام ينفعكم، { فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ } من المؤمنين، لأنكم قد أمرتم أن تتبعوا ملة إبراهيم حنيفا، { إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ } أي: إذ تبرأ إبراهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين، من قومهم المشركين ومما يعبدون من دون الله.

ثم صرحوا بعداوتهم غاية التصريح، فقالوا: { كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا } أي: ظهر وبان { بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ } أي: البغض بالقلوب، وزوال مودتها، والعداوة بالأبدان، وليس لتلك العداوة والبغضاء وقت ولا حد، بل ذلك { أَبَدًا } ما دمتم مستمرين على كفركم { حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ } أي: فإذا آمنتم بالله وحده، زالت العداوة والبغضاء، وانقلبت مودة وولاية، فلكم أيها المؤمنون أسوة [حسنة] في إبراهيم ومن معه في القيام بالإيمان والتوحيد، والقيام بلوازم ذلك ومقتضياته، وفي كل شيء تعبدوا به لله وحده، { إِلَّا } في خصلة واحدة وهي { قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ } آزر المشرك، الكافر، المعاند، حين دعاه إلى الإيمان والتوحيد، فامتنع، فقال إبراهيم : { لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ و } الحال أني لا { أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ } لكني أدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا، فليس لكم أن تقتدوا بإبراهيم في هذه الحالة التي دعا بها للمشرك، فليس لكم أن تدعوا للمشركين، وتقولوا: إنا في ذلك متبعون لملة إبراهيم، فإن الله ذكر عذر إبراهيم في ذلك بقوله: { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إن إبراهيم لأواه حليم } ».

راجع كتاب : قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام ابن تيمية.

بعض المسائل في الولاء والبراء.

الفرق بين الموالاة والتولي

يقول الشيخ صالح آل الشيخ – حفظه الله تعالى – « **الموالاة** : موالاة المشركين والكفار محرمة وكبيرة من الكبائر، وقد تصل بصاحبها إلى الكفر والشرك ، ولهذا ضبطها العلماء بأن قالوا تنقسم الموالاة إلى قسمين : الأول التولّي ، والثاني الموالاة .

الموالاة باسمها العام تنقسم : إلى **التولي** وإلى **موالاة** .

أما التولي : فهو الذي جاء في قوله تعالى ((ومن يتولّهم منكم فإنه منهم)) [المائدة ٥١] تولاه توليا ، التولي معناه محبة الشرك وأهل الشرك ، محبة الكفر وأهل الكفر ، أو نصرة الكفار على أهل الإيمان ، قاصدا ظهور الكفر على الإسلام ، بهذا الضابط يتضح معنى التولي . والتولي ـ كما ذكرت لكم ـ تولي الكفار والمشركين كفر أكبر ، وإذا كان من مسلم فهي ردة . ما معنى التولي ؟ معناه محبة الشرك وأهل الشرك (لاحظ الواو) يعني يحب الشرك وأهل الشرك جميعا مجتمعة ، أو أن لا يحب الشرك ولكن ينصر المشرك على المسلم ، قاصدا ظهور الشرك على الإسلام ، هذا الكفر الأكبر الذي إذا فعله مسلم صار ردّة في حقه والعياذ بالله .

القسم الثاني الموالاة : والموالاة المحرّمة من جنس محبة المشركين والكفار، لأجل دنياهم ، أو لأجل قراباتهم ، أو لنحو ذلك ، وضابطه أن تكون محبة أهل الشرك لأجل الدنيا ، ولا يكون معها نصرة ، لأنه إذا كان معها نصرة على مسلم بقصد ظهور الشرك على الإسلام صار توليا ، وهو في القسم المكّفر ، فإن أحب المشرك والكافر لدنيا ، وصار معه نوع موالاة ، معه لأجل الدنيا ، فهذا محرم ومعصية ، وليس كفرا ، دليل ذلك قوله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة)) [الممتحنة ١] قال علماؤنا رحمهم الله تعالى : أثبت الله جلّ وعلا في هذه الآية أنه حصل ممن ناداهم باسم الإيمان اتخاذ المشركين والكفار أولياء بإلقاء المودة لهم .

وذلك كما جاء في الصحيحين ، وفي التفسير في قصة حاطب المعروفة حيث إنه أرسل بخبر رسول الله ﷺ ـ هذه عظيمة من العظائم ـ للمشركين لكي يأخذوا حذرهم من رسول الله ﷺ، فلما كُشف الأمر ، قال عمر رضي الله عنه للنبي عليه الصلاة والسلام : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق . قال النبي عليه الصلاة والسلام لعمر : أتركه يا عمر ، يا حاطب ما حملك على هذا ؟ – فدل على اعتبار القصد، لأنه إن كان قصد ظهور الشرك على الإسلام، وظهور المشركين على المسلمين، فهذا يكون نفاقا وكفرا، وإن كان له مقصد آخر فله حكمه –. قال عليه الصلاة والسلام ـ مستبينا الأمر ـ ما حملك يا حاطب على هذا ؟ قال : يا رسول الله والله ما حملني على هذا محبة الشرك وكراهة الإسلام ، ولكن ما من أحد من أصحابك إلا وله يد يحمي بها ماله في مكة ، وليس لي يد أحمي بها مالي في مكة ، فأردت أن يكون لي بذلك يد أحمي بها مالي في مكة . فقال النبي عليه الصلاة والسلام : صدقكم . الله جلّ وعلا قال في بيان ما فعل حاطب ((ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل)) [الممتحنة ١] ، يعني حاطبا ، ففعله ضلال .

وما منع النبي عليه الصلاة والسلام من إرسال عمر أو ترك عمر إلا أن حاطبا لم يخرج من الإسلام بما فعل ، ولهذا جاء في رواية أخرى قال : إن الله اطلع على أهل بدر ، فقال : افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم . قال العلماء : لعلمه جلّ وعلا بأنهم يموتون ويبقون على الإسلام .

دلت هذا الآية وهي قوله تعالى ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة)) [المتحنة ١] ، مع بيان سبب نزولها من قصة حاطب ، أن إلقاء المودة للكافر لا يسلب اسم الإيمان ، لأن الله ناداهم باسم الإيمان ، فقال : ((يا أيها الذين آمنوا)) مع إثباته جلّ وعلا أنهم ألقوا المودة .

ولهذا استفاد العلماء من هذه الآية ، ومن سورة المائدة ((ومن يتولهم منكم فإنه منهم)) [المائدة ٥١] ومن آية المجادلة التي ساقها الشيخ ((لا تجد قوما يؤمنون باله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله)) [المجادلة ٢٢] إلى أن الموالاة تنقسم إلى تولّ وموالاة ، الموالاة بالاسم العام منه تولّ وهو المكّفر بالضابط الذي ذكرته لك ، ومنه موالاة وهو نوع مودة لأجل الدنيا ونحو ذلك .

والواجب أن يكون المؤمن محبا لله جلّ وعلا ولرسوله وللمؤمنين ، وأن لا يكون في قلبه مودة للكفار ولو كان لأمور الدنيا ، إذا عامل المشركين أو عامل الكفار في أمور الدنيا ، إنها تكون معاملة ظاهرة بدون ميل القلب ، ولا محبة القلب لما ؟ لأن المشرك حمل قلبا فيه مسبة الله جلّ وعلا ، لأن المشرك سابّ لله جلّ وعلا بفعله ، إذ اتخذ مع الله جلّ وعلا إلها آخر ، والمؤمن متولّ لله جلّ وعلا ولرسوله وللذين آمنوا ، فلا يمكن أن يكون في قلبه موادة لمشرك حمل الشرك والعياذ بالله .»[١١٨].

من مظاهر الولاء والبراء[١١٩]

فمن مظاهر مولاة الكفار

١- التشبهُ بهم في الملبسِ والكلامِ وغيرِهما.
٢- الإقامةُ في بلادِهم وعدمُ الانتقالِ منْها إلى بلادِ المسلمينَ لأجلِ الفرارِ بالدين.
٣- السفرُ إلى بلادِهم لغرضِ النُّزْهةِ ومتعةِ النَّفْسِ.
٤- إعانتُهمْ ومناصرَتُهم على المسلمينَ ومدحُهم والذبُّ عنْهُم.
٥- الاستعانةُ بهم والثقةُ بهم وتوليتُهم المناصبَ التي فيها أسرارُ المسلمينَ واتخاذهمْ بِطانةً ومستشارينَ.
٦- التأريخُ بتاريخِهم خصوصاً التاريخُ الذي يعبرُ عن طقوسِهم وأعيادِهم كالتاريخِ الميلادي.
٧- مشاركتُهم في أعيادِهم أو مساعدتُهم في إقامتِها أو تهنئتُهم بمناسبتِها أو حضورُ إقامتِها.
٨- مدحُهم والإشادةُ بما همْ عليه من المدنيةِ والحضارةِ والإعجابِ بأخلاقِهم ومهاراتِهم دونَ نظرٍ إلى عقائدِهمْ الباطلةِ ودينِهمُ الفاسدِ.
٩- التسمي بأسمائِهِمْ.

---

[١١٨] شرح كتاب ثلاثة الأصول [ص ١٣] – للشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله

[١١٩] راجع : الولاء والبراء في الإسلام. للشيخ صالح الفوزان.

١٠- الاستغفارُ لهمْ والترحمُ عليهم.

من مظاهر موالاة المؤمنين

١- الهجرةُ إلى بلادِ المسلمينَ وهجرُ بلادِ الكافرينَ.

٢- مناصرةُ المسلمينَ ومعاونتُهمْ بالنفسِ والمالِ واللسانِ فيما يحتاجونَ إليهِ في دينِهمْ ودنياهُمْ.

٣- التألمُ لألمِهمْ والسرورُ بسرورِهمْ.

٤- النصحُ لهمْ ومحبةُ الخيرِ لهمْ وعدمُ غشِهِمْ وخديعتِهِمْ.

٥- احترامُهمْ وتوقيرُهمْ وعدمُ تَنَقُّصِهِمْ وعيبِهِم.

٦- أنْ يكونَ معهمْ في حالِ العسرِ واليسرِ والشدةِ والرخاءِ.

٧- زيارتُهمْ ومحبةُ الالتقاءِ بهمْ والاجتماعِ معهمْ.

٨- احترامُ حقوقِهِمْ.

٩- الرفق بضعافهم.

١٠- الدعاءُ لهمْ والاستغفارُ لهمْ.

الاعتدال في عقيدة الولاء والبراء

وقال الإمام **ابن باز** – رحمه الله – : « الولاء والبراء معناه محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين ومعاداتهم، والبراءة منهم ومن دينهم، هذا هو الولاء والبراء كما قال الله سبحانه في سورة الممتحنة: «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ» سورة الممتحنة الآية ٤.

وليس معنى بغضهم وعداوتهم أن تظلمهم أو تتعدى عليهم إذا لم يكونوا محاربين، وإنما معناه أن تبغضهم في قلبك وتعاديهم بقلبك، ولا يكونوا أصحابا لك، لكن لا تؤذيهم ولا تضرهم ولا تظلمهم، فإذا سلموا ترد عليهم السلام وتنصحهم وتوجههم إلى الخير، كما قال الله عز وجل: «وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» سورة العنكبوت من الآية ٤٦. وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى وهكذا غيرهم من الكفار الذين لهم أمان أو عهد أو ذمة، لكن من ظلم منهم يجازى على ظلمه، وإلا فالمشروع للمؤمن الجدال بالتي هي أحسن مع المسلمين والكفار مع بغضهم في الله للآية الكريمة السابقة، ولقوله سبحانه: « ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » سورة النحل من الآية ١٢٥، فلا يتعدى عليهم ولا يظلمهم مع بغضهم ومعاداتهم في الله، ويشرع له أن يدعوهم إلى الله، ويعلمهم ويرشدهم إلى الحق لعل الله يهديهم بأسبابه إلى طريق الصواب، ولا مانع من الصدقة عليهم

والإحسان إليهم لقول الله عز وجل: « لا يَنْهَاكُمُ اللهُّ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » سورة الممتحنة الآية ٨، ولما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أن تصل أمها وهي كافرة في حال الهدنة التي وقعت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة على الحديبية. »[١١٦].

وقال الشيخ **صالح الفوزان** – حفظه الله تعالى – : « وأما قولُه تعالى:(لَا يَنْهَاكُمُ اللهُّ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ).(الممتحنة:٨).

فمعناه أنَّ منْ كَفَّ أذاهُ منْ الكفارِ فلمْ يُقاتلْ المسلمينَ ولمْ يُخرجْهُمْ منْ ديارِهمْ فإنَّ المسلمينَ يقابلونَ ذلك بمكافأتِه بالإحسانِ والعدلِ مَعَهُ في التعاملِ الدنيويِّ ولا يُحِبُّونَهُ بقلوبِهم لأنَّ اللهَ قالَ : (أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ). ولم يقلْ توالونَهمْ وتُحبونَهمْ.

ونظيرُ هذا قولُه تعالى في الوالدينِ الكافرينِ: (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ).(لقمان:١٥).

(وقد جاءَتْ أُمُّ أَسْمَاءَ إليها تطلُبُ صِلتَها وهيَ كافِرةٌ فَاستَأذَنَتْ أسماءُ رَسُولَ اللهِّ ﷺ في ذلك فَقَالَ لها: صِلِي أُمَّكِ) . (١٢٠)

وقد قال اللهُ تعالى : (لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ).(المجادلة:٢٢).

فالصلةُ والمكافأةُ الدنيويةُ شيءٌ ،والمودةُ شيءٌ أخرُ.

---

١٢٠ – أخرجه **البخاري** ، كتاب الهبة ، باب الهدية للمشركين . **ومسلم** ، كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد .

ولأنَّ في الصلةِ وحسنِ المعاملةِ ترغيباً للكفارِ في الإسلامِ فَهُما منْ وسائلِ الدعوةِ. بخلافِ المودةِ والموالاةِ فهما يدلانِ على إقرارِ الكافرِ على ما هو عليه والرضى عنه وذلك يسببُ عدمَ دعوتِه إلى الإسلامِ.

وكذلك تحريمُ موالاةِ الكفارِ لا تَعني تحريمَ التعاملِ معهمْ بالتجارةِ المباحةِ واستيرادِ البضائعِ والمصنوعاتِ النافعةِ والاستفادةِ منْ خبراتِهم ومخترعاتِهم.

فالنبيُّ ﷺ أستأجرَ ابنَ أريقط الليثيِّ ليدلَّه على الطريقِ وهو كافرٌ واستدانَ منْ بعضِ اليهودِ.

وما زالَ المسلمونَ يستوردونَ البضائعَ والمصنوعاتِ منْ الكفارِ وهذا منْ بابِ الشراءِ منْهمْ بالثمنِ وليسَ لهمْ علينا فيهِ فضلٌ ومِنّةٌ. وليس هو منْ أسبابِ محبتِهمْ وموالاتِهم، فإنَّ اللهَ أوجبَ محبةَ المؤمنينَ وموالاتهمْ وبُغضَ الكافرينَ ومعاداتهم.

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ).(الأنفال:٧٢) إلى قوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) (الأنفال:٧٣).

قال الحافظ ابن كثير: ومعنى قوله: (إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)

أي إنْ لمْ تُجانبوا المشركينَ وتوالوا المؤمنينَ وإلا وقعتْ فتنةٌ في النَّاسِ وهو التباسُ الأمرِ واختلاطُ المؤمنينَ بالكافرينَ فيقعُ في الناسِ فسادٌ منتشرٌ عريضٌ طويلٌ ... »[١١٩]

القاعدة السادسة عشرة: حراسة العقيدة بدراسة كتب الردود

قال المؤلف – رحمه الله – :

[١٦]- التصريح الواضح الجلي[١٢١] المأثور عن الأسلاف وأتباعهم حقيقة أن طلاب العلم في كل زمان ومكان في حاجة ماسة[١٢٢] إلى معرفة كتب الردود على أهل الأهواء والبدع وكتب الجرح والتعديل؛ ليحذروا من الاغترار[١٢٣] بالمجروحين ويسلموا من شر المبتدعين، ومن ثم يكونوا حراساً من حراس العقيدة السليمة وقائمين بالذب عن السنة الصحيحة القويمة[١٢٤].

Règle 16 : Protégé la croyance en étudiant les livre de réfutation.

[16]- La déclaration claire et évidente، adage des pieux prédécesseurs et leurs réels disciples que l'étudiant en science en tout temps et en tout lieu est en besoin urgent de connaitre les livres de réfutation des gens de la passion et de l'innovation

---

١٢١ جَلِيَ :

[ج ل ي]. (فعل : ثلاثي لازم). جَلِيَ ، يَجْلَى ، مصدر جَلىً .

١ . :- جَلِيَ الشَّابُّ :- : اِنْحَسَرَ شَعَرُ مُقَدَّمِ رَأْسِهِ وَانْكَشَفَ .

٢ . :- جَلِيَتْ جَبْهَتُهُ :- : اِتَّسَعَتْ .

٣ . :- جَلِيَتِ السَّمَاءُ :- : أَصْحَتْ .

[المعجم: الغني]

١٢٢ مَاسٌّ:

[م س س]. (فاعل من مَسَّ).

. :- دَيْنٌ مَاسٌّ :- : عَاجِلٌ .

[المعجم: الغني]

١٢٣ إغتَرّ:

إغتر – اغترارا

١ – إغتر بالشيء : خدع به . ٢ – إغتره : أتاه على « غرة »، أي غفلة وفجأة . ٣ – إغتر بنفسه : كان متكبرا متعجرفا .

[المعجم: الرائد]

١٢٤ قَوِيمٌ :

جمع : قِيَامٌ . [ق و م]. (صِيغَةُ فَعِيل).

١ . :- شَابٌّ قَوِيمٌ :-: رَشِيقُ القَامَةِ .

٢ . :- يَسِيرُ فِي طَرِيقٍ قَوِيمٍ :- : فِي طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ .

[المعجم: الغني]

ainsi que des livres de la critique et de l'éloge. Afin de ne pas se laisser tromper par les critiqués، et de se prémunir contre le mal des innovateurs، et de ce fait ils seront des gardes de la croyance authentique، défendant ainsi la droite Sounnah authentique.

الشيخ ربيع يبين منهج الحق في قراءة كتب الردود

السـائل : هل يحق لطالب العلم أن يقرأ في كتب الردود و نقد الرجال و يحذر الناس من المخالفين، أم لا ؟

جواب الشيخ : « نعم ! يحق لطالب العلم أن يتعلّم العلم، و أن يحفظ كتاب الله، و سنَّة رسول الله صلى الله عليه و سلم بقدر ما يستطيع و التي تسهل فهم الإسلام .

و ممَّا يساعده على التمييز بين الحق و الباطل و الهدى و الضلال؛ كتب الردود !

لأن كتب الردود فيها علم حي ، لأنه علم جهاد ؛ علم الردود من أهل السنة أهل الحق علم الجهاد، فيه النَّبض، يميِّز بين الحق و الباطل.

فعلى الشباب أن يستفيدوا من كتب الردود، لأنهم قاصروا الإدراك، لا يميزون بين حق و باطل، و إذا لم يرجع إلى كتب الردود ربما يأخذ البدعة على أنها سنة، و السنة على أنها بدعة، و قد تكون بدع شركية، و قد تكون بدع إلحادية، و يأخذها من ناس – فتُكَيِّفُهم – من الصوفية و الروافض وغيرهم من أهل الضلال، فبحسن ظنه – فيعب – وينهل منها الباطل و هو لا يميِّز؛ فإذا أراد لنفسه الحماية من الشر فليقرأ كتب الردود إذا اشتبه عليه أمر يرجع إلى كتب الردود و يقرأ منها ليتميَّز له الحق من الباطل، و الهدى من الضلال في ضوء أدلة الكتاب و السنة و فقه السَّلف الصالح.

و أرى في هذا الوقت أنه ينبغي للشباب أن يعنوا بكتب الردود لأن البدع انتشرت والترويج لها والإعلام لها لا حدود له، لأن الباطل عنده إمكانيات مادية، و عنده إعلام خطير، و عندهم دعايات تُبهر عقول الشباب ،و تسلب عقوله، فيجعلون الحق باطلاً، و الباطل حقا فينقاد لهم الشباب، لشدَّة تأثير هذا الإعلام الشيطاني.

فالذي يريد الله له الهداية، و يسمع النصيحة يقرأ في كتب الردود، و يعطي بعض الوقت لها، لا كل الوقت، و بعض الوقت هذا الذي أقوله يكفي للإلمام بكتب الردود، فلو كان ـ يعني ـ يصرف من وقته لتحصيل العلم عشر ساعات في طلب العلم؛ ساعة في كتب الردود، تسع ساعات في كتب العلم، لكن الحملات الشعواء ضد كتب الردود من أهل الباطل هذا

لإدراكهم أن كتب الردود تُبيِّن ما عندهم من الباطل، و هم يريدون أن يقودوا النَّاس كالخرفان، كالعميان، يقودونهم هكذا، فإذا قرأ الشاب في كتب الردود تميَّز الحق من الباطل.

فطبعا! قد يحدِّد موقفه من أهل الضلال الأحياء منهم و الأموات، و هذا أمرٌ صعب عليهم!؛ فاخترعوا هذه الحيلة!؛ لا تقرأ كتب الردود !

طيِّب! مرت عشرات السنين و أهل الباطل يهاجمون أهل الحق، لماذا ما قالوا لا تقرأوا كتب الهجوم ؟!!

كُتب الهجوم تضر، كُتب الهجوم على الحق، الهجوم الكاسح على الحق ، لماذا ما حذروا منها ؟!، بل يعملون لها الدعايات، و الطباعة و النشر ووو إلى آخره!

فهذا ينبئكم أن الذين يحذرون من كتب الردود هذه أهدافهم؛ أهدافهم أن ينتشر الباطل دون اعتراض، و الدليل أنهم يروجون لباطلهم !

الباطل الذي في الكتب، و الباطل الذي تحمله أدمغتهم الفاسدة، يروجون له على المنابر و في الصحف، و يروجون الكتب التي تنطوي على الباطل؛ فإذا صدمهم علماء الردود و بيِّنت ما عندهم من الضلال و الباطل ؛ قالوا : اتركوا كتب الردود!

لا تضيِّعوا أوقاتكم في كتب الردود!

كلهم اشتغلوا في كتب الردود!

كل هذه حيل و مكر لصرف النَّاس عن معرفة الحق، و التمييز بينها و بين الباطل.

نعم!»[١٢٥] انتهى.

[١٢٥] منقول من شريط مفرغ بعنوان : " الرد على المخالف من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ".

وقال فضيلته في شريط : « أطلبوا العلم، وبالغوا في طلب العلم ، وشمروا عن ساعد الجد في طلب العلم. ومما يساعدكم على إدراك العلم الصحيح: كتب الردود ، فإنها جزء مهم جدا من طلب العلم. والذي لا يعرف كبت الردود ولو حفظ من العلم ما حفظ فإنه – بارك الله فيك – في موقف متذبذب.

وقد رأينا كثيرا ممن يعلم ثمَّ يقع في الضلال . ولا تنسوا قصة عبد الرزاق، ولا تنسوا قصة البيهقي، ولا تنسوا قصة أبي ذر الهروي وهم من كبار العلماء، وشبهة واحدة تهوي به في أحظان البدعة – والعياذ بالله – .

عبد الرزاق واحد دونه في العلم يعني ما زال ... حتى وقع في التشيع.

... سمعها البيهقي على أحد أئمة الأشاعرة فوقع في الضلال.

...

وأما في هذا فلا بعدّ ولا يحصى ممن كان على السنَّة إما عالم وإما طالب علم ثم انحرف بسبب الشبهات ... »[١٢٦]

التوسط والاعتدال في دراسة كتب الردود

قال العلامة **عبيد الجابري** – حفظه الله تعالى – : « أما تدريس كتب المعاصرين التي هي مؤلفة تأليفاً استقلالاً ، ولم تعتمد على متون؛ فتدريسها لا يفيد. وأشدُّ من ذلك بليَّة تدريس الردود ، فبعض الناس يجلس للخاصة والعامة فيدرسهم ردود المعاصرين على فلانٍ وعلان ، فهذا دليل على كساد بضاعته ، وقلة فقهه، وضحالة علميته.

فإن كان حاذقاً بصيراً صادقاً مخلصاً لله في النصح فليدرس الناس كتبَ العلم، كتب الأئمة، دواوين أهل الإسلام.

نعم هذا – بارك الله فيكم – ما أحببت أن أوصي به في هذه الجلسة القصيرة ، وحياكم الله وبارك فيكم ووجهنا الله وإياكم الوجهة الصالحة لديننا ودنينا ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين »[١٢٧].

---

[١٢٦] https://www.youtube.com/watch?v=3eoo7fZ8IEE

[١٢٧] https://archive.org/download/sh-obaid-aljabery/sh-obaid-aljabery.mp3

سئل فضيلة الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله – : فضيلة الشيخ وفقكم الله يقول : كيف نجمع بين عدم التحذير من المخالفين وبين بيان الصراط المستقيم ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان بشيرا ونذيرا فإذا سكتنا عن المخالفين ولم نبين ... !؟

العلامة صالح الفوزان حفظه الله :

«أنت علمهم الطريق الصحيح أول شيء، وهم يعرفون المخالفين، أما أنك تنهاهم وهم ما عندهم أصول ولا معرفة هذا ما فيه فائدة ! وهذا يورث العداوة فقط . علمهم الطريق الصحيح فقههم في دين الله ثم بعد ذلك إما هم يدركون المخالف وإما أنت تنبهم عليه إذا ما كانوا يعرفون، لكن أن تبدأهم بسب فلان وسب فلان هذا لا يصلح وهو ما عنده شيء !!! نعم»[١٢٨].

نسأل الله الفقه في دينه والثبات عليه والبعد عن طريق الغواية والهلاك إنه جواد كريم

المنهجية في دراسة كتب العقيدة

للشيخ صالح السحيمي

السؤال : يقول السائل: أحسن الله إليك، ما المنهجية في دراسة علم العقيدة؟

الجواب: « المنهجية في دراسة علم العقيدة حسب ما وجهنا به مشايخنا من أمثال شيخنا الشيخ ابن باز، وشيخنا الشيخ الألباني، وشيخنا الشيخ ابن عثيمين، وشيخنا الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، وشيخنا الشيخ صالح الفوزان، وشيخنا الشيخ الغديان، وغيرهم من مشايخنا الأفاضل، وهو منهج أهل السنة والجماعة أن

نبدأ بالمختصرات وبما يغلب عليها الوضوح من الكتب التي لا تدخل في نقاش المخالفين؛ لأن هذه قد تخفى على العوام، أو يصعب عليه فهمها ابتداءً، فيبدأ كما تعلمناه من مشايخنا بكتاب: "الأصول الثلاثة" مع "قواعدها الأربعة".

---

[١٢٨] منقول من شبكة سحاب السلفية : http://www.sahab.net/forums/index.php?showtopic=133027

وينبغي أن يجتهد في أن يقرأها على شيخ أو طالب علم معروف بسلامة منهجه؛ لأنه أحيانًا قد تُوجه حتى القواعد في العقيدة؛ تُجير لخدمة فكر معين إذا تولى تدريسها أحد من أصحاب الأفكار الموجهة. كثيرًا ما تطرح علينا الأسئلة في المسجد النبوي: بقول « تتحدثون عن شرك القبور الذي لم يعد له وجود، ونحن الآن قد وقعنا في شرك القصور»، يقصدون بهذا؛ أنكم يا من تدعون إلى التوحيد عملاء لأصحاب القصور متعلقون بأذيالهم لذلك لا تتكلمون عن مخالفاتهم، ولا تعترضون عليهم فيما يفعلون، وهذه شنشنة معروفة من أخزم من قديم الزمان، عُرفت من الجهمية ومن المعتزلة والخوارج القدامى؛ كما فعل الخوارج مع علي -رضي الله عنه-، ومع معاوية -رضي الله عنه-، ومع بقية الصحابة الذين كفروهم؛ أعني أن هؤلاء الخوارج كفروا الصحابة.

فتدرس هذه الكتب المختصرة على أيدي طلاب العلم السائرين على المنهج الحق.

١- ثم **ننتقل إلى شروح كتاب التوحيد؛ ونبدأ بالمختصرات** كـ"القول السديد"، ومن أوضحها "القول المفيد" لشيخنا الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-، وكذا قبل ذلك "فتح المجيد" و "تيسير العزيز الحميد" و "قرة عيون الموحدين" ونحو ذلك.

٢- ثم إذا هضم ذلك كله **ينتقل إلى دراسة كتب العقيدة التي ألفها السلف في الرد على المخالفين**. والتي بعضها أطلق عليها اسم "السنة" و هي رد بالنصوص الشرعية لا بالدخول في مناقشات ؛ كـ"**السنة** " للخلال، و"**السنة**" لابن أبي عاصم، و"**السنة**" للإمام أحمد، و"**السنة**" لعبد الله بن الإمام أحمد، و"**شرح السنة**" للبغوي، ونحو ذلك.

٣- ثم بعد هذا؛ **المرحلة الثالثة ينتقل إلى كتب الردود الصريحة التي تدخل معهم في دحض الشبهات**. مثل كتاب: **"الرد على الجهمية"** للإمام أحمد، و **"الرد على الجهمية"** للإمام أبي سعيد الدارمي[١٢٩]، و**"التوحيد"** لأبي خزيمة، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية[١٣٠]، وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الرد على المخالفين.

هذه مراحل دراسة العقيدة فيما أعرف، ويكون ذلك كله على أيدي العلماء وطلبة العلم المتميزين بسلامة منهجهم. و فقكم الله »[١٣١]

باب الغيبة وما يستثنى منها : رياض الصالحين للنووي، مقدمة صحيح مسلم.

[١٢٩] وكتابه الأخر : رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على المريسي العنيد.

[١٣٠] ككتاب "بيان تلبيس الجهمية"، و "درء تعارض العقل والنقل". وكذلك كتاب "مختصر الصواعق المرسلة" لتلميذه البار ابن قيم الجوزية.

[١٣١] من موقع سحاب السلفية : https://www.sahab.net/forums/index.php?showtopic=134843

القاعدة السابعة عشرة: معرفة من هو الربانيّ

قال المؤلف – رحمه الله – :

[١٧]- من عَلِمَ وعمل وعلَّم فإنه يدعى ربانيًّا[١٣٢] في ملكوت السموات.

Règle 17 : Savoir reconnaitre qui est « Rabani ».

[17]- Celui qui sait، pratique et enseigne، se nomme « Rabani » dans le royaume des cieux.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ آل عمران: ٧٩

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤

Allah le très haut dit : (Il ne conviendrait pas à un être humain à qui Allah a donné le Livre, la Compréhension et la Prophétie, de dire ensuite aux gens: «Soyez mes adorateurs, à l'exclusion d'Allah; mais au contraire, [il devra dire]: «Devenez des savants, obéissant au Seigneur, puisque vous enseignez le Livre et vous l'étudiez».).

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية : « وهذه الآية نزلت ردا لمن قال من أهل الكتاب للنبي صلى الله عليه وسلم لما أمرهم بالإيمان به ودعاهم إلى طاعته: أتريد يا محمد أن نعبدك مع الله، فقوله { ماكان لبشر } أي: يمتنع ويستحيل على بشر من الله عليه بإنزال الكتاب وتعليمه ما لم يكن يعلم وإرساله للخلق { أن يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله } فهذا من أمحل المحال صدوره من أحد من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام، لأن هذا أقبح الأوامر على الإطلاق، والأنبياء أكمل الخلق على الإطلاق، فأوامرهم تكون مناسبة لأحوالهم، فلا يأمرون إلا بمعالي الأمور وهم أعظم الناس نهيا عن الأمور القبيحة، فلهذا قال { ولكن كونوا ربانيين بماكنتم تعلمون الكتاب وبماكنتم تدرسون } أي: ولكن يأمرهم بأن يكونوا ربانيين، أي: علماء حكماء حلماء معلمين للناس ومربيهم، بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك، فهم يأمرون بالعلم والعمل والتعليم التي هي مدار السعادة، وبفوات شيء منها يحصل النقص والخلل، والباء في قوله { بماكنتم تعلمون } إلخ، باء السببية، أي: بسبب تعليمكم لغيركم المتضمن لعلمكم ودرسكم لكتاب الله وسنة نبيه، التي بدرسها يرسخ العلم ويبقى، تكونون ربانيين. »

قال **البغوي** في تفسير الآية : « قوله تعالى : (ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب) الآية

---

[١٣٢] ربانيين، أي: علماء حكماء حلماء معلمين للناس ومربيهم، بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك. تفسير السعدي (آل عمران ٧٩).

قال **مقاتل والضحاك** : ما كان لبشر يعني : عيسى عليه السلام ، وذلك أن نصارى نجران كانوا يقولون : إن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربا فقال تعالى : (ما كان لبشر) يعني : عيسى (أن يؤتيه الله الكتاب) الإنجيل .

وقال **ابن عباس** وعطاء : (ما كان لبشر) يعني محمدا (أن يؤتيه الله الكتاب) أي القرآن ، وذلك أن أبا رافع القرظي من اليهود ، والرئيس من نصارى أهل نجران قالا يا محمد تريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال : معاذ الله أن نأمر بعبادة غير الله ما بذلك أمرني الله ، ولا بذلك أمرني فأنزل الله تعالى هذه الآية (ما كان لبشر) أي ما ينبغي لبشر ، كقوله تعالى : " ما يكون لنا أن نتكلم بهذا " (سورة ، النور الآية : ١٦) أي ما ينبغي لنا.

والبشر : جميع بني آدم لا واحد له من لفظه ، كالقوم والجيش ويوضع موضع الواحد والجمع ،

(أن يؤتيه الله الكتاب والحكم) الفهم والعلم، وقيل : إمضاء الحكم عن الله عز وجل. (والنبوة) المنزلة الرفيعة بالأنبياء. (ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا) أي : ولكن يقول كونوا ، (ربانيين)

واختلفوا فيه قال **علي** و**ابن عباس** و**الحسن** : كونوا فقهاء علماء وقال **قتادة** : حكماء وعلماء وقال **سعيد بن جبير** : العالم الذي يعمل بعلمه ، وعن **سعيد بن جبير** عن **ابن عباس** : فقهاء معلمين .

وقيل : **الرباني** الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره ، وقال **عطاء** : علماء حكماء نصحاء لله في خلقه ، قال **أبو عبيدة** : سمعت رجلا عالما يقول : الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي ، العالم بأنباء الأمة ما كان وما يكون ، وقيل : **الربانيون** فوق الأحبار ، والأحبار : العلماء ، والربانيون : الذين جمعوا مع العلم البصارة بسياسة الناس.

قال **المؤرج** : كونوا ربانيين تدينون لربكم ، من الربوبية ، كان في الأصل ربي فأدخلت الألف للتفخيم ، ثم أدخلت النون لسكون الألف ، كما قيل : صنعاني وبهراني.

وقال **المبرد** : هم أرباب العلم سموا به لأنهم يربون العلم، ويقومون به ويربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها ، وكل من قام بإصلاح شيء وإتمامه فقد رَبَّه يربُّه ، واحدها : " ربان " (كما قالوا : ريان) وعطشان وشبعان وعريان ثم ضمت إليه ياء النسبة كما قالوا : لحياني ورقباني .

وحكي عن **علي رضي الله عنه** أنه قال: هو الذي يرب علمه ، بعمله

قال **محمد بن الحنفية** لما مات ابن عباس: اليوم مات رباني هذه الأمة.

(بما كنتم) أي : بما أنتم ، كقوله تعالى : " من كان في المهد صبيا " (سورة مريم الآية ٢٩) أي : من هو في المهد (تعلمون الكتاب) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي " تعلمون " بالتشديد من التعليم وقرأ الآخرون " تعلمون " بالتخفيف من العلم كقوله : (وبما كنتم تدرسون) أي : تقرءون . »

قال **ابن كثير** في تفسير الآية : « قال محمد بن إسحاق : حدثنا محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال أبو رافع القرظي ، حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران ، عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس : أوذاك تريد منا يا محمد ، وإليه تدعوننا ؟ أو كما قال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " معاذ الله أن نعبد غير الله ، أو أن نأمر بعبادة غيره ، ما بذلك بعثني ، ولا بذلك أمرني " . أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهما : (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة) [الآية] إلى قوله : (بعد إذ أنتم مسلمون) .

فقوله (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) أي : ما ينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس : اعبدوني من دون الله . أي : مع الله ، فإذا كان هذا لا يصلح لنبي ولا لمرسل ، فلأن لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأحرى ، ولهذا قال **الحسن البصري** : لا ينبغي هذا لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته . قال : وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضا - يعني أهل الكتاب - كانوا يتعبدون لأحبارهم ورهبانهم ، كما قال الله تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله [والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون]) [التوبة : ٣١] وفي المسند ، والترمذي - كما سيأتي - أن عدي بن حاتم قال : يا رسول الله ، ما عبدوهم . قال : " بلى ، إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال ، فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم " .

فالجهلة من الأحبار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون في هذا الذم والتوبيخ ، بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين ، فإنما يأمرون بما أمر الله به وبلغتهم إياه رسله الكرام . إنما ينهونهم عما نهاهم الله عنه وبلغتهم إياه رسله الكرام . فالرسل ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، هم السفراء بين الله وبين خلقه في أداء ما حملوه من الرسالة وإبلاغ الأمانة ، فقاموا بذلك أتم قيام ، ونصحوا الخلق ، وبلغوهم الحق .

وقوله : (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) أي : ولكن يقول الرسول للناس : كونوا ربانيين . قال **ابن عباس** و**أبو رزين** وغير واحد ، أي : حكماء علماء حلماء . وقال **الحسن** وغير واحد : فقهاء ، وكذا روي عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، وعطاء الخراساني ، وعطية العوفي ، والربيع بن أنس . وعن الحسن أيضا : يعني أهل عبادة وأهل تقوى .

وقال **الضحاك** في قوله : (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) حق على من تعلم القرآن أن يكون فقيها : " تعلمون " أي : تفهمون معناه . وقرئ (تعلمون) بالتشديد من التعليم (وبما كنتم تدرسون) تحفظون ألفاظه . »

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤

Allah le très haut dit : (Nous avons fait descendre la Thora dans laquelle il y a guide et lumière. C'est sur sa base que les prophètes qui se sont soumis à Allah, ainsi que les rabbins et les docteurs jugent les affaires des Juifs. Car on leur a confié la garde du Livre d'Allah, et ils en sont les témoins. Ne craignez donc pas les gens, mais craignez Moi. Et ne vendez pas Mes enseignements à vil prix. Et ceux qui ne jugent pas d'après ce qu'Allah a fait descendre, les voilà les mécréants.)

جاء في **التفسير الميسر** في تأويل هذه الآية : « إنا أنزلنا التوراة فيها إرشاد من الضلالة، وبيان للأحكام، وقد حكم بها النبيُّون -الذين انقادوا لحكم الله، وأقروا به- بين اليهود، ولم يخرجوا عن حكمها ولم يُحَرِّفوها، وحكم بها عُبَّاد اليهود وفقهاؤهم الذين يربُّون الناس بشرع الله؛ ذلك أن أنبياءهم قد استأمنوهم على تبليغ التوراة، وفقْه كتاب الله والعمل به، وكان الربانيون والأحبار شهداء على أن أنبياءهم قد قضوا في اليهود بكتاب الله. ويقول تعالى لعلماء اليهود وأحبارهم: فلا تخشوا الناس في تنفيذ حكمي؛ فإنهم لا يقدرون على نفعكم ولا ضَرِّكم، ولكن اخشوني فإني أنا النافع الضار، ولا تأخذوا بترك الحكم بما أنزلتُ عوضًا حقيرًا. الحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، فالذين يبدلون حكم الله الذي أنزله في كتابه، فيكتمونه ويجحدونه ويحكمون بغيره معتقدين حله وجوازه فأولئك هم الكافرون. »

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية : « وقوله: { وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ } أي: وكذلك يحكم بالتوراة للذين هادوا أئمة الدين من **الربانيين**، أي: العلماء العاملين المعلمين الذين يربون الناس بأحسن تربية، ويسلكون معهم مسلك الأنبياء المشفقين. والأحبار أي: العلماء الكبار الذين يقتدى بأقوالهم، وترمق آثارهم، ولهم لسان الصدق بين أممهم. وذلك الحكم الصادر منهم الموافق للحق { بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ } أي: بسبب أن الله استحفظهم على كتابه، وجعلهم أمناء عليه، وهو أمانة عندهم، أوجب عليهم حفظه من الزيادة والنقصان والكتمان، وتعليمه لمن لا يعلمه. وهم شهداء عليه، بحيث أنهم المرجوع إليهم فيه، وفيما اشتبه على الناس منه، فالله تعالى قد حمل أهل العلم، ما لم يحمله الجهال، فيجب عليهم القيام بأعباء ما حملوا. وأن لا يقتدوا بالجهال، بالإخلاد إلى البطالة والكسل، وأن لا يقتصروا على مجرد العبادات القاصرة، من أنواع الذكر، والصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، ونحو ذلك من الأمور، التي إذا قام بها غير أهل العلم سلموا ونجوا. وأما أهل العلم فكما أنهم مطالبون بالقيام بما عليهم أنفسهم، فإنهم مطالبون أن يعلموا الناس وينبهوهم على ما يحتاجون إليه من أمور دينهم، خصوصا الأمور الأصولية والتي يكثر وقوعها وأن لا يخشوا الناس بل يخشون ربهم، »

قال **البغوي** في تفسير الآية : « (والربانيون والأحبار) يعني العلماء : واحدهم حبر ، وحبر بفتح الحاء وكسرها ، والكسر أفصح ، وهو العالم المحكم للشيء ، قال الكسائي وأبو عبيد : هو من الحبر الذي يكتب به وقال قطرب هو من الحبر الذي هو بمعنى الجمال بفتح الحاء وكسرها ، وفي الحديث " يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره " أي : حسنه وهيئته ، ومنه التحبير وهو التحسين ، فسمي العالم حبرا لما عليه من جمال العلم وبهائه ، وقيل : الربانيون هاهنا من النصارى ، والأحبار من اليهود ، وقيل : كلاهما من اليهود . »

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ المائدة: ٦٣

جاء في **التفسير الميسر** في تأويل هذه الآية : « هلا ينهى هؤلاء الذين يسارعون في الإثم والعدوان أئمتُهم وعلماؤهم، عن قول الكذب والزور، وأكل أموال الناس بالباطل، لقد ساء صنيعهم حين تركوا النهي عن المنكر. »

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية : « { لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ } أي: هلا ينهاهم العلماء المتصدون لنفع الناس، الذين من الله عليهم بالعلم والحكمة –عن المعاصي التي تصدر منهم، ليزول ما عندهم من الجهل، وتقوم حجة الله عليهم، فإن العلماء عليهم أمر الناس ونهيهم، وأن يبينوا لهم الطريق الشرعي، ويرغبوهم في الخير ويرهبوهم من الشر { لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } »

من هو الرباني

قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري: والربّاني: « هو المنسوب إلى من كان بالصفة التي وصفتُ، وكان العالم بالفقه والحكمة من المصلحين، يَرُبّ أمورَ الناس، بتعليمه إياهم الخيرَ، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم، وكان كذلك الحكيمُ التقيُّ لله، والوالي الذي يلي أمور الناس على المنهاج الذي وَليه المقسطون من المصْلحين أمورَ الخلق، بالقيام فيهم بما فيه صلاحُ عاجلهم وآجلهم، وعائدةُ النفع عليهم في دينهم، ودنياهم كانوا جميعًا يستحقون أن يكونوا ممن دَخل في قوله عز وجل: ولكن كونوا ربانيين... فالربانيون إذًا، هم عمادُ الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا»

وفي بيان الفرق بين مطلق العالم وبين العالم الرباني قال ـ رحمه الله: «الأحبارَ: هم العلماء، والرباني: الجامعُ إلى العلم والفقه، البصرَ بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دُنياهم ودينهم.»

وقال الإمامُ ابن القيم رحمه الله: « ومعنى الرَّبانيِّ في اللغة: الرَّفيع الدرجة في العلم، العالي المنزلة فيه... قال ابن عباس: حكماء فقهاء، وقال أبو رزين: فقهاء علماء، وقال أبو عمر الزاهد سألتُ ثعلبا عن هذا الحرف وهو الرباني، فقال: سألتُ ابن الأعرابي، فقال: إذا كان الرجل عالما عاملا معلما قيل له هذا رباني، فإن خرم عن خصلة منها لم نقل له رباني.»

مهم صفات العالم الباني

سئل الشيخ العلامة صالح الفوزان عضو هيئة كبار العلماء بالسعودية (حفظه الله) عن صفات العالم الرباني الحقيقي كيف يعرف ؟

فأجاب – سدده الله– :

« العالم الرباني يتصف بصفتين :

خشية الله جل و علا (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ، يخشى الرب سبحانه و يعمل بعلمه و يخلص لله عز وجل

يربي الناس على الخير (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) فيربي الناس على العلم ويتدرج بهم شيئا فشيئا. ولهذا قال بعض السلف : "العالم الرباني هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره" ، هذا هو العالم الرباني ، يخشى الله أولاً ويربي الناس ويتدرج بهم في العلم شيئا فشيئا ، ولا يشق عليهم ولا يلقي عليهم العلم جملة واحدة فيعجزهم. يتدرج بهم ويرفق بهم ويصبر على ذلك حتى يصل بهم إلى طريق السلامة فيكون له أجره و أجرهم»[١٣٣].

دَورُ العلماءِ الرَّبانِيِينَ الرِّساليُّ نحو الأُمَّةِ[١٣٤]

مَنْ تأمَّلَ نصوصَ الكتابِ والسنةِ ، وجالَ ببصرهِ في سيرةِ العلماءِ الرَّبانيينَ من سلفِ هذه الأُمَّة ، لاح له أنَّ دورَ العلماءِ الرَّبانيينَ يُعدُّ–بحقٍّ– أعظمَ رسالةٍ تُوجَّهُ للمجتمعاتِ البشريةِ ، وهو ماثلٌ فيما يلي :

١– بيانُ الحقِّ ، وتبليغهُ للنَّاسِ ، وعدمُ كتمانهِ عنهم ؛ وفي هذا المعنى العظيم يقولُ اللهُ تعالى : {وَإِذَ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ }[آل عمران : ١٨٧].

---

[١٣٣] من محاضرة أصول تلقي العلم وضوابطه/ ألقاها الشيخ يوم الخميس [١١/ محرم ١٤٢٧هـ/ الدقيقة: ٦٩]

[١٣٤] https://saaid.net/arabic/526.htm

وقال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ }[البقرة : ١٥٩].

وقالَ جلَّ وعلا :{وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ }[يس : ١٧].

٢- تصفيةُ العلمِ مِنْ لوثاتِ التحريف ، وتنقيتهُ مِنْ شوائبِ التزييف ؛ عملاً بحديثِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم :
((يحمل هَذَا الْعلمَ منْ كُلِّ خلفٍ عدوله، ينفون عَنهُ تَحْرِيف الغالينَ ، وانتحال المبطلينَ وَتَأْوِيل الْجَاهِلين))([١٢]).

٣- تعليمُ النَّاس ما يحتاجونَ إليه من علومِ الكتابِ والسُّنةِ ، وتَزْكيتُهم منْ منطلقِ هذا العلمِ الصحيحِ ؛ كما قال تعالى : { لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ }[آل عمران : ١٦٤].

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية-رَحِمَهُ اللهُ-:

\" وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ وَيَرْحَمُونَ الْخَلْقَ ؛ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ فَلَا يَبْتَدِعُونَ\"([١٣]) .

وفي ذلك يقولُ الإمامُ ابنُ القيم –رحمهُ اللهُ-: \"والعالمُ الَّذِي قد عرفَ السُّنةَ والحلالَ والحرامَ وطرقَ الخيرِ والشَّرِّ ؛ ففي مخالطتِهِ الناسَ وتعليمهم ونصحِهم في دينهم أفضلُ منَ اعتزالهِ وتفريغِ وقتِهِ للصلاةِ وقراءة القرآنِ\"([١٤]).

٤- الدَّعوةُ إلى الله ؛ و إحياءُ شعيرةِ الأمرُ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكر ؛ كما قال تعالى : {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}[فصلت : ٣٣] .

وقالَ-جلَّ وعلا- :{قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }[يوسف : ١٠٨] .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مُعَاذًا – قَالَ بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ : ((إِنَّكَ تَأْتِى قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللهِ...))([١٥]).

وقال –سبحانه– : {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[آل عمران : ١٠٤].

وقالَ تعالى : {فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ}[هود : ١١٦].

وقالَ –عَزَّ مِنْ قائلٍ– : {لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ }[المائدة : ٦٣].

٥– إفتاءُ النَّاسِ ، وبيانُ أحكامِ الشَّريعةِ لهم فِيما يُشكلُ عليهم منْ مسائلَ في حياتهم؛ كما قال تعالى : { فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ *بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ}[النحل : ٤٣–٤٤].

٦– إسداءُ النَّصيحةِ للمسلمينَ وبَذْلها لهم على اختلاف شرائحهم وكافَّةِ مستوياتهم ؛ فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ –رضِيَ اللهُ عنه– قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم : ((إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ)). قَالُوا لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ : ((للهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَأَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَامَّتِهِمْ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»([١٦]).

٧– توجيهُ النَّاسِ للحقِّ ؛ و تثبيتُهم عليهِ ؛ ولا سيما عند نزولِ الفتنِ العظيمةِ وحلولِ النوازلِ الجسيمةِ ؛ كما قالَ تعالى : {وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً }[النساء : ٨٣].

وقد جاءَ هذا المعنى العظيم في قصةِ قارونَ –أخزاه الله– ؛ حيثُ وجَّهَ أهلُ العلمِ النَّاسَ في غمرةِ فتنةِ قارونَ نحوَ الوجهةِ الصَّحيحةِ ؛ كما قال تعالى: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو

حَظٍّ عَظِيمٍ *وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ }[القصص : ٧٩-٨٠].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُكَلِّمُ النَّاسَ : ((فَقَالَ اجْلِسْ يَا عُمَرُ)) ؛ فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَتَرَكُوا عُمَرَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : ((أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ الله حَيٌّ لا يَمُوتُ . قَالَ اللهُ : {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ إِلَى قَوْلِهِ الشَّاكِرِينَ} ، وَقَالَ : ((وَاللهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا)) ، فَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ عُمَرَ قَالَ : ((وَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا فَعَقِرْتُ حَتَّى مَاتُقِلُّنِي رِجْلَايَ وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلَاهَا عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ))([١٧]) .

٨- جهادُ أهلِ الزَّيغِ والضَّلالِ ؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ-رضِيَ الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ : ((مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ))([١٨]) .

٩- التشاور مع أربابِ الفهمِ والعقل في حَلِّ المعضلات وعلاج المشكلاتِ؛ للوصولِ للحقِّ والصَّوابِ ؛ والأصل في ذلك : قولُ الله تعالى : {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}[الشورى : ٣٨] ، وقولُ الله تعالى : {... وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ...}[آل عمران : ١٥٩] .

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللهُ عنهما- أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَقَالَ عُمَرُ : ((ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ)) فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ فَاخْتَلَفُوا فَقَالَ بَعْضُهُمْ قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ فَقَالَ ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ : ((ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ)) فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا

كَاخْتِلَافِهِمْ فَقَالَ ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ : ((ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ)) فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ فَقَالُوا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ ؛ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ .

...قَالَ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ((إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ)) ؛ قَالَ فَحَمِدَ اللهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ([١٩]) .

١٠- سياسةُ النَّاسِ في ضوءِ منهجِ الأنبياءِ-عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ- : إصلاحاً لفسادِ الأُممِ ، وتجديداً لِما اندرسَ مِنْ معالِمِ الدِّينِ ؛ كما قال تعالى-في شأن أنبيائهِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ- : {أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}[الأنعام : ٩٠] ، وقال تعالى-حكايةً عنْ نبيهِ شعيبٍ-عليهِ السَّلامُ- : {...إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ }[هود : ٨٨].

وقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : ((كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ : فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ))([٢٠]).

قال القاضي عياض-رحمه الله- : ((ويعني بهذا الكلام : أنّ بني إسرائيل كانوا إذا ظهر فيهم فساد ، أو تحريفٌ في أحكام التوراة – بعد موسى – بعث الله تعالى لهم نبيًّا يقيم لهم أمرهم ، ويصلح لهم حالهم ، ويزيل ما غُيّرَ وبُدِّلَ من التوراة وأحكامها))([٢١]) .

ويقول الإمام ابن قيم الجوزية-رحمه الله- : ((فإنَّ هذه الأمة أكمل الأمم ، وخير أمة أخرجت للناس ، ونبيها خاتم النبيين لا نبي بعده ، فجعل الله العلماء فيها كُلَّما هَلكَ عالم خَلَفه عالم ؛ لئلا تُطمسَ معالم الدين وتَخفى أعلامه .

وكان بنو إسرائيل كلما هلك نبي خلفه نبي ، فكانت تسوسهم الأنبياء ، والعلماء لهذه الأمة كالأنبياء في بني إسرائيل))([٢٢]).

القاعدة الثامنة عشرة: وسطية أهل السنة والجماعة في جميع أبواب الدين

قال المؤلف – رحمه الله – :

[١٨]- الحق عندهم وسط بين ضلالتين، وهما الإفراط[١٣٥] والتفريط[١٣٦].

Règle 18 : Le juste milieu dont fait preuve « les gens de la Sounnah et du consensus » dans toutes les affaires de la religion.

[18] – La vérité pour eux se situe en entre deux égarements [extrêmes]، qui sont l'exagération et le laxisme.

وسطية هذه الأمة بين الأمم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ البقرة: ١٤٣

Allah le très haut dit : (Et aussi Nous avons fait de vous une communauté de justes pour que vous soyez témoins aux gens, comme le Messager sera témoin à vous. Et Nous n'avions établi la direction (Qibla) vers laquelle tu te tournais que pour savoir qui suit le Messager [Muhammad] et qui s'en retourne sur ses talons. C'était un changement difficile, mais pas pour ceux qu'Allah guide. Et ce n'est pas Allah qui vous fera perdre [la récompense de] votre foi, car Allah, certes est Compatissant et Miséricordieux pour les hommes.)

قال الشيخ **السعدي** في تفسير الآية : « ذكر في هذه الآية السبب الموجب لهداية هذه الأمة مطلقا بجميع أنواع الهداية, ومنة الله عليها فقال: { وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } أي: عدلا خيارا، وما عدا الوسط, فأطراف داخلة تحت الخطر،

فجعل الله هذه الأمة, وسطا في كل أمور الدين،

---

[١٣٥] أَفْرَطَ :

[ف ر ط]. (فعل : رباعي لازم متعد بحرف). أَفْرَطْتُ ، أُفْرِطُ ، مصدر إِفْرَاطٌ .

١ . :- أَفْرَطَ فِي الأَكْلِ :- : جَاوَزَ الحَدَّ ، أَشْرَفَ ، بَالَغَ . :- لاَ يُفْرِطُ فِيمَا لاَ يَنْبَغِي الإِفْرَاطُ فِيهِ . [المعجم: الغني]

[١٣٦] فرط :

ف ر ط : فَرَطَ في الأمر قصر فيه وضيعه حتى فات. [لمعجم: مختار الصحاح]

وسطا في الأنبياء, بين من غلا فيهم, كالنصارى, وبين من جفاهم, كاليهود, بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك،

ووسطا في الشريعة, لا تشديدات اليهود وآصارهم[١٣٧], ولا تهاون النصارى.

وفي باب الطهارة والمطاعم, لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم, ولا يطهرهم الماء من النجاسات, وقد حرمت عليهم الطيبات, عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئا, ولا يحرمون شيئا, بل أباحوا ما دب ودرج. بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها، وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح, وحرم عليهم الخبائث من ذلك.

فلهذه الأمة من الدين أكمله, ومن الأخلاق أجلها, ومن الأعمال أفضلها. ووهبهم الله من العلم والحلم, والعدل والإحسان, ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا { أُمَّةً وَسَطًا } [كاملين] ليكونوا { شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ } بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط, يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان, ولا يحكم عليهم غيرهم، فما شهدت له هذه الأمة بالقبول, فهو مقبول, وما شهدت له بالرد, فهو مردود.

فإن قيل: كيف يقبل حكمهم على غيرهم, والحال أن كل مختصمين غير مقبول قول بعضهم على بعض؟ قيل: إنما لم يقبل قول أحد المتخاصمين, لوجود التهمة فأما إذا انتفت التهمة, وحصلت العدالة التامة, كما في هذه الأمة, فإنما المقصود, الحكم بالعدل والحق، وشرط ذلك, العلم والعدل, وهما موجودان في هذه الأمة, فقبل قولها.

فإن شك شاك في فضلها, وطلب مزكيا لها, فهو أكمل الخلق, نبيهم صلى الله عليه وسلم، فلهذا قال تعالى: { وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا }

ومن شهادة هذه الأمة على غيرهم, أنه إذا كان يوم القيامة, وسأل الله المرسلين عن تبليغهم, والأمم المكذبة عن ذلك, وأنكروا أن الأنبياء بلغتهم، استشهدت الأنبياء بهذه الأمة, وزكاها نبيها.

وفي الآية دليل على أن إجماع هذه الأمة, حجة قاطعة, وأنهم معصومون عن الخطأ, لإطلاق قوله: { وَسَطًا } فلو قدر اتفاقهم على الخطأ, لم يكونوا وسطا, إلا في بعض الأمور, ولقوله: { ولتكونوا شهداء على الناس } يقتضي أنهم إذا شهدوا على حكم أن الله أحله أو حرمه أو أوجبه، فإنها معصومة في ذلك. وفيها اشتراط العدالة في الحكم, والشهادة, والفتيا, ونحو ذلك. »

وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ الأنعام: ١٥٣

Allah le très haut dit : (Et voilà Mon chemin dans toute sa rectitude, suivez-le donc; et ne suivez pas les sentiers qui vous écartent de Sa voie.» Voilà ce qu'Il vous enjoint. Ainsi atteindrez-vous la piété)

---

[١٣٧] الإِصْر : العهد المؤكَّد .

وفي التنزيل العزيز : آل عمران آية ٨١ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذلِكُمْ إِصْرِي)) .

و الإِصْر الثِّقْل ، وفي التنزيل العزيز : البقرة آية ٢٨٦ رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا)) .

المعجم: المعجم الوسيط

قال **ابن كثير** في تفسير الآية : «

قال علي بن أبي طلحة ، عن **ابن عباس** قوله : (فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقوله (أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) [الشورى : ١٣] ، ونحو هذا في القرآن ، قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله ونحو هذا . قاله مجاهد ، وغير واحد .

وقال **الإمام أحمد بن حنبل** : حدثنا الأسود بن عامر : شاذان ، حدثنا أبو بكر – هو ابن عياش – عن عاصم – هو ابن أبي النجود – عن أبي وائل ، عن عبد الله – هو **ابن مسعود** ، رضي الله عنه – قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ، ثم قال : " هذا سبيل الله مستقيما " وخط على يمينه وشماله ، ثم قال : " هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه " ثم قرأ : (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

وكذا رواه الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن أبي بكر بن عياش ، به . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وهكذا رواه أبو جعفر الرازي ، وورقاء وعمرو بن أبي قيس ، عن عاصم ، عن أبي وائل شقيق بن سلمة ، عن ابن مسعود به مرفوعا نحوه . وكذا رواه يزيد بن هارون ومسدد والنسائي ، عن يحيى بن حبيب بن عربي – وابن حبان ، من حديث ابن وهب – أربعتهم عن حماد بن زيد ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود ، به . وكذا رواه ابن جرير ، عن المثنى ، عن الحماني ، عن حماد بن زيد ، به . ورواه الحاكم عن أبي بكر بن إسحاق ، عن إسماعيل بن إسحاق القاضي ، عن سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، به كذلك . وقال : صحيح ولم يخرجاه . وقد روى هذا الحديث النسائي والحاكم ، من حديث أحمد بن عبد الله بن يونس ، عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله بن مسعود . به مرفوعا . وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث يحيى الحماني ، عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن زر ، به . فقد صححه الحاكم كما رأيت من الطريقين ، ولعل هذا الحديث عند عاصم بن أبي النجود ، عن زر ، وعن أبي وائل شقيق بن سلمة كلاهما عن ابن مسعود ، به ، والله أعلم .

قال الحاكم: وشاهد هذا الحديث حديث الشعبي عن جابر ، من وجه غير معتمد .

يشير إلى الحديث الذي قال الإمام أحمد ، وعبد بن حميد جميعا – واللفظ لأحمد – حدثنا عبد الله بن محمد – وهو أبو بكر بن أبي شيبة – أنبأنا أبو خالد الأحمر ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن **جابر** قال : كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فخط خطا هكذا أمامه ، فقال : " هذا سبيل الله " وخطين عن يمينه ، وخطين عن شماله ، وقال : " هذه سبيل الشيطان " ثم وضع يده في الخط الأوسط ، ثم تلا هذه الآية : (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) .

ورواه ابن ماجه في كتاب السنة من سننه ، والبزار عن أبي سعيد بن عبد الله بن سعيد ، عن أبي خالد الأحمر ، به .

قلت : ورواه الحافظ ابن مردويه من طريقين ، عن أبي سعيد الكندي ، حدثنا أبو خالد ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن **جابر** قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ، وخط عن يمينه خطا ، وخط عن يساره خطا ، ووضع يده على الخط الأوسط وتلا هذه الآية : (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه) .

ولكن العمدة على حديث ابن مسعود ، مع ما فيه من الاختلاف إن كان مؤثرا ، وقد روي موقوفا عليه .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبان; أن رجلا قال **لابن مسعود** : ما الصراط المستقيم؟ قال : تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه ، وطرفه في الجنة ، وعن يمينه جواد ، وعن يساره جواد ، وثم رجال يدعون من مر بهم . فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة . ثم قرأ ابن مسعود: (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) الآية.

وقال ابن مردويه : حدثنا أبو عمرو ، حدثنا محمد بن عبد الوهاب ، حدثنا آدم ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، حدثنا أبان بن عياش ، عن مسلم بن أبي عمران ، عن عبد الله بن عمر : سأل **عبد الله** عن الصراط المستقيم ، فقال له **ابن مسعود** : تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه ، وطرفه في الجنة ، وذكر تمام الحديث كما تقدم ، والله أعلم .

وقد روي من حديث **النواس بن سمعان** نحوه ، قال **الإمام أحمد** : حدثنا الحسن بن سوار أبو العلاء ، حدثنا ليث – يعني ابن سعد – عن معاوية بن صالح ; أن عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه ، عن أبيه ، عن **النواس بن سمعان** ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعن جنبتي الصراط سوران ، فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : أيها الناس ، ادخلوا الصراط المستقيم جميعا ، ولا تتفرجوا ، وداع يدعو من جوف الصراط ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك . لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه تلجه ، فالصراط الإسلام ، والسوران حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله ، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله ، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم " .

ورواه الترمذي والنسائي ، عن علي بن حجر – زاد النسائي – وعمرو بن عثمان ، كلاهما عن بقية بن الوليد ، عن بحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نفير ، عن النواس بن سمعان ، به . وقال الترمذي : حسن غريب .

وقوله : (فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) إنما وحد سبحانه سبيله لأن الحق واحد; ولهذا جمع [السبل] لتفرقها وتشعبها ، كما قال تعالى : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) [البقرة : ٢٥٧] .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا سفيان بن حسين ، عن الزهري ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن **عبادة بن الصامت** قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أيكم يبايعني على هذه الآيات الثلاث؟ " ثم تلا (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) حتى فرغ من ثلاث الآيات ، ثم قال : " ومن وفى بهن ، أجره على الله ، ومن انتقص منهن شيئا أدركه الله في الدنيا كانت عقوبته ، ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء أخذه ، وإن شاء عفا عنه " ».

حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال : (كنَّا عندَ النَّبيِّ ﷺ فخَطَّ خطًّا ، وخطَّ خطَّينِ عن يمينِهِ ، وخَطَّ خطَّينِ عن يسارِهِ ، ثمَّ وضعَ يدَهُ في الخطِّ الأوسَطِ ، فقالَ: هذا سبيلُ اللهَّ ثمَّ تلا هذِهِ الآيَةَ: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)) (صحيح ابن ماجه. رقمه ١١. قال الألباني :صحيح).

قال بعض السلف: ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وتقصير وإما إلى مجاوزة وغلو ولا يبالي بأيهما ظفر[١٣٨].

وسطية أهل السنة في جميع أبواب العقائد

[١٣٨] إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان . (ص : ١/ ١١٦). الباب الثالث عشر: في مكايد الشيطان التي يكيد بها ابن آدم

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن أهل السنة في العقيدة الواسطية: «بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم،

فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة،

وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية وغيرهم،

وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم،

وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية،

وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرافضة والخوارج».

ومن هنا كان هذا المختصر[١٣٩] مقسماً على مباحث:

١. المبحث الأول: وسطية أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته.
٢. المبحث الثاني: وسطية أهل السنة في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد.
٣. المبحث الثالث: وسطية أهل السنة في باب القدر.
٤. المبحث الرابع: وسطيتهم في باب الصحابة رضوان الله عليهم.
٥. المبحث الخامس: وسطية أهل السنة في باب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم.
٦. المبحث السادس: في بيان وسطيتهم في باب تعظيم الصالحين.

وشرح هذه المسائل من كتاب : **التنبيهات السَّنية على العقيدة الواسطية**; عبد العزيز الرشيد. (ص ١٧٥-١٩٤).

[١٣٩] انظر : **وسطية أهل السنة بين الفرق**; محمد باعبد الله. ، واختصاره للشيخ الظفيري الذي أسماه : « مختصر في بيان وسطية أهل السنة الجماعة بين الفرق ».

القاعدة التاسعة عشرة: أهل السنة لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر

قال المؤلف – رحمه الله – :

[١٩]-أهل السنة والجماعة وسط بين الخوارج الذين يكفرون بكبائر الذنوب، وبين المرجئة الذين يقولون إنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

ومعنى وسطية أهل السنة بين هاتين الفرقتين أن أهل السنة يقولون في صاحب الكبيرة فاسق بكبيرته، ومؤمن بِما معه من الإيمان، ومن مات مصرًّا[١٤٠] على الكبيرة فهو تحت المشيئة - إن شاء الله - عذبه في النار بقدر ما جنى وأدخله الجنة وإن شاء عفا عنه فلم يعاقبه بالنار أبدًا.

Règle 19 : « les gens de la Sounnah et du consensus » ne rendent pas mécréant par les péchés.

[19] – Les gens de la Sounnah et du consensus se situe entre les « Kharijites » qui anathématisent [les musulmans] par les grands péchées et les « Mourjites » qui disent que « les péchées n'affecte [affaiblissent] pas la foi، tout comme l'obéissance n'est pas profitable avec la mécréance ».

La signification chez les gens de la Sounnah du « juste milieu » entre ces deux sectes، veux dire que les gens de la Sounnah disent que « le pécheur majeur est (fassiq) à cause de ces péchés، tout en étant croyant pour ce qu'il a avec lui comme croyance. Quant à celui qui meure en perdurant sur ces péchés se retrouve sous la volonté d'Allah. Soit Il le punie en enfer jusqu'à ce qu'il purge sa peine، puis le fait entrer au paradis. Soit Il lui pardonne et le fait entrer directement au paradis sans punition en enfer».

العقيدة الواسطية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية – رحمه الله تعالى – :

---

[١٤٠] صر – إصرارا

١ – أصر على الأمر : ثبت عليه ولزمه « أصر على موقفه ، أصر على رأيه ». ٢ – أصر الفرس أذنه : سواها ونصبها للاستماع . ٣ – أصر السنبل : صار « صررا »، أي قصب . ٤ – أصرت الناقة : جف لبنها .

[المعجم: الرائد]

« [أهل السنة لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر]:

٢٤١- وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ، لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ، كَمَا تَفْعَلُهُ «الْخَوَارِجُ» ، بَلْ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي. ٢٤٢- كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي آيَةِ الْقِصَاصِ: {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ}[141] [البقرة: ١٧٨] . ٢٤٣- وَقَالَ سُبْحَانَه: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ • إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}[142] [الحجرات: ٩ - ١٠]

٢٤٤- وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ، كَمَا تَقُولُهُ «الْمُعْتَزِلَةُ» ، بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ. ٢٤٥- فِي مِثْلِ قَوْله تَعَالَى: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} [النساء: ٩٢] .

٢٤٦- وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ. ٢٤٧- كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} .

٢٤٨- وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ».

---

[141] قوله تعالى : (١٧٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٩) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. سورة البقرة.

Allah le très haut dit :(178) O les croyants! On vous a prescrit le talion au sujet des tués: homme libre pour homme libre, esclave pour esclave, femme pour femme. Mais celui à qui son frère aura pardonné en quelque façon doit faire face à une requête convenable et doit payer des dommages de bonne grâce. Ceci est un allègement de la part de votre Seigneur, et une miséricorde. Donc, quiconque après cela transgresse, aura un châtiment douloureux. (179) C'est dans le talion que vous aurez la préservation de la vie, ô vous doués d'intelligence, ainsi atteindrez-vous la piété.

[142] قوله تعلى : (٩) وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (١٠) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. سورة الحجرات.

Allah le très haut dit : (9) Et si deux groupes de croyants se combattent, faites la conciliation entre eux. Si l'un d'eux se rebelle contre l'autre, combattez le groupe qui se rebelle, jusqu'à ce qu'il se conforme à l'ordre d'Allah. Puis, s'il s'y conforme, réconciliez-les avec justice et soyez équitables car Allah aime les équitables. (10) Les croyants ne sont que des frères. Etablissez la concorde entre vos frères, et craignez Allah, afin qu'on vous fasse miséricorde.

٢٤٩- وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ؛ فَلَا يُعْطَى الِاسْمُ الْمُطْلَقُ، وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقُ الِاسْمِ.. »[١٤٣]

وشرح هذه المسائل من كتاب : **التنبيهات السَّنية على العقيدة الواسطية**; عبد العزيز الرشيد. (ص ٢٦٢-٢٧٢)

الفرق بين الأمر المطلق ومطلق الأمر

يقول القرافي – رحمه الله تعالى – : « (الْفَرْقُ الْخَامِسَ عَشَرَ بَيْنَ قَاعِدَةِ الْأَمْرِ الْمُطْلَقِ وَقَاعِدَةِ مُطْلَقِ الْأَمْرِ وَكَذَلِكَ الْحَرَجِ الْمُطْلَقِ وَمُطْلَقِ الْحَرَجِ وَالْعِلْمِ الْمُطْلَقِ وَمُطْلَقِ الْعِلْمِ وَالْبَيْعِ الْمُطْلَقِ وَمُطْلَقِ الْبَيْعِ وَجَمِيعِ هَذِهِ النَّظَائِرِ مِنْ هَذِهِ الْمَادَّةِ فَالْقَاعِدَتَانِ مُفْتَرِقَتَانِ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّظَائِرِ)

وَتَقْرِيرُهُ أَنْ نَقُولَ:

إذَا قُلْنَا: الْبَيْعُ الْمُطْلَقُ فَقَدْ أَدْخَلْنَا الْأَلِفَ وَاللَّامَ عَلَى الْبَيْعِ فَحَصَلَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْعُمُومُ الشَّامِلُ لِجَمِيعِ أَفْرَادِ الْبَيْعِ بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ بَيْعٌ إلَّا دَخَلَ فِيهِ ثُمَّ وَصَفْنَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْإِطْلَاقِ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَمْ يُقَيَّدْ بِقَيْدٍ يُوجِبُ تَخْصِيصَهُ مِنْ شَرْطٍ أَوْ صِفَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ اللَّوَاحِقِ لِلْعُمُومِ مِمَّا يُوجِبُ تَخْصِيصَهُ فَيَبْقَى عَلَى عُمُومِهِ فَيَتَحَصَّلُ أَنَّ الْبَيْعَ الْمُطْلَقَ لَمْ يَدْخُلْهُ تَخْصِيصٌ مَعَ عُمُومٍ فِي نَفْسِهِ

أَمَّا إذَا قُلْنَا: مُطْلَقُ الْبَيْعِ فَقَدْ أَشَرْنَا بِقَوْلِنَا مُطْلَقُ إلَى الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ بَيْنَ أَنْوَاعِ جَمِيعِ الْبِيَاعَاتِ وَهُوَ مُسَمَّى الْبَيْعِ الَّذِي يَصْدُقُ بِفَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِهِ ثُمَّ أُضِيفَ هَذَا الْمُطْلَقُ الْمُشَارُ إلَيْهِ إلَى الْبَيْعِ لِيَتَمَيَّزَ عَنْ مُطْلَقِ الْحَيَوَانِ وَمُطْلَقِ الْأَمْرِ وَمُطْلَقِ غَيْرِهِ وَمُطْلَقَاتِ جَمِيعِ الْحَقَائِقِ فَأَضَفْنَاهُ لِلتَّمْيِيزِ فَقَطْ وَهُوَ الْمُشْتَرَكُ خَاصَّةً الَّذِي يَصْدُقُ بِفَرْدٍ وَاحِدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْبَيْعِ

فَظَهَرَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْبَيْعِ الْمُطْلَقِ وَمُطْلَقِ الْبَيْعِ وَبِهِ يَصْدُقُ قَوْلُنَا إنَّ مُطْلَقَ الْبَيْعِ حَلَالٌ إجْمَاعًا وَالْبَيْعُ الْمُطْلَقُ لَمْ يَثْبُتْ فِيهِ الْحِلُّ بِالْإِجْمَاعِ بَلْ بَعْضُ الْبِيَاعَاتِ حَرَامٌ إجْمَاعًا وَيَصْدُقُ أَنَّ زَيْدًا حَصَلَ لَهُ مُطْلَقُ الْمَالِ وَلَوْ بِفَلْسٍ وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ الْمَالُ الْمُطْلَقُ وَهُوَ

[١٤٣] **العقيدة الواسطية**; أحمد ابن تيمية. (ص)

جَمِيعُ مَا يُتَمَوَّلُ مِنْ الْأَمْوَالِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا وَكَذَلِكَ مُطْلَقُ النَّعِيمِ وَالنَّعِيمُ الْمُطْلَقُ فَالْأَوَّلُ حَاصِلٌ دُونَ الثَّانِي وَيُعْلَمُ بِذَلِكَ الْفَرْقُ فِي بَقِيَّةِ النَّظَائِرِ. »[١٤٤]

ويقول الإمام ابن قيم الجوزية – رحمه الله تعالى – :

« الأمر المطلق والجرح المطلق والعلم المطلق والترتيب المطلق والبيع المطلق والماء المطلق والملك المطلق غير مطلق الأمر والجرح والعلم إلى آخرها والفرق بينهما من وجوه:

أحدها: أن الأمر المطلق لا ينقسم إلى أمر الندب وغيره فلا يكون موردا للتقسيم ومطلق الأمر ينقسم إلى أمر إيجاب وأمر ندب فمطلق الأمر ينقسم والأمر المطلق غير منقسم.

الثاني: أن الأمر المطلق فرد من أفراد مطلق الأمر ولا ينعكس.

الثالث: أن نفي مطلق الأمر يستلزم نفي الأمر المطلق دون العكس.

الرابع: أن ثبوت مطلق الأمر لا يستلزم ثبوت الأمر المطلق دون العكس.

الخامس: أن الأمر المطلق نوع لمطلق الأمر ومطلق الأمر جنس للأمر المطلق.

السادس: أن الأمر المطلق مقيد بالإطلاق لفظا مجرد عن التقييد معنى ومطلق الأمر مجرد عن التقييد لفظا مستعمل في المقيد وغيره معنى.

السابع: أن الأمر المطلق لا يصلح للمقيد ومطلق الأمر يصلح للمطلق والمقيد.

الثامن: أن الأمر المطلق هو المقيد بقيد الإطلاق فهو متضمن للإطلاق والتقييد ومطلق الأمر غير مقيد وإن كان بعض أفراده مقيدا.

التاسع: أن من بعض أمثلة هذه القاعدة الإيمان المطلق ومطلق الإيمان فالإيمان المطلق لا يطلق إلا على الكامل الكمال المأمور به ومطلق الإيمان يطلق على الناقص والكامل ولهذا نفى النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان المطلق عن الزاني وشارب الخمر والسارق ولم ينف عنه مطلق الإيمان لئلا يدخل في قوله: {وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} ولا في قوله: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} ولا في قوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} إلى آخر الآيات ويدخل في قوله: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ

[١٤٤]. أنوار البروق في أنواء الفروق; أحمد القرافي. (ص ١/ ١٢٦-١٢٧).

مُؤْمِنَةٍ} وفي قوله: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا} وفي قوله: "لا يقتل مؤمن بكافر " وأمثال ذلك. فلهذا كان قوله تعالى: {قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا} نفيا للإيمان المطلق لا لمطلق الإيمان لوجوه:

منها أنه أمرهم أو أذن لهم أن يقولوا أسلمنا والمنافق لا يقال له ذلك.

ومنها أنه قال: {قَالَتِ الأَعْرَابُ} ولم يقل قال المنافقون.

ومنها أن هؤلاء الجفاة الذين نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات ورفعوا أصواتهم فوق صوته غلظة منهم وجفاء لا نفاقا وكفرا.

ومنها أنه قال {وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} ولم ينف دخول الإسلام في قلوبهم ولو كانوا منافقين لنفى عنهم الإسلام كما نفى الإيمان.

ومنها أن الله تعالى قال: {وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَّ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً} أي لا ينقصكم والمنافق لا طاعة له.

ومنها أنه قال: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ} فأثبت لهم إسلامهم ونهاهم أن يمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن إسلاما صحيحا لقال لم تسلموا بل أنتم كاذبون كما كذبهم في قولهم: {نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهَِّ} لما لم تطابق شهادتهم اعتقادهم.

ومنها أنه قال: {بَلِ اللهَُّ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ} ولو كانوا منافقين لما من عليهم.

ومنها أنه قال: {أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ} ولا ينافي هذا قوله: {قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا} فإنه نفى الإيمان المطلق ومن عليهم بهدايتهم إلى الإسلام الذي هو متضمن لمطلق الإيمان.

ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قسم القسم قال له سعد: أعطيت فلانا وتركت فلانا وهو مؤمن فقال: "أو مسلم ثلاث مرات" وأثبت له الإسلام دون الإيمان.

وفي الآية أسرار بديعة ليس هذا موضعها والمقصود الفرق بين الإيمان المطلق ومطلق الإيمان؛ فالإيمان المطلق يمنع دخول النار ومطلق الإيمان يمنع الخلود فيها.

العاشر: إنك إذا قلت الأمر المطلق فقد أدخلت اللام على الأمر وهي تفيد العموم والشمول ثم وصفته بعد ذلك بالإطلاق بمعنى أنه لم يقيد بقيد يوجب تخصيصه من شرط أو صفة وغيرهما فهو عام في كل فرد من الأفراد التي هذا شأنها وأما مطلق الأمر فالأضافه فيه ليست للعموم بل للتمييز فهو قدر مشترك مطلق لا عام فيصدق بفرد من أفراده وعلى هذا فمطلق البيع جائز والبيع المطلق ينقسم إلى جائز وغيره والأمر المطلق للوجوب ومطلق الأمر ينقسم إلى الواجب والمندوب والماء المطلق طهور ومطلق الماء ينقسم إلى طهور وغيره والملك المطلق هو الذي يثبت للحر ومطلق الملك يثبت للعبد.

فإذا قيل العبد هل يملك أم لا يملك؟ كان الصواب إثبات مطلق الملك له دون الملك المطلق.

وإذا قيل هل الفاسق مؤمن أم غير مؤمن؟ فهو على هذا التفصيل والله تعالى أعلم.

فبهذا التحقيق يزول الإشكال في مسألة المندوب هل هو مأمور به أم لا؟ وفي مسألة الفاسق هل هو مؤمن أم لا. »[١٤٥]

ترجمة بعض المصطلحات

المكر : stratagème

القيد : qualificatif

الإيمان المطلق : la foi absolue

مطلق الإيمان : le concept absolue de la foi

[١٤٥] **بدائع الفوائد**; محمد الجوزية. (ص ٤/ ١٦).

القاعدة العشرون: الردّ على المخالف جهادٌ لحفظ الدين

قال المؤلف – رحمه الله – :

[٢٠]- الرد على المخالف من القواعد التي قامت وتقوم عليها الدعوة السلفية، وبالأخص الرد على أهل البدع، كما قال ابن القيم - رحمه الله - في "مدارج السالكين" (٣٧٢/١) ما نصه :

"واشتد نكير السلف والأئمة لها - البدعة - وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا من فتنتهم أشد التحذير، بالغوا في ذلك ما لَم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان، إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتُها له أشد " . اهـ .

قلت : ولشدة ضررها فإن الرد على أهلها باب عظيم من أبواب الجهاد، وموقع مهم سدُه من أفضل الجهاد في سبيل الله.

قال بن تيمية - رحمه الله - "الفتاوي (٤/١٣) " : " فالراد على أهل البدع مجاهد، حتى كان يحي بن يحي يقول : الذب عن السنة أفضل من الجهاد ... " اهـ .

وأما كيفية الرد فإنه يكون بمجادلتهم بالنصوص، وبيان وجه الاستدلال ليتضح الأمر وتنقطع الشبهة ويزول الضرر عن الناس لا سيما من قل نصيبهم من العلم. وهذا الصنيع يعتبر جهاداً بالقلم واللسان.

Règle 20 : Réfuter le discordant est un combat pour préserver la religion.

[20]- Réfuter le discordant fait partie des règles sur laquelle se base la « dawa » Salafiya.

Surtout، la réfutation des innovateurs، tel que le cite ibn elQayim [qu'Allah lui fasse miséricorde] dans son livre « le sentier des itinérants » : « Les pieux prédécesseurs et les savants ont dénié fortement l'innovation، et ont dénoncé fortement leurs adeptes de par le monde، et mirent en garde fortement contre ces tentations. Ils exagéraient sur ce point comme ils ne le firent pas avec l'immoralité، l'injustice et les agressions. Car la nocivité de l'innovation sur la religion، sa destruction ainsi que sont anéantissement en est plus grand ». Fin de citation.

Je dis : Et à cause de la grande nocivité de l'innovation sur la religion، la réfutation de ces adeptes est une grande porte parmi celle du Jihad، et une position importante dont le fait de remplir ce rôle est l'un des meilleurs combats dans le sentier d'Allah.

Ibn Taymiyya [qu'Allah lui fasse miséricorde] a dit dans les « fatawa » : « Celui qui réfute les innovateurs est un combattant، au point même ou Yahya ibn Yahya disait : défendre la Sounnah est meilleurs que le combat. ». Fin de citation.

Quant à la manière de le faire، cela se réalise en débattant avec les textes، et en établissant les démonstrations afin d'éclaircir la situation et de dissiper l'ambiguïté، et de faire disparaitre le mal auprès de gens، et notamment les gens de peu de science. Et cela correspond au combat par la plume et la langue.

راجع المحاضرة الموسومة بـ أهمِّيَةُ الرَّدِّ علَى المخالفِ، وبيانُ جُمْلَةٍ مِنْ ثَمارِهِ.

للشيخ عبدالله بن عبدالرحيم البخاري.

القاعدة الحادية والعشرون: وجوب سلوك منهاج النبوة في الدعوة إلى الله

قال المؤلف – رحمه الله –:

[٢١]- كل دعوة عند أتباع السلف باسم الإسلام وشريعة خير الأنام لَم تكن على منهاج النبوة لا تقبل، ولا تثمر؛ لأنَّها لا نصيب لها من النجاح الحقيقي مهما نظمت لها من الدعايات وروج لها في المجتمعات.

Règle 21 : L'obligation de se conformer à la voie prophétique dans l'appel à Allah.

[21] – Pour les pieux prédécesseurs، toute « dawa » (appel) au nom de l'Islam et de la législation de la meilleur créature، mais qui n'est pas en conformité avec la voie de la prophétie seras rejeté, et ne donneras pas de fruit, car elle ne réussira pas réellement، quel que soit les slogans qui lui seront attitrés et la publicité qui lui aura été faite auprès des gens.

وذلك لأن الاجتماع على الحق من خصائص المؤمنين ، و أمَّا الافتراق عنه فهو من صفات المشركين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ الروم: ٣٠ - ٣٢

Allah le très haut dit : (30) Dirige tout ton être vers la religion exclusivement [pour Allah], telle est la nature qu'Allah a originellement donnée aux hommes - pas de changement à la création d'Allah -. Voilà la religion de droiture; mais la plupart des gens ne savent pas. (٣١) Revenez repentants vers Lui; craignez-Le, accomplissez la Salât et ne soyez pas parmi les associateurs, (32) parmi ceux qui ont divisé leur religion et sont devenus des sectes, chaque parti exultant de ce qu'il détenait.»

قال الإمام **السعدي** في تفسير هذه الآية : « ذكر حالة المشركين مهجنا لها ومقبحا فقال: { **مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ** } مع أن الدين واحد وهو إخلاص العبادة للّه وحده وهؤلاء المشركون فرقوه، منهم من يعبد الأوثان والأصنام. ومنهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين ومنهم يهود ومنهم نصارى.

ولهذا قال: { وَكَانُوا شِيَعًا } أي: كل فرقة من فرق الشرك تألفت وتعصبت على نصر ما معها من الباطل ومنابذة غيرهم ومحاربتهم.

{ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ } من العلوم المخالفة لعلوم الرسل { فَرِحُونَ } به يحكمون لأنفسهم بأنه الحق وأن غيرهم على باطل، وفي هذا تحذير للمسلمين من تشتتهم وتفرقهم فرقا كل فريق يتعصب لما معه من حق وباطل، فيكونون مشابهين بذلك للمشركين في التفرق بل الدين واحد والرسول واحد والإله واحد.

وأكثر الأمور الدينية وقع فيها الإجماع بين العلماء والأئمة، والأخوة الإيمانية قد عقدها اللّه وربطها أتم ربط، فما بال ذلك كله يُلْغَى ويُبْنَى التفرق والشقاق بين المسلمين على مسائل خفية أو فروع خلافية يضلل بها بعضهم بعضا، ويتميز بها بعضهم عن بعض؟

فهل هذا إلا من أكبر نزغات الشيطان وأعظم مقاصده التي كاد بها للمسلمين؟

وهل السعي في جمع كلمتهم وإزالة ما بينهم من الشقاق المبني على ذلك الأصل الباطل، إلا من أفضل الجهاد في سبيل اللّه وأفضل الأعمال المقربة إلى اللّه؟ ».

وفي معرض بيان خصائص منهاج النبوة يقول الشيخ محمد سعيد رسلان : « من خصائص منهاجِ النُّبُوَّةِ؛ دعوةُ الناس إلى الجماعة والأُلفةِ، ونبذُ الاختلافِ والفُرقةِ بين أهلِ التَّوحيدِ والسُّنَّةِ. وهذا ظاهرٌ في أشهر أسمائهم وأحَبِّها إليهم، فهم أهلُ السُّنَّة والجماعةِ.»[146]

فمن أدلة الكتاب على هذه القاعدة

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ آل عمران: ١٠٣

Allah le très haut dit : «(103) Et cramponnez-vous tous ensemble au «Habl» (câble) d'Allah et ne soyez pas divisés; et rappelez-vous le bienfait d'Allah sur vous: lorsque vous étiez ennemis, c'est Lui qui réconcilia vos cœurs. Puis, par Son bienfait, vous êtes devenus frères. Et alors que vous étiez au bord d'un abîme de Feu, c'est Lui qui vous en a sauvés. Ainsi Allah vous montre Ses signes afin que vous soyez bien guidés ».

قال **الإمام السعدي** في تفسير هذه الآية : « ثم أمرهم تعالى بما يعينهم على التقوى وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام.

ثم ذكرهم تعالى نعمته وأمرهم بذكرها فقال: { واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء } يقتل بعضكم بعضا، ويأخذ بعضكم مال بعض، حتى إن القبيلة يعادي بعضهم بعضا، وأهل البلد الواحد يقع بينهم التعادي والاقتتال، وكانوا في شر عظيم، وهذه حالة العرب قبل بعثة النبي ﷺ فلما بعثه الله وآمنوا به واجتمعوا على الإسلام وتآلفت قلوبهم على الإيمان كانوا كالشخص الواحد، من تآلف قلوبهم وموالاة بعضهم لبعض، ولهذا قال: { فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار } أي: قد استحقيتم النار ولم يبق بينكم وبينها إلا أن تموتوا فتدخلوها { فأنقذكم منها } بما مَنَّ عليكم من الإيمان بمحمد ﷺ . { كذلك يبين الله لكم آياته } أي: يوضحها ويفسرها، ويبين لكم الحق من الباطل، والهدى من الضلال { لعلكم تهتدون } بمعرفة الحق والعمل به، وفي هذه الآية ما يدل أن الله يحب من عباده أن يذكروا نعمته بقلوبهم وألسنتهم ليزدادوا شكرا له ومحبة، وليزيدهم من فضله وإحسانه، وإن من أعظم ما يذكر من نعمه نعمة الهداية إلى الإسلام، واتباع الرسول ﷺ واجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقها. »

[146] **دعائم منهاج النبوة؛** محمد رسلان. ص (٧٦).

قال **البغوي** في تفسير هذه الآية : «

قوله عز وجل : (واعتصموا بحبل الله جميعا) الحبل : السبب الذي [يتوصل] به إلى البغية وسمي الإيمان حبلا لأنه سبب يتوصل به إلى زوال الخوف.

واختلفوا في معناه هاهنا ، قال **ابن عباس** : معناه تمسكوا بدين الله ، وقال **ابن مسعود** : هو الجماعة ، وقال : عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر الله به ، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة . وقال **مجاهد وعطاء** : بعهد الله ، وقال **قتادة والسدي** : هو القرآن ، وروي عن **ابن مسعود** عن النبي ﷺ قال : " إن هذا القرآن هو حبل الله وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، وعصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه " وقال **مقاتل بن حيان** : بحبل الله : أي بأمر الله وطاعته،

(ولا تفرقوا) كما [افترقت] اليهود والنصارى ، أخبرنا أبو الحسن السرخسي ، أنا زاهر بن أحمد ، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي ، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن **أبي هريرة** ﷺ عنه أن رسول الله ﷺ قال : " إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثا ، ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا وأن تناصحوا من ولى الله أمركم ، ويسخط لكم : قيل وقال ، وإضاعة المال وكثرة السؤال " .

قوله تعالى : (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم) قال **محمد بن إسحاق بن يسار** وغيره من أهل الأخبار : كانت الأوس والخزرج أخوين لأب وأم فوقعت بينهما عداوة بسبب قتيل ، فتطاولت تلك العداوة والحرب بينهم عشرين ومائة سنة إلى أن أطفأ الله عز وجل ذلك بالإسلام وألف [بينهم] برسوله محمد ﷺ.

[ثم ذكر البغوي قصة دخول يثرب في الإسلام كاملة. إلى أن قال :]

قال الله تعالى : (واذكروا نعمة الله عليكم) يا معشر الأنصار (إذ كنتم أعداء) قبل الإسلام (فألف بين قلوبكم) بالإسلام ، (فأصبحتم) أي فصرتم ، (بنعمته) برحمته وبدينه الإسلام ، (إخوانا) في الدين والولاية بينكم (وكنتم) يا معشر الأوس والخزرج (على شفا حفرة من النار) أي على طرف حفرة مثل شفا البئر معناه : كنتم على طرف حفرة من النار ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا على كفركم ، (فأنقذكم) الله (منها) بالإيمان ، (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) . »

و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ آل عمران: ١٠٥ – ١٠٧.

Allah le très haut dit : (105) Et ne soyez pas comme ceux qui se sont divisés et se sont mis à disputer, après que les preuves leur furent venues, et ceux-là auront un énorme châtiment. (١٠٦) Au jour où certains visages s'éclaireront, et que d'autres s'assombriront. A ceux dont les visages seront assombris (il sera dit): «avez-vous mécru après avoir eu la foi?» Eh bien, goûtez au châtiment, pour avoir renié la foi. (107) Et quant à ceux dont les visages s'éclaireront, ils seront dans la miséricorde d'Allah, où ils demeureront éternellement ».

قال **ابن جرير الطبري** في تفسير هذه الآية : « يعني بذلك جل ثناؤه: " ولا تكونوا "، يا معشر الذين آمنوا ="كالذين تفرقوا " من أهل الكتاب=" واختلفوا " في دين الله وأمره ونهيه =" من بعد ما جاءهم البينات "، من حجج الله، فيما اختلفوا فيه، وعلموا الحق فيه فتعمدوا خلافه، وخالفوا أمرَ الله، ونقضوا عهده وميثاقه جراءة على الله=" وأولئك لهم "، يعني: ولهؤلاء الذين تفرقوا، واختلفوا من أهل الكتاب من بعد ما جاءهم =" عذاب " من عند الله=" عظيم ".
يقول جل ثناؤه: فلا تتفرقوا، يا معشر المؤمنين، في دينكم تفرُّق هؤلاء في دينهم، ولا تفعلوا فعلهم، وتستنوا في دينكم بسنتهم، فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم ».

قال **البغوي** في تفسير هذه الآية : «

قوله تعالى : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) قال أكثر المفسرين : هم اليهود والنصارى ، وقال بعضهم : المبتدعة من هذه الأمة ، وقال **أبو أمامة** ﷺ هم الحرورية بالشام .

قال **عبد الله بن شداد** : وقف أبو أمامة وأنا معه على رأس الحرورية بالشام فقال : هم كلاب النار ، كانوا مؤمنين فكفروا بعد إيمانهم ثم قرأ (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) إلى قوله تعالى (أكفرتم بعد إيمانكم)

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي ، أنا أبو الحسن بن بشران ، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار ، حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن عبد الملك بن عمير ، عن **عبد الله بن الزبير** ، أن **عمر بن الخطاب** ﷺ قال : إن رسول الله ﷺ قال : " من سره بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فإن الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد " . ».

وأمّا قوله تعالى : قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ آل عمران: ١٠٦

فقد قال البغوي في تفسير هذه الآية : « يريد : تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل : تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين .

وعن **سعيد بن جبير** عن **ابن عباس** ﷺ أنه قرأ هذه الآية قال تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة .

قال **أهل المعاني** : ابيضاض الوجوه : إشراقها واستبشارها وسرورها بعملها وبثواب الله ، واسودادها : حزنها وكآبتها وكسوفها بعملها وبعذاب الله».

ومن أدلة السنَّة على هذه القاعدة

قوله ﷺ : « إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ »[١٤٧].

قال **النووي** في شرح هذا الحديث : « أَمَّا الِاعْتِصَامُ بِحَبْلِ اللَّهِ فَهُوَ التَّمَسُّكُ بِعَهْدِهِ وَهُوَ اتِّبَاعُ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَحُدُودِهِ وَالتَّأَدُّبِ بِأَدَبِهِ وَالْحَبْلُ يُطْلَقُ عَلَى الْعَهْدِ وَعَلَى الْأَمَانِ وَعَلَى الْوُصْلَةِ وَعَلَى السَّبَبِ وَأَصْلُهُ مِنَ اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ الْحَبْلَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ لِاسْتِمْسَاكِهِمْ بِالْحَبْلِ عِنْدَ شَدَائِدِ أُمُورِهِمْ وَيُوصِلُونَ بِهَا الْمُتَفَرِّقَ فَاسْتُعِيرَ اسْمُ الْحَبْلِ لِهَذِهِ الْأُمُورِ وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا تَفَرَّقُوا فَهُوَ أَمْرٌ بِلُزُومِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَتَأَلُّفِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ وَهَذِهِ **إِحْدَى قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ** »[١٤٨].

---

[١٤٧] رواه مسلم في صحيحه برقم ١٧١٥.

[١٤٨] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. (بَاب النَّهْيِ عَنْ كَثْرَةِ الْمَسَائِلِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ وَالنَّهْيِ عَنْ مَنْعٍ وَهَاتِ (وَهُوَ الِامْتِنَاعُ مِنْ أداء حق لزمه أو طلب مالا يستحقه). ج١٢ ص ١٠.

القاعدة الثانية والعشرون: من العناية بمصدر التلقي، حسن اختيار المعلم والكتب.

قال المؤلف – رحمه الله – :

٢٢- اختيار الكتاب والمعلم من منهج أتباع السلف.

فتراهم يختارون في مكتباتِهم الخاصة كتب علماء السلف وأتباعهم لسلامتها من أنواع الانحراف العقدي والمنهجي.

وهكذا يختارون الأشياخ السلفيين لأخذ العلم عنهم؛ حرصاً منهم على سلامة المعتقد والمنهج الذي لا يوجد على وجه التمام إلا عندهم.

والواقع شاهد بذلك.

Règle 22 : Le choix des enseignants et des livres fait partie des soins porté aux sources de réception de la religion.

[22] – Le choix des livres et la sélection de l'enseignant fait partie de la méthodologie des suiveurs des pieux prédécesseurs.

Ils sélectionnent pour leur bibliothèque privée les livres des savants des pieux prédécesseurs et leurs adeptes، pour l'intégrité des types de déviance dogmatique et méthodologique.

Ils en font de même avec les enseignants، ils choisissent les savants Salafi afin d'acquérir la science auprès d'eux، dans un souci de sécurité de leur croyance et leur méthodologie، chose qui ne se trouve complète uniquement chez eux.

Et la réalité en est témoin.

مراجع مفيدة في هذا الباب

- كتاب شرح قول ابن سيرين : إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم
- مقدمة صحيح مسلم.
- حلية طالب العلم. الفصل الثالث : أدب طالب العلم مع شيخه. التلقي عن المبتدع.

مقدمة

وهذه القاعدة متفرعة عن القاعدة الثانية ، قاعدة الاهتمام بمصدر التلقي.

قال الشيخ **أحمد السبيعي**[149] – حفظه الله – : « إن الله تعالى قد حصر في مسائل الدين الحق في القرآن والسنة، وجعل الكتاب والسنة كفيلين ببيان ما يحتاج إليه الناس في دينهم، والأدلة على ذلك في الكتاب والسنة كثيرة جدا، أقتصر منها على قوله ـ ﷺ ـ:'تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا :كتاب الله وسنتي' وهنا سؤال مهم وهو :هل هذا الحديث وأمثاله موجه للعلماء فقط؟ أو لطبقة خاصة من الناس؟ ـ كما يقول مقلدو المذاهب والصوفية ـ أم أنه عام يشمل كل مسلم بحسبه من العلم؟ ـ كما هو الصحيح الذي تدل عليه ظواهر النصوص في عمومها وإطلاقها، وكما عليه أئمة السنة ـ رحمهم الله ـ

فكل من جعل مصدر تلقيه القرآن والسنة وهو متحر للحق من المعاني ؛ حسن القصد ؛ فلن يضل، وسيهتدي وسيكون البصيرة اللازمة له في دينه، والحقيقة المرة ـ التي لا بد منها في كثير من الأحيان ـ أن أكثر الناس لا يصلون إلى الكتاب والسنة إلا بوسائط المعلمين، فان كان هؤلاء المعلمون على السنة والحق والنصح في صلة الناس بالأحكام الصحيحة كانوا واسطة خير وحق وهدى، والعكس بالعكس، وهنا تأتي أهمية من نختار كمصادر توصلنا ـ وتوصلنا فقط ـ بالمصادر الأول التي هي حجة الله على خلقه، ونحمد الله الذي نوع الدلالات والأمارات على الحق والباطل، قال ـ ﷺ ـ :'بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء، الذين يصلحون ما افسد الناس من سنتي' »[150]

من مقدمة صحيح مسلم

قال **الإمام مسلم** في مقدمة صحيحه : «

١ - بَابُ وُجُوبِ الرِّوَايَةِ عَنِ الثِّقَاتِ، وَتَرْكِ الْكَذَّابِينَ

---

[149] تزكية الشيخ ربيع بن هادي المدخلي – حفظه الله تعالى – للشيخ أحمد السبيعي : جواب الشيخ ربيع – حفظه الله – على الدراسة على كل من المشايخ : طارق السبيعي و أحمد السبيعي و محمد العنجري و خالد ضحوي.
https://www.sahab.net/forums/index.php?app=forums&module=forums&controller=topic&id=117860

[150] كتبه أحمد بن حسين السبيعي الأربعاء ١٠ ذو القعدة ١٤٢٠ هـ ١٦/ ٢/ ٢٠٠٠ م. الكويت.
https://www.sahab.net/forums/index.php?app=forums&module=forums&controller=topic&id=102558

وَاعْلَمْ وَفَّقَكَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ عَرَفَ التَّمْيِيزَ بَيْنَ صَحِيحِ الرِّوَايَاتِ وَسَقِيمِهَا، وَثِقَاتِ النَّاقِلِينَ لَهَا مِنَ الْمُتَّهَمِينَ، أَنْ لَا يَرْوِيَ مِنْهَا إِلَّا مَا عَرَفَ صِحَّةَ مَخَارِجِهِ، وَالسِّتَارَةَ فِي نَاقِلِيهِ، وَأَنْ يَتَّقِيَ مِنْهَا مَا كَانَ مِنْهَا عَنْ أَهْلِ التُّهَمِ وَالْمُعَانِدِينَ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الَّذِي قُلْنَا مِنْ هَذَا هُوَ اللَّازِمُ دُونَ مَا خَالَفَهُ، قَوْلُ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: ٦]، وَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: {مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ} [البقرة: ٢٨٢]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ} [الطلاق: ٢]، فَدَلَّ بِمَا ذَكَرْنَا مِنْ هَذِهِ الْآيِ أَنَّ خَبَرَ الْفَاسِقِ سَاقِطٌ غَيْرُ مَقْبُولٍ، وَأَنَّ شَهَادَةَ غَيْرِ الْعَدْلِ مَرْدُودَةٌ، وَالْخَبَرُ وَإِنْ فَارَقَ مَعْنَاهُ مَعْنَى الشَّهَادَةِ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ، فَقَدْ يَجْتَمِعَانِ فِي أَعْظَمِ مَعَانِيهِمَا، إِذْ كَانَ خَبَرُ الْفَاسِقِ غَيْرَ مَقْبُولٍ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ كَمَا أَنَّ شَهَادَتَهُ مَرْدُودَةٌ عِنْدَ جَمِيعِهِمْ، وَدَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى نَفْيِ رِوَايَةِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْأَخْبَارِ كَنَحْوِ دَلَالَةِ الْقُرْآنِ عَلَى نَفْيِ خَبَرِ الْفَاسِقِ

وَهُوَ الْأَثَرُ الْمَشْهُورُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ». »

وقال « ٤ - بَابٌ فِي الضُّعَفَاءِ وَالْكَذَّابِينَ وَمَنْ يُرْغَبُ عَنْ حَدِيثِهِمْ

٦ - (٦) وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو هَانِئٍ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ**، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ» »

وقال « ٥ - بَابُ فِي أَنَّ الْإِسْنَادَ مِنَ الدِّينِ وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب وأنه ليس من الغيبة المحرمة بل من الذب عن الشريعة المكرمة

حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، وَهِشَامٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، وَحَدَّثَنَا فُضَيْلٌ، عَنْ هِشَامٍ قَالَ: وَحَدَّثَنَا مَخْلَدُ بْنُ حُسَيْنٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ **مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ**، قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»

حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ، عَنْ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ، عَنِ **ابْنِ سِيرِينَ**، قَالَ: " لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ، فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ "

حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ، عَنِ ابْنِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: " أَدْرَكْتُ بِالْمَدِينَةِ مِائَةً، كُلُّهُمْ مَأْمُونٌ، مَا يُؤْخَذُ عَنْهُمُ الْحَدِيثُ، يُقَالُ: لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ "

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، وحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلَّادٍ الْبَاهِلِيُّ - وَاللَّفْظُ لَهُ - قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، عَنْ مِسْعَرٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ: «لَا يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا الثِّقَاتُ»

» انتهى كلام الإمام مسلم رحمه الله تعالى.

بعض الفوائد المنتقاة من قول ابن سيرين

قال الشيخ **أحمد بازمول** – حفظه الله تعالى – في التعليق على قول ابن سيرين[151] : «

الموضوع السادس: ما تضمنه قول ابن سيرين رحمه الله تعالى من الفوائد والحكم، قول ابن سيرين رحمه الله تعالى تضمن عدة فوائد أجملها سريعا :

الفائدة الأولى: ما المقصود من العلم.

الفائدة الثانية: حرمة الكلام في مسائل العلم.

الفائدة الثالثة: وجوب الاختيار والانتقاء للمشائخ الذين يتلقى منهم العلم.

الفائدة الرابعة: التمييز بين المتصدرين للعلم.

الفائدة الخامسة: من الذي يؤخذ منه العلم.

الفائدة السادسة: من الذين لا يؤخذ منهم العلم.

---

[151] راجع : المحاضرة على الرابط الآتي : تفريغ لمحاضرة منهجية بعنوان شرح أثر ابن سيرين (إن هذا العلم دين) للشيخ أحمد بازمول.
https://www.sahab.net/forums/index.php?app=forums&module=forums&controller=topic&id=76951
وقد طبعت في كتاب مستقل لأهميتها، فراجعه.

الفائدة السابعة: يستوي في ذلك كله السماع والحضور والقراءة والصحبة وأي نوع من أنواع التلقي.

الفائدة الثامنة: كيف تعرف من يؤخذ منه العلم ومن لا يؤخذ منه العلم. ».

انتهى كلام الشيخ بازمول حفظه الله تعالى.

قال **الإمام ابن عبد البر** – رحمه الله تعالى –:

بَابُ حَالِ الْعِلْمِ إِذْ كَانَ عِنْدَ الْفُسَّاقِ وَالْأَرْذَالِ[152]

١٠٥٢ – حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ قَاسِمٍ، وَسَعِيدُ بْنُ نَصْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ، نا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ التِّرْمِذِيُّ، نا نُعَيْمٌ، نا ابْنُ الْمُبَارَكِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ بَكْرِ بْنِ سَوَادَةَ، عَنْ **أَبِي أُمَيَّةَ الْجُمَحِيِّ**، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ثَلَاثًا إِحْدَاهُنَّ أَنْ يُلْتَمَسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ»[153] قَالَ نُعَيْمٌ: قِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ: مَنِ الْأَصَاغِرُ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يَقُولُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَأَمَّا صَغِيرٌ يَرْوِي عَنْ كَبِيرٍ فَلَيْسَ بِصَغِيرٍ» وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْخَبَرِ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ كَانَ يَذْهَبُ بِالْأَصَاغِرِ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ وَلَا يَذْهَبُ إِلَى السِّنِّ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَهَذَا وَجْهٌ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَالَّذِي أَرَى أَنَا فِي الْأَصَاغِرِ أَنْ يُؤْخَذَ الْعِلْمُ عَمَّنْ كَانَ بَعْدَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَاكَ أَخْذُ الْعِلْمِ عَنِ الْأَصَاغِرِ.

١٠٥٣ – حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَحْيَى، نا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ، نا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، نا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَرْوَانَ، نا مُحَمَّدُ بْنُ مَكِّيٍّ، أنا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ **ابْنِ عَبَّاسٍ**، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ»[154].

---

[152] **جامع بيان العلم وفضله**؛ يوسف بن عبد البر. ص (٢/ ٤٩٤).

[153] حديث حسن.

[154] حديث صحيح.

١٠٥٤ – قَرَأْتُ عَلَى سَعِيدِ بْنِ نَصْرٍ، أَنَّ قَاسِمَ بْنَ أَصْبَغَ حَدَّثَهُمْ، نا ابْنُ وَضَّاحٍ، نا مُوسَى بْنُ مُعَاوِيَةَ، نا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، نا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ هِلَالٍ الْوَزَّانِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ قَالَ: كَانَ **عُمَرُ** ﷺ، يَقُولُ: «أَلَا إِنَّ أَصْدَقَ الْقِيلِ قِيلُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، أَلَا إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ عَنْ أَكَابِرِهِمْ»[١٥٥].

١٠٥٧ – حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَحْيَى، قِرَاءَةً مِنِّي عَلَيْهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَهُ بِمَكَّةَ نا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، نا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، نا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ** ﷺ عَنْهُ قَالَ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنْ أَكَابِرِهِمْ، فَإِذَا أَخَذُوهُ عَنْ أَصَاغِرِهِمْ، وَشِرَارِهِمْ هَلَكُوا»[١٥٦].

قَالَ أَبُو عُمَرَ: قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ تَفْسِيرِ ابْنِ الْمُبَارَكِ وَأَبِي عُبَيْدٍ لِمَعْنَى الْأَصَاغِرِ فِي هَذَا الْبَابِ مَا رَأَيْتَ، وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ الصَّغِيرَ الْمَذْكُورَ فِي حَدِيثِ عُمَرَ وَمَا كَانَ مِثْلَهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ الَّذِي يُسْتَفْتَى وَلَا عِلْمَ عِنْدَهُ وَأَنَّ الْكَبِيرَ هُوَ الْعَالِمُ فِي أَيِّ سِنٍّ كَانَ.

١٠٦١ – وَقَالُوا: الْجَاهِلُ صَغِيرٌ وَإِنْ كَانَ شَيْخًا، وَالْعَالِمُ كَبِيرٌ وَإِنْ كَانَ حَدَثًا،

١٠٦٢ – وَاسْتَشْهَدَ بِقَوْلِ الْأَوَّلِ حَيْثُ قَالَ:

[البحر الطويل]

تَعَلَّمْ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُولَدُ عَالِمًا ... وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ

وَإِنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ ... صَغِيرٌ إِذَا الْتَفَّتْ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ

١٠٦٣ – وَاسْتَشْهَدَ بَعْضُهُمْ بِأَنَّ **عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ** ﷺ كَانَ يُسْتَفْتَى وَهُوَ صَغِيرٌ، وَأَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ وَعَتَّابَ بْنَ أُسَيْدٍ كَانَا يُفْتِيَانِ وَهُمَا صَغِيرَا السِّنِّ، وَوَلَّاهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْوِلَايَاتِ مَعَ صِغَرِ أَسْنَانِهِمَا، وَمِثْلُ هَذَا فِي الْعُلَمَاءِ كَثِيرٌ

١٠٦٤ – وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْحَدِيثِ عَلَى مَا قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ: عَالِمُ الشَّبَابِ مَحْقُورٌ وَجَاهِلُهُ مَعْذُورٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ.

---

[١٥٥] إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

[١٥٦] إسناده صحيح.

١٠٦٥ – وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا مَعْنَى حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ مَسْعُودٍ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْعِلْمَ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنِ الصَّحَابَةِ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَلَا كَانَ لَهُ أَصْلٌ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ فَهُوَ عِلْمٌ يَهْلِكُ بِهِ صَاحِبُهُ، وَلَا يَكُونُ حَامِلُهُ إِمَامًا وَلَا أَمِينًا وَلَا مَرْضِيًّا، كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ، وَإِلَى هَذَا نَزَعَ أَبُو عُبَيْدٍ رَحِمَهُ اللهُ،

١٠٦٧ – وَمِثْلُهُ أَيْضًا قَوْلُ **الْأَوْزَاعِيِّ**: «الْعِلْمُ مَا جَاءَ عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا لَمْ يَجِئْ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَلَيْسَ بِعِلْمٍ» وَقَدْ ذَكَرْنَا خَبَرَ الشَّعْبِيِّ وَخَبَرَ الْأَوْزَاعِيِّ بِإِسْنَادَيْهِمَا فِي بَابِ مَعْرِفَةِ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ الْعِلْمِ حَقِيقَةً مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَقَدْ يَحْتَمِلُ حَدِيثُ هَذَا الْبَابِ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالْعِلْمِ وَالتَّفَقُّهِ أَهْلُ الشَّرَفِ وَالدِّينِ وَالْجَاهِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ إِذَا كَانَ عِنْدَهُمْ لَمْ تَأْنَفِ النُّفُوسُ مِنَ الْجُلُوسِ إِلَيْهِمْ وَإِذَا كَانَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ وَجَدَ الشَّيْطَانُ السَّبِيلَ إِلَى احْتِقَارِهِمْ وَوَاقِعٌ فِي نُفُوسِهِمْ أَثَرَةُ الرِّضَا بِالْجَهْلِ أَنَفَةً مِنَ الِاخْتِلَافِ إِلَى مَنْ لَا حَسَبَ لَهُ وَلَا دِينَ، وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَعَلَامَاتِهَا وَمِنْ أَسْبَابِ رَفْعِ الْعِلْمِ وَاللهُ أَعْلَمُ أَيَّ الْأُمُورِ أَرَادَ عُمَرُ ﷺ بِقَوْلِهِ: فَقَدْ سَادَ بِالْعِلْمِ قَدِيمًا الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَرَفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ دَرَجَاتِ مَنْ أَحَبَّ.

١٠٦٩ – حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ الْقَاسِمِ، وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَا: نا الْحَسَنُ بْنُ رَشِيقٍ، نا مُحَمَّدُ بْنُ رُزَيقِ بْنِ جَامِعٍ، نا الْحَارِثُ بْنُ مِسْكِينٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ الْقَاسِمِ قَالَ: قَالَ **مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ**، سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ أَسْلَمَ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ {نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ} [الأنعام: ٨٣] قَالَ: «بِالْعِلْمِ يَرْفَعُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ يَشَاءُ فِي الدُّنْيَا» وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَصَاغِرَ مَا لَا عِلْمَ عِنْدَهُ[١٥٧]؛

١٠٧٠ – مَا ذَكَرَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَغَيْرُهُ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ **الزُّهْرِيِّ** قَالَ: كَانَ مَجْلِسُ عُمَرَ مُغْتَصًّا[١٥٨] مِنَ الْقُرَّاءِ شَبَابًا وَكُهُولًا فَرُبَّمَا اسْتَشَارَهُمْ وَيَقُولُ: «لَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ حَدَاثَةُ سِنِّهِ أَنْ يُشِيرَ بِرَأْيِهِ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ عَلَى حَدَاثَةِ السِّنِّ وَقِدَمِهِ، وَلَكِنَّ اللهَ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»[١٥٩].

---

[١٥٧] رجاله ثقات.

[١٥٨] اغتصَّ المكانُ بالنَّاس غَصَّ بهم ؛ امتلأ وضاق عليهم . [اللغة العربية المعاصر]

[١٥٩] إسناده صحيح.

القاعدة الثالثة والعشرون: من صفات المجدد، صحة الاعتقاد وسلامة المنهج العملي

قال المؤلف – رحمه الله – :

[٢٣]- السلف وأتباعهم لا يعتبرون أهل البدع والخرفات مجددين، وإن أحرزوا شيئاً من العلم. لأن من صفات المجدد بالدرجة الأولى صحة الاعتقاد وسلامة المنهج العملي.

Règle 23 : Parmi les caractéristiques du revificateur، la bonne croyance et la saine méthodologie pratique.

[23] – Les pieux prédécesseur et leurs adeptes، ne considèrent pas les innovateurs et les mythomane comme étant des revificateurs، même s'ils possèdent de la science. Car parmi les plus importants caractéristiques du revificateur، c'est la croyance juste et la méthodologie pratique correcte.

والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

مجدد العصر هو الشيخ[١٦٠]

 الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على من اصطفى
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمد عبده ورسوله
اما بعد

مما جعلني ان اكتب هذا الموضوع اني وجدت أن اناسا قد خاضوا فيه وتكلموا في بعض الساحات او في مجالس عامة بينهم ولم اهتم بالامر بداية

ذلكم ان هذا الامر يعود بالدرجة الاولى الى ذلك الشخص ، من ان الله عز وجل اكرمه بان يكون ذلك المجدد

ثانيا : ان مرجع مثل هذا الامر انما يعود للعلماء لا من

---

١٦٠ مقالة على شبكة سحاب السلفية. انظر الرابط التالي :
https://www.sahab.net/forums/index.php?app=forums&module=forums&controller=topic&id=23888

هم من امثالنا كما قال في عون المعبود

(ولا يعلم ذلك المجدد الا بغلبة الظن ممن عاصره من العلماء بقرائن الاحوال)

ثالثا : عرفت ان سيكون هناك بعض الاراء ثم لا تعدو المسألة اكثر من انها خلافية فهذا يقول فلان وغيره يقول بل فلان ثم لا نخرج الى نتيجة فيكون من اضاعة الوقت بما لا يفيد
ولكن لما رأيت اهتمام البعض في الموضوع اخذته بجد فعرفت ان الامر مهم ويحتاج مني ان انظر الى الموضوع بعين الاعتبار لعلي استفيد وافيد وعندما قلبت الصفحات ورأيت ما فيها من الكتابات في بعض الساحات وإذ بي أتجرع الحسرات

حسرات امة ابتعدت عن دينها ، واتخذت من اهوائها الهة تعبدها ، وجعلت من المخلوق وكأنه المربوب المطلوب تدافع عنه لا لشيء الا لأنه معها في خندقها حينئذ تذكرت قول الصحابي الجليل عدي بن حاتم الطائي عندما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما عبدوهم قال (الم يحلوا لهم ما حرم الله وحرموا ما احل لهم الله) قال نعم قال (فتلك عبادتهم)
 والا ما الذي يدفعنا ان نقول ان فلانا هو المجدد او فلانا ونحن لا نفقه الحديث ولم نطلع على معناه ولا من رواه وماذا قال عنه الائمة الاعلام بل أن جميع الكلام إنما عن هوى وافتـنان وإلا كيف حكمنا على أن هذا هو ذاك أو غيره يكون المقصود بالتجديد

فالذي دفعني ان اقول مثل هذا الكلام اني رأيت الكثير ممن قد يجيد الكلام ولكن بلا علم فيتكلم في مسائل الايمان بما تملي له بنات الأفكار

والا فالدفاع عن مجدد هذه الايام انما هو واجب ديني لا يتكلم فيه بالآراء
وإنما هذا من شأن الائمة الاعلام كما ذكرنا في غير هذا المكان

وعندما احببت ان اتكلم في الموضوع أخذت الورقة والقلم وأصبحت اكتب مراجع الموضوع ثم اكتفيت بعون المعبود لما رأيت فيه من الخير المحمود

فأنقل لكم كلام العلماء في ذلك حتى يتبين الحق ان شاء الله لكل إنسان أراد الحق والبيان

والكلام من **عون المعبود**[١٦١] (قال رحمه الله)

- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْمَهْرِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ شَرَاحِيلَ بْنِ يَزِيدَ الْمُعَافِرِيِّ، عَنْ أَبِي عَلْقَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فِيمَا أَعْلَمُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا». قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «رَوَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شُرَيْحٍ الْإِسْكَنْدَرَانِيُّ، لَمْ يَجُزْ بِهِ شَرَاحِيلَ»[١٦٢]

---

[١٦١] عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته. محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي. شرح الحديث رقم : ٤٢٩١. ج١١ص٢٥٩.

وَقَالَ الْمُنَاوِيُّ فِي مُقَدِّمَةِ فَتْحِ الْقَدِيرِ وَاخْتُلِفَ فِي رَأْسِ الْمِائَةِ هَلْ يُعْتَبَرُ مِنَ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ أَوِ الْبَعْثَةِ أَوِ الْهِجْرَةِ أَوِ الْوَفَاةِ وَلَوْ قِيلَ بِأَقْرَبِيَّةِ الثَّانِي لَمْ يَبْعُدْ لَكِنْ صَنِيعُ السُّبْكِيِّ وَغَيْرِهِ مُصَرِّحٌ بِأَنَّ الْمُرَادَ الثَّالِثُ انْتَهَى (مَنْ يُجَدِّدُ) مَفْعُولُ يَبْعَثُ (لَهَا) أَيْ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ (دِينَهَا) أَيْ يُبَيِّنَ السُّنَّةَ مِنَ الْبِدْعَةِ وَيُكْثِرُ الْعِلْمَ وَيَنْصُرُ أَهْلَهُ وَيَكْسِرُ أَهْلَ الْبِدْعَةِ وَيُذِلُّهُمْ

قَالُوا وَلَا يَكُونُ إِلَّا عَالِمًا بِالْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ

قَالَهُ الْمُنَاوِيُّ فِي فَتْحِ الْقَدِيرِ شَرْحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ

وَقَالَ الْعَلْقَمِيُّ فِي شَرْحِهِ

مَعْنَى التَّجْدِيدِ إِحْيَاءُ مَا انْدَرَسَ مِنَ الْعَمَلِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَمْرُ بِمُقْتَضَاهُمَا

قال الشارح رحمه الله : (تَنْبِيهٌ) اعْلَمْ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ رَأْسِ الْمِائَةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ آخِرُهَا

قَالَ فِي مَجْمَعِ الْبِحَارِ وَالْمُرَادُ مَنِ انْقَضَتِ الْمِائَةُ وَهُوَ حَيٌّ عَالِمٌ مَشْهُورٌ

انْتَهَى

وَقَالَ الطِّيبِيُّ الْمُرَادُ بِالْبَعْثِ مَنِ انْقَضَتِ الْمِائَةُ وَهُوَ حَيٌّ عَالِمٌ يُشَارُ إِلَيْهِ

وَالدَّلِيلُ الْوَاضِحُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِرَأْسِ الْمِائَةِ هُوَ آخِرُهَا لَا أَوَّلُهَا أَنَّ الزُّهْرِيَّ وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَغَيْرَهُمَا مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ مِنَ الْمُجَدِّدِينَ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ الْأُولَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَعَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ الثَّانِيَةِ الْإِمَامُ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ تُوُفِّيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ سَنَةَ إِحْدَى وَمِائَةٍ وَلَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً وَمُدَّةُ خِلَافَتِهِ سَنَتَانِ وَنِصْفٌ وَتُوُفِّيَ الشَّافِعِيُّ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ وَلَهُ أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً

من هنا تعلم اخي حفظك الله ان ذكر بعض العلماء الذين يذكرهم البعض لا يصلح بان يكونوا هم المقصودين بانهم من المجددين كسيد قطب رحمه الله او حسن البنا وغيرهم ممن مات في منتصف القرن <[illegible]>

وانظر ماذا يقول الشارح نقلا عن المرقاة : <[illegible]> قَدْ يَكُونُ فِي أَثْنَاءِ الْمِائَةِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْمُجَدِّدِ عَلَى رَأْسِهَا

[١٦٢] [حكم الألباني] : صحيح.

نَعَمْ لَوْ ثَبَتَ كَوْنُ قَيْدِ الرَّأْسِ اتِّفَاقِيًّا بِدَلِيلٍ صَحِيحٍ لَكَانَ دَائِرَةُ الْمُجَدِّدِيَّةِ أَوْسَعَ وَلَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَكَابِرِ الْمَشْهُورِينَ الْمُسْتَجْمِعِينَ لِصِفَاتِ الْمُجَدِّدِيَّةِ فِي الْمُجَدِّدِينَ كَالْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنُ حَنْبَلٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ومسلم النيسابوري وأبي داود السجستاني وغيرهم مِنْ أَئِمَّةِ الْهُدَى.

قال الشارح :
 ثم اعلم أن ابن الأثير والطيبي وغيرهما زعموا أن المجدد هو الذي انقضت المائة وهو حي معلوم مشهور مشار إليه فجعلوا حياة المجدد وبقاؤه بعد انقضاء المائة شرطا له فعلى هذا من كان على رأس المائة أي آخرها .

صفات المجدد :
 لا بد وأن يكون عالما بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة ناصرا للسنة قامعاً للبدعة
فظهر أن المجدد لا يكون إلا من كان عالما بالعلوم الدينية ومع ذلك من كان عزمه وهمته آناء الليل والنهار إحياء السنن ونشرها ونصر صاحبها صلى الله عليه وسلم وإماتة البدع ومحدثات الأمور ومحوها وكسر أهلها باللسان وتصنيف الكتب والتدريس .

قلت :

لو تأملنا هذه الأقوال من العلماء مقارنةً لها مع أحوال من نظن أنهم من هؤلاء المجددين لظهر لكل متأملٍ ولكل طالب علم أمين من يكون ذلك الرجل ولو كان على سبيل الظن الراجح .

قال ابن حجر :
وحمل الحديث على أكثر من واحد متجه فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير .

وعليه أقول بعد النظر والتدقيق إن كان من كلمة حق تقال فيمن نظنه من هؤلاء ممن ينطبق عليه أقوال هؤلاء العلماء فلا أراه إلا واحدا من ثلاثة :

1 – الألباني رحمه الله .
2 – ابن عثيمين رحمه الله .
3 – ابن باز رحمه الله .

وإن كان الامر متجه لما قال ابن حجر رحمه الله فلا أرى إلا ثلاثتهم حشرنا الله وإياهم.

أما عن باقي من يذكر من اهل العلم فهناك من يُظن فيهم الخير الكثير ولكن لا يصلوا إلى علم هؤلاء المذكورين كما هو واضح مبين لكل طالب حق أمين .

هذا فان أصبت فمن الله وان اخطأت فمن نفسي والشيطان
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

ما هي شروط المجدد وهل يتعدد[163]

نص السؤال: ما هي شروط المجدد وهل يكون شخصاً واحداً أم يمكن أن يكون مجموعة

نص الإجابة:

حديث المجدد في < سنن أبي داود > وفيه كلام ، من أجل هذا فأنا لم أكتبه في < الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين > ولا أقول : إنه ضعيف .

فيشترط أن يكون مستقيماً ، وأن يكون عالماً ، ولا يلزم أن يكون واحداً لأن (من) في اللغة العربية تصدق على الواحد وعلى المثنى وعلى الجمع ، والنبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – يقول : " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها " .

لكن المجدد لا يكون صوفياً ، فهو يجدد الضلال ، ولا يكون شيعياً ، فهو يجدد الضلال ، بل المجدد يكون متمسكاً بكتاب الله وبسنة رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – ومن أهل السنة .

هنا نزاع هل حسن البنا مجدد أم لا ؟ وقد كنت قبل تعجبني دعوته ورسائله حتى كتب فيه ، فإذا هو صوفي يأتي بالمتناقضات ، فمثل هذا لا يجوز أن يطلق عليه بأنه مجدد ، والذي يقول : إنه مجدد لا نهجره ولا نبتعد عنه ، بل نعطيه الكتب التي كتبت في حسن البنا وأنه يدعو إلى التقريب بين الشيعة وأهل السنة ، وأنه يقول : دعوتنا صوفية سلفية ، وأنه يقول : ينبغي للحكومة أن تأخذ من أموال الأغنياء فترده على الفقراء حتى يكبر الشعب وتعاوض الأغنياء بما هو أجدى عليهم ، ومثل هذه الأشياء التي تعتبر تمهيداً للاشتراكية .

فلا ينبغي أن نعجل ، فإذا كنا إلى قبل أيام نظنه مجدداً فلا ينبغي أن نعجل على من زلت قدمه ، وقال : إنه مجدد حتى نعذر ونعطيه الكتب التي كتبت ، والعلماء هم الذين لهم حق القول بأن فلاناً مجدد ، أما الجهال فهم أتباع كل ناعق ، وعند أن خرج قارون في زينته ماذا قال الجهال ؟ : " يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ " [القصص : ٧٩] ، فالعلماء أهل البصيرة هم الذين لهم الحق أن يحكموا على الشخص بأنه مجدد .

---

[163] فتوى للشيخ مقبل رحمه الله تعالى. انظر الرابط http://www.muqbel.net/fatwa.php?fatwa_id=3952

وبحمد الله فالمجددون في هذا الزمن هم من أمثال الشيخ الألباني ، والشيخ ابن باز ، ومن كان على شاكلتهما حفظهما الله ، نرجو ولا نزكيهم على الله تعالى أن يكونوا من المجددين .[١٦٤]

والله تعالى أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تمت هذه المسودة التي جمعت أقوال أهل العلم حول بعض قضايا تمس منهج السلف الصالح، ليلة السبت ١٤ صفر من عام ١٤٣٩.

[١٦٤] راجع كتاب : (غارة الأشرطة ٢ / ٩٧ – ٩٨)

نظم القواعد المنهجية

خاتمة البحث جليل قدرها　　مع منهج الحق يطيب نشرها
قواعد البر ونَهج من سلف　　لا تقبل الخلط ولا نَهج الخلف
لكونها قواعد الأسلاف　　من مصدر النور بلا خلاف
كتاب ربي لا إله غيره　　جل وعز وتعالى جده
والسنة الغراء ميراث النبي　　إرث ثمين يا أخي فلترغب
واسمع لبعض من قواعد الهدى　　واصغ إليها زاخرًا من اعتدى

أولها الرجوع للكتاب　　وسنة الهادي بلا ارتياب
ثم انقياد وخضوع لهما　　وهكذا التسليم فافهم واعلما
والعلم بالحق ونشره وجب　　من عالم به شهير بالأدب
إمامه الهادي وكل من دعا　　بشرعة الرب مثيب من دعا
والنصح عنهم للجميع قد عرف　　بالعلم والحلم فحد واعترف
دليلهم فيه حديث مسلم　　وعن تميم يا أخي فلتعلم
والدين كل الدين عندهم عمل　　ثم اعتصام صادق نلت الأمل
والحق للوالي عظيم عندهم　　يوفون طوعًا بالحقوق كلهم
ونصحه سرًّا وعونه على　　كل صلاح وفلاح وعلا
ودعوة بالخير والتوفيق　　يرفعها الأسلاف يا صديقي
لكل والٍ للعباد مسلم　　وناشر للعدل حاقن الدم
وحبهم للصحب فرض لازم　　ومن يعادي مؤمنًا فآثم
بالصبر والصواب واليقين　　صاروا حماة يا أخي للدين
توقيرهم للعلم ثم العلما　　وصف أصيل ورفيع قد سما
والأخذ للعلم عن الأشياخ　　قد عرفوا به كذا التآخي
فرحتهم كبرى بكل مهتد　　والحزن فيهم من ضلال المعتدي
والحب في الله ومنهج الولا　　كلاهما حق وخاب من قلا
أو خالف الأسلاف في اعتقاد　　أو منهج الحق كذا الرشاد
ومن يرى كتب الردود ماحقة　　تفرق الشمل وتدعى حالقة
فذاك مفتون وجهله وضح　　وقوله رد وجرمه اتضح

بل كتب الردود شأنُها حسن		لقمعها الشر ونصرها السنن
فهل يعي الأخيار منهاج السلف		ويرفض الأبرار منهاج الخلف
والقول في الجرح وفي التعديل		كمثل هذا فاسلكن سبيلي
والحق عندهم شريف ووسط		بين غلو وجفاءٍ ذي شطط
ثم الردود يا أخي من عالم		من منهج الأسلاف ذي المعالم
وكل قول حادث ومبتدع		يرده السني على أهل البدع
محذرًا ومنذرًا وناصحًا		وينشر الحق صريحًا واضحًا
والرد عندهم على المخالف		من مطلب الشرع الظليل الوارف
ومن به محتسبًا يقوم		فذا مجاهد له التقديم
ومن يرج صفات من يجدد		في منهج الأسلاف يا أماجد
فليقي السمع وينبذ الهوى		ويعقل الرشد بكل ما حوى
أولها التزام منهاج السلف		أعني طريق من على الحق وقف
والصدق والإخلاص والتعاون		شعارهم حقًا وفيها عاونوا
لهم بروز في سبيل التصفية		للسنة الغرا طريق التربية
ثم التزام بالحقوق دائمًا		لربنا الأعلى تعالى في السما
وحق ذي الحق يؤدون كما		في الملة السمحا مقيل الكرما
وعمل الخير وبر مثمر		كلاهما حق ألا فلتصبروا
شرفهم ربي بميراث النبي		ودعوة النور الوضيء الأرحب
وليس منهم ذوا ابتداع أبدًا		فافهم رعاك الله فهمًا جيدًا
ثم الخرافي لا تقل مجددا		بل فكره اردد جازمًا مفندًا
وما لقوم للقبور عظموا		ثم غلو في الصالحين منهم
في لقب التجديد من نصيب		لبعضهم عن سنة الحبيب
محمد الهادي الرسول الأعظم		وناصر الحق الشريف الأقوم
صلى عليه ربنا وسلما		والآل والصحب الهداة الكرما

المراجع

* **دعائم منهاج النبوة**. محمد رسلان.
دار الفرقان المصرية للنشر والتوزيع (١٤٣٢).

* **الأجوبة السديدة عن الأسئلة الرشيدة**. زيد المدخلي.
دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع (١٤٣٥).

* **الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة**. صالح الفوزان.
دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع (١٤٣٤).

* **الإصباح في بيان منهج السلف في التربية والإصلاح**. عبد الله العبيلان.
غراس للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان (١٤٢٩).

* **مجالس تذكير على مسائل منهجية**. محمَّد علي فركوس.
دار الموقع، دار العواصم للنشر والتوزيع (١٤٣٤).

* **الدرر الذهبية في أصول ومنهاج الدعوة السلفية**. عبيد الجابري.
دار الإمام أحمد للنشر والتوزيع (١٤٢٩).

* **مجموعة رسائل دعوية ومنهجية**. صالح الفوزان.
الميراث النبوي للنشر والتوزيع (١٤٣١).

* **الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية**. أحمد النجمي.
دار المنهاج (١٤٣٠).

* **منهاج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل**. ربيع المدخلي.
دار المنهاج (١٤٣٠).

* **منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف**. ربيع المدخلي.
مكتبة الغرباء الأثرية (١٤١٨).

* **المحجة البيضاء في حماية السنة الغراء من زلات أهل الأخطاء وزيغ أهل الأهواء**. ربيع المدخلي.
مكتبة الغرباء الأثرية (١٤١٨).

* **الحُدُودُ الفَاصِلَةُ بَيْنَ أُصُولِ مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَأُصُولِ القُطْبِيَّةِ السُّرُورِيَّةِ**. أبِي عَبد الأعلى خَالِدِ عُثْمَان.
دار علم السلف (١٤٣١).

* **سلسلة الرسائل المنهجية في النصح والإرشاد والتوعية**. محمد بازمول.
دار الاستقامة (١٤٣٠).

* **القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ**. حمود التويجري.
دار الصميعي للنشر والتوزيع ().

* **المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال**. أحمد النجمي.
(١٤١٨).

* **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**. أحمد ابن تيمية.
دار عالم الكتب (١٤١٩).

* **لسان العرب**. محمد ابن منظور.
دار صادر (١٤١٤).

* **النهاية في غريب الحديث والأثر**. المبارك ابن الأثير.
المكتبة العلمية (١٣٩٩).

* **معجم مقاييس اللغة**. أحمد بن فارس.
دار الفكر (١٣٩٩).

* **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. يحيى النووي.
دار إحياء التراث العربي (١٣٩٢).

* **الرد على المنطقيين**. أحمد ابن تيمية.
دار المعرفة ().

* **الإيمان**. أحمد ابن تيمية.
المكتب الإسلامي (١٤١٦).

* **مذكرة الجماعة والإمامة**. محمد بازمول.
().

* **قَطْعُ اللَّجَاجَة بشَرْحِ صَحِيحِ المُقَدِّمَةِ مِنْ سُنَنِ الإِمَامِ ابْنِ مَاجَه**. عبيد الجابري.
الميراث النبوي للنشر والتوزيع (١٤٣٤).

* **التنبيهات السَّنية على العقيدة الواسطية**. عبد العزيز الرشيد.
دار الرشيد (١٤٢٥).

* **وسطية أهل السنة بين الفرق**. محمد باعبد الله.
دار الراية للنشر والتوزيع (١٤١٥).

* **العقيدة الواسطية**. أحمد ابن تيمية.
أضواء السلف (١٤٢٠).

* **أنوار البروق في أنواء الفروق**. أحمد القرافي.
عالم الكتب ().

* **بدائع الفوائد**. محمد الجوزية.
دار الكتاب العربي ().

* **جامع بيان العلم وفضله**. يوسف بن عبد البر.
دار ابن الجوزي (١٤١٤).

جدول المحتويات